

توفيق درياف

ملحمة الصحافة الحزبية

الجزء الثاني

محمود فوزي



توفيق درياف
ملحمة الصحافة الحزبية

توفيق درياء

ملحمة الصحافة الحزبية

محمود فوزى

الجزء الثانى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية
سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة... ثرية بالتجارب
السياسية الفريدة... متوجة بالمعارك النضالية الرائعة.

محمود فوزى

مقدمة

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة .. ثرية بالتجارب السياسية الفريدة .. متوجه بالمعارك النضالية الرائعة ..

كان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقما وان يشد الواقع ليصبح ممكنا وقد كان .. فتعددت صفاته والقباه .. فهو بحق شخصية متفردة بكل المقاييس .. سواء مقاييس عصره أو عصرنا .. فهو شخصية تحمل هبة الخلود وسمة المعاصرة بل هو دون اية مبالغة من الشخصيات التي من الصعب ان تتكرر لانه ضرب بسهم وافر في جميع الاتجاهات التي

يصعب الآن أن يحدوحدوها احدا لتعددتها المستحيل وتفردتها المعجز فهو: الاديب المتصوف والكاتب الاجتماعي اللاذع والسياسي المحنك وأول صحفي برلماني في تاريخ الصحافة المصرية وأول صحفي يدخل مجمع اللغة العربية .. والمناضل السجين .. وصاحب الجهاد .. وخطيب ثورة ١٩١٩ وقائمة طويلة من الصفات والالقباب التي لم يحظى بها معا احدا قبله .

لقد ملاء توفيق دياب دنيا عصره بثقافته الموسوعية ولعل عبارة عميد الادب العربي الدكتور طه حسين ابلغ دليل يمكن الاستشهاد به

فى هذا الخصوص حيث قال : «ملاّت الدنيا ثقافة فى حياتك هذه المغامرة الحفبة ملاءها ثقافة بمحاضراتك أيام الشباب وملاءتها ثقافة بخصوصيتك السياسية التى اتصلت أعواما طويلا وملاءتها ثقافة بلمحاتك التى كنت تحس بها الحياة الاجتماعية وتحس بها حياة الناس اليومية» .

لقد كان توفيق دياب حقيقة ملحمة بكل المقاييس فأفكاره كانت ضد الرصاص ومواقفه من الصعب ان تتكرر ومعاركه سقطت تحت سنايك خيلها الظلم والعسف والجبروت .

وهذا الجزء الثانى من كتاب «توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية» . وقد صدر الجزء الأول فى سلسلة تاريخ المصريين وقد اشتمل على بابين الأول : توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية والثانى : مسيرة الجهاد الصحفية «أما الجزء الثانى فيضم الابواب من الثالث حتى الحادى عشر وبذلك يكتمل الكتاب بحمد الله بصدر جزئيه الأول والثانى .

ويحتوى الباب الثالث من كتاب «توفيق دياب» .. ملحمة الصحافة الحزبية «(الدور الوطنى لجريدة الجهاد فى مظاهرات ١٩٣٥) حيث سجلت الصحيفة أسم جمال عبدالناصر لأول مرة فى الصحافة المصرية فلقد حملت جريدة الجهاد لواء الصحافة الحرة فى مواجهة المستعمر الانجليزى وكانت لها دورا وطنيا بارزا فى ثورة الشباب الوطنية عام ١٩٣٥ فن المواقف الوطنية التى سجلها التاريخ لهذه الجريدة ان شباب سنة ١٩٣٥ الذين واجهوا رصاص الانجليز فى ميدان الأسمايلية» «التحرير الان» حين جرح عدد كبير منهم لم

يفكر الجرحى فى الذهاب إلى الأسعاف قبل ان يذهبوا إلى دار
جريدة الجهاد وكان فى المقدمة من أولئك الشباب الطالب الذى صار
زعما للبلاد جمال عبدالناصر الذى كتب أسمه لأول مرة فى الصحافة
فى جريدة الجهاد فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قبل عاما من قيام ثورة ٢٣ يوليو
١٩٥٢ !

ولقد نجحت «الجهاد» فى تغطية أحداث هذه الثورة الشبابية
بالكلمة والصورة بل وصلت إلى أبعد من ذلك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ إذ
نشرت «الجهاد» رسالة بخط يد شهيد الشباب السادس الذى استشهد
فى هذه الثورة المغفور له محمد عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب
مصر.. فقد نشرت الجريدة صورة زنكروغرافية للرسالة بخط يد الشهيد
قبل ان تصعد روحه إلى بارئها هذا نصها :

أخوانى الأعزاء...

إذ أشكركم شعورك السامى لما أدبته وأعتبره أقل من واجبى فى
سبيل البلد الذى وهبت الحياة بل وهب الحضارة للعالم أجمع (أمضاء)
الجراحى (السبت ١٦/١١ - الساعة ١١).

أما الباب الرابع فهو يصور «توفيق دياب سجيننا من أجل رأى
الحر». فقد كان توفيق دياب فى خوضه معترك السياسة نزاعا إلى
الحرية واستقلال الرأى يرفض فى أباء ان تفرض عليه خطة يتبعها أو
مذهبا يدين به.. كان لا يقبل شيئا يرفضه ضميره ولا ترتاح إليه
نفسه.. وكان يعرف قدر نفسه ويعتز بكرامته واستقلال شخصيته ومن
أجل أرائه ومبادئه دخل توفيق دياب السجن لأنه تجاسر وهاجم على
صحف جريدته «الجهاد» وزارة صدقى الحديدية وبرلمان المصطنع

وبيته بأهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الاولياء وليحكمه عليه بالسجن تسعة شهور ولكن توفيق دياب يخرج من سجنه السياسى أشد بأسا وأقوى عزما ليفول لصدقى رئيس الوزراء حينذاك :

« ان الحرية فى مصر مازالت جنينا فى غيب القدر ومن الخير ان يعانى المصريون فى سبيلها كثيرا من الشدائد حتى لا تهون عليهم إذا غمض عنها اليوم السعيد المنتظر ولو عاد دولته أو مثل دولته إلى مثل ما صنع لعننا إلى مثل ما كتبنا ولو استحال السجن إلى درك يتلظى فى أعماق الجحيم » .

أما الباب الخامس فيحوى المعركة الطاحنة بين العقاد والجهاد وتوفيق دياب وكان يمكن ان تضاف إلى معارك الجهاد وتوفيق دياب فى الباب الأول (الفصل الثامن) (الجزء الأول) ولكن رأينا إنها من الأهمية بمكان بحيث أننا يمكن ان نفردها باب كاملا وهى معركة فى الحقيقة يمكن ان نفردها مؤلف كاملا لما لها دلالات صحفية وسياسية تؤرخ للصحافة الحزبية فى الثلاثينات .

ولقد بدأ عباس محمود العقاد فى الكتابة للجهاد منذ ٢٨ أكتوبر وقد أرتبط التحاق العقاد بالكتابة فى الجهاد بالأزمة التى كان الوفد يمر بها فى خريف ١٩٣٢ وهى الازمة التى نشأت نتيجة لقبول مصطفى النحاس استقالة محمد نجيب الغرابلى واعتراض ثمانية من أعضاء الوفد على هذا القرار وانضمام صحيفة «البلاغ» كبرى صحف الوفد حتى ذلك الحين جانبهم الأمر الذى عرض لأخطر انشقاق حدث فى صفوفه منذ الانشقاق الأول الذى تم فى عام ١٩٢١

وتمخض عنه تأليف حزب الاحرار الدستوريين. كما ارتبطت فترة كتابة عباس محمود العقاد لجريدة الجهاد ببعض الاحداث الهامة وكان على رأسها السياسة الانجليزية تجاه مصر وبدأ مفاوضات مستر هندرسن وهو ما توقعه العقاد فى مقالاته .. ولقد انتهى النزاع بين العقاد وتوفيق دياب بان ترك العقاد الجهاد من أجل عشرة جنيهاً وبعد ان أقسم بانه لن يترك الجهاد ولكنه حنث بيمينه فى أقل من شهر واحد على هذا القسم لتبدأ بعد ذلك معركة المقالات العنيفة واللاذعة بين توفيق دياب والعقاد على صفحات الجهاد وروزاليوسف التى انتقل إليها العقاد.

أما الباب السادس فهو بعنوان: (الجهاد والشئون العربية) وهو يستعمل على فصلين. الأول (وكانت الجهاد ملتقى للعرب) حيث يبرز اهتمام صحيفة «الجهاد» الكبير بالشئون العربية والإسلامية كما فتحت صدر صفحاتها لكبار الكتاب العرب مع الحرص على نشر البحوث والدراسات المختلفة عن الشخصيات العربية والإسلامية البارزة التى تناولت تراجم حياتهم وأعمالهم التى قاموا بها وكانت دار الجريدة ملتقى للعرب من كل الاقطار العربية الشقيقة.

أما الفصل الثانى فهو يتعلق بالقضية الفلسطينية «الجهاد» ومشكلة فلسطين حيث يبرز هذا الفصل الاهتمام المبكر لجريدة الجهاد بمشكلة فلسطين وما يدور فيها من كفاح ضد النفوذ الصهيونى المتغلغل والنفوذ الإنجليزى القائم فى ذلك الوقت ولقد بدأ الاهتمام يتزايد بشكل ملحوظ مع تطور الأحداث منذ عام ١٩٣٦ ومن هنا فقد أطلقت الجهاد على صدر صفحاتها صرخة فى ٢٨ مايو سنة ١٩٣٦ تقول: (أيها المصريون الكرام—المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لأنقاذه).

ولقد شاركت الجهاد فى الدعوة إلى انقاذ فلسطين باقامة الندوات واللقاء الخطب فلقد عقد فى مكتب الجهاد بالاسكندرية فى ٢٥ مايو ١٩٣٦ ندوة عن فلسطين بعنوان : (فلسطين الشهيدة الثائرة) . كان لها صدا واسعا ونقلتها صحف العالم .

والحقيقة ان توفيق دياب كانت له علاقة طيبة بالفلسطينيين وقد زار فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلده بيسان ٦٠٠ فارس عند مدخل البلدة وقد نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٣٤ صور لهذا الاستقبال الحافل فقد أوقف أهالى فلسطين القطار الذى كان يستقبله توفيق دياب وحلوه على الاعناق .

وكانت الجهاد قد نشرت قبل ذلك مجموعة كبيرة من التحقيقات الصحفية المزودة بالصور منذ أول يوليو وحتى ٩ يوليو ١٩٣٤ «زيارة محمد توفيق دياب إلى فلسطين» .

ولم تتوقف المواكبة لمشكلة فلسطين بتوقف «الجهاد» بل تابع توفيق دياب المشكلة من خلال أحاديثه الأذاعية عام ١٩٤٨ ثم مقالاته فى جريدة الأخبار ابتداء من ١٧ ديسمبر ١٩٥٥ .

ولقد تناول الباب السابع (أسلوب توفيق دياب السياسى) سواء فى مقالاته السياسية أو من خلال عناوينه البارزة كرئيس تحرير لجريدة الجهاد وقد تميز هذا الأسلوب بالقوة والفصاحة والبلاغة والسلاسة وقد ساهم هذا الأسلوب السياسى البليغ فى الدفاع عن القضايا الوطنية والصراعات الحزبية والمعارك الشخصية .

ويعرض الباب الثامن لنزعة التصوف المتأصلة عند توفيق دياب

تحت عنوان (توفيق دياب .. متصوفا) . ولقد كان توفيق دياب مؤمنا تغلب عليه النزعة الصوفية المتألمة التى تحسها فى عباراته كاتبا وخطيبا كرجع الصدى وكانت هذه الظاهرة من أخص ملامح شخصيته ولها فى حياته أثر كبير.

كان توفيق دياب من الباحثين عن الحقيقة .. الذين ينشدون الوصول إلى المرافى الدافئة .. كان متصوفا .. وكان التصوف هو النبع الصافى الذى أرتوت منه روحه .. هو بر الأمان الذى وصل إليه .. هو الواحه التى شعر تحت ظلالمها بجلال الإيمان .. وقوة اليقين وقد تجلّى ذلك واضحا فى مقالاته وخطبه وأقواله .

أما الباب التاسع فهو رسم صورة (توفيق دياب فى عيون معاصريه) حيث يعرض لأراء كبار الكتاب والمفكرين والشعراء فى توفيق دياب ومنهم د. طه حسين ومصطفى أمين وعزيز أباظة وحافظ محمود وعبدالرحمن الشرقاوى وعباس حافظ .

أما الباب العاشر فهو يتناول (فلسفة الموت فى فكر توفيق دياب!) ولقد شغلت «فلسفة الموت» الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وقد تصدى لها طارحا جانبا بذلك عبارة بوسوية الشهيرة :

«إن إهتمام الناس بدفن أفكارهم عن الموت قد لا يقل شأنا عن إهتمامهم بدفن موتاهم فخوف أناس من الموت هو الذى حدا بهم إلى تجاهل التفكير فى الموت أو العمل على تناسيه» .

وقد تصدى دياب (لفلسفة الموت) فى مقالاته ومحاضراته وأقواله ولقد تجلّى ذلك واضحا فى المحاضرة التى القاها فى يناير سنة ١٩٣١ وكان عنوانها «بأى ميزان نزن الحياة التى يقول فيها :

«نولد أجنة وندرج أطفالا وننشأ حبيبة ونراهق فتيانا ونستوى رجالا ونبلغ الكهولة وتدركننا الشيخوخة ان قدر لنا ان نعيمر ثم ماذا؟ ثم نجف الشجرة وتذوى الازاهير ويتساقط الورق وما هو الا نفس أخير تلفة فإذا نحن رفات وذلك دون ان نفكر يوما لماذا ولدنا ولماذا حيننا ولماذا نموت؟!» .

ويتضح من ذلك أن الفكر الفلسفى للموت عند توفيق دياب يقترب كثيرا ان لم يكن يطابق قول أسبنيوزا :

«ان آخر مايفكر فيه الرجل الحر هو الموت : لان حكمته ليست تأملا للموت بل تأمل للحياة» .

أما الباب الحادى عشر فقد تناول ولأول مرة «ببليو جرافية» كتابات عن توفيق دياب .

وهى تشمل أولا كل ماكتب من أخبار ومعلومات فى الصحف والدوريات عن توفيق دياب .

وثانيا كل المقالات التى كتبت عن توفيق دياب فى الصحف والمجلات .

وثالثا الفصول التى كتبت فى مؤلفاته وكتب عن توفيق دياب .

ورابعا الرسائل الجامعية عن توفيق دياب والجهاد .

خامسا الكلمات التى القيت عن توفيق دياب .

ثم أختتمت الكتاب بالمراجع التفصيلية للجزعين الأول والثانى من كتاب «توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية» ولا شك أن هناك مراجع أصلية أعتمدت عليها ومنها بالطبع : المرجع الأصلى لكل باحثا عن شخصية توفيق دياب وهى أعداد جريدة الجهاد منذ صدورها فى

١٧ سبتمبر ١٩٣٢ وحتى توقفها فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٩. مع اطلالة على الصحف والدوريات التى تزامنت مع الجهاد فى نفس الفترة مثل الأهرام والبلاغ واللطائف المصورة والهلل وكذلك مؤلفات المؤرخ الكبير عبدالرحمن الراغى (ثورة ١٩١٩ - فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الأول والثانى)).

ومصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.. وكتاب الدكتور عبدالعظيم رمضان «تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ وكذلك مؤلفات الكاتب الكبير مصطفى أمين (من عشرة لعشرين) (ولكل مقال أزمة).

وأيضاً رسالة السيدة الدكتورة ناهد أبو العيون «صحيفة الجهاد» (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة - كلية الأعلام - جامعة القاهرة باعتبارها من أولى الرسائل الجامعية فى هذا الموضوع.

هذا فضلاً عن أكثر من ٤٠ مرجعاً أساسياً وكذلك الدوريات المصرية من صحف ومجلات ومقابلات شخصية وملف صحيفة الجهاد بقسم المطبوعات وتراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة للاستعلامات فضلاً عن الرسائل الخاصة الخطية لتوفيق دياب والتى أرسلها من لندن أثناء دراسته لاسرته بالقاهرة.

ولهذا لايسعنى إلى ان أتقدم بالشكر والوفاء للجميل إلى أسرة توفيق دياب وعلى رأسها عميدها الأستاذ: الدكتور كامل دياب لاتاحتها الفرصة لى بوضع جريدة الجهاد بأعدادها كاملة تحت تصرفى للدراسة وهى لاغنى عنها لاي باحث يتطرق إلى هذا الموضوع وكذلك الأوراق الخاصة بتوفيق دياب ورسالة الخطية كما أتقدم بالشكر إلى

دار الكتب المصرية وقسم المعلومات بصحف الأخبار— الأهرام—
الجمهورية وقسم المطبوعات وتراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة
للاستعلامات ومكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة على حسن تعاونهم
معي جيما وأمدادهم بالصحف والمراجع التي ساهمت بصورة فعالة في
أخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود.. «توفيق دياب ملحمة الصحافة
الحزبية» .

محمود فوزى

الباب الثالث

الدور الوطنى للجهاد فى مظاهرات ١٩٣٥
الجهاد تسجل اسم جمال عبدالناصر لأول مرة فى
الصحافة المصرية

حملت جريدة الجهاد لواء الصحافة الحرة فى مواجهة المستعمر
الانجليزى وكانت لها دوراً وطنياً بارزاً فى ثورة الشباب الوطنية عام
١٩٣٥ فى المواقف الوطنية التى سجلها التاريخ لهذه الجريدة أن شباب
سنة ١٩٣٥ الذين واجهوا رصاص الانجليز فى ميدان الاسماعيليه
«التحرير الآن» حينما جرح عدد كبير منهم لم يفكر الجرحى فى
الذهاب إلى الاسعاف قبل أن يذهبوا إلى دار جريدة الجهاد وكان فى
المقلعة من أولئك الشباب الطالب الذى صار زعيماً للبلاد جمال
عبد الناصر الذى كتب اسمه لأول مرة فى الصحافة فى جريدة الجهاد
فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قبل ١٧ عاماً من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ولقد بلغت الحملات الصحفية المكثفة للجهاد ذروتها فى ٩ نوفمبر
سنة ١٩٣٥ عقب تصريح السير صمويل هور باعتباره أخطر تصريح
رسمى يتناول مسألة الدستور فى تلك الفترة كما سبق وأن ذكرنا من
قبل فى فصل «موقف الجهاد من سياسة الانجليز».

بل لقد خرجت الجهاد فى الأحد ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ «العدد
١٤٩٥» وعلى صفحتها الأولى هذه المانشيتات: (الحكومة البريطانية
تهدم تصريح ٢٨ فبراير - وزير خارجيتها يقول إن دستور سنة ١٩٢٣

غير صالح العمل بمقتضاه - الأحياء يأسرون ألف جندي صومالي ويفتحون ذخائر حرية عظيمة في معركة جوراهاي - الحبشة تستورد خسين طيارة حرية من أحدث طراز لاستخدامها ضد غارات الطليان الجوية - النجاشي يصدر مرسوماً بمقاطعة كل ما هو إيطالي - انتقال إلى ميدان القتال يوم ١٤ نوفمبر).

أخبار آخر ساعة - تصريح وزير خارجية بريطانيا في حفلة الجليلد هول بلندن مساء أمس يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسه ويجعل دستور مصر رهناً بإرادة إنجلترا فإذا يقول في هذا دعاة الاتحاد ؟.

ولقد كتب محمد توفيق دياب مقالة يعلق فيها على خطبة محمد محمود باشا ويرفض الائتلاف بمعناه السابق في نفس العدد من الجهاد تحت عنوان «ختم التعقيب على خطبة محمد محمود باشا - الاتحاد في الخطة والغاية واجب الجميع إما الائتلاف بمعناه السابق لا . وفيها يقول :

«يحسن قبل أن نبدأ هذه الكلمات التي نختم بها تعقينا على خطبة صاحب الدولة محمد محمود باشا - أن نقول استناداً إلى أكبر المصادر الوفدية أن فكرة الائتلاف بين الوفد والهيئات السياسية الأخرى على المعنى المفهوم من الائتلافات السابقة فكرة لا سبيل إلى قبولها بحال وإنما الأمر المقبول بل الواجب المحتوم الذي تفرضه الظروف الدقيقة الحاضرة على المصريين جميعاً على الهيئات السياسية خاصة وعلى البارزين من رجال السياسة المصرية ومن ذوى الرأى والتفكير مستقلين كانوا أو حزبين - هو أن يخطوا خطة واحدة ويرموا إلى غرض واحد إذا أصرت الحكومة البريطانية على محاربة دستور الأمة وتجاهل استقلالها .

ذلك هو الواجب المحتوم على الجميع وهو الواجب الميسور لكل هيئة وحزباً دون حاجة إلى تلك الطريقة التى جربت غير مرة فلم تتيح لمصر خيراً - طريقة الائتلاف بمعناه القديم» .

ولقد واكبت الجهاد مظاهرات ١٩٣٥ وكان لها دوراً وطنياً بارزاً يتضح ذلك من المتابعة الإخبارية والصحفية الدقيقة والعناوين الحماسية المؤثرة والتى تبدو من المانشيتات ابتداء من يوم الجهاد الأكبر فى ١٤ نوفمبر والتى امتدت أسبوعاً ساخناً تابعت فيه الجهاد - بالكلمة والصورة - المظاهرات - وسقوط الشهداء والجرحى فى المستشفيات والسياسة المصرية والانجليزية تجاه هذه الأحداث .

فلقد صدرت الجهاد يوم الخميس ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٤٩٩) تحمل على صفحتها الأولى هذه العناوين الكبيرة البارزة :

(خطاب الرئيس التاريخى فى الجمع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكرى الجهاد الرئيس يوجه الدعوة باسم الوفد إلى :

(١) الأمة بعدم التعاون مع الانجليز .

(٢) الوزارة بالاستقالة ويعلن .

(٣) عدم تأييد الوزارة إذا لم تستقل .

(٤) مقاومة كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز - أربعون ألفاً فى السراى - خطبة حماسية فياضة للمجاهد الكبير - اطلاق الرصاص على الجماهير المتظاهرين بعد انتهاء الاحتفال - آخر أنباء الحرب الحبيشة .

وتابعت الجهاد هذه الأحداث الهامة فى تاريخ مصر فى الصفحات الداخلية للجريدة فعلى الصفحة الخامسة كانت هذه العناوين : (يوم

مصر العظيم — عيد الجهاد الأكبر — أحزاب الطلبة — المظاهرات الشعبية في النادى السعدى — تجمع الألوף المؤلفة — اصابات على ضريح سعد — فى السرداق الكبير تدفق الجماهير من الساعة الثانية — المتفافات الحماسية الشديدة — خطبة الطلبة — حضور الرئيس والمجاهد الكبير).

(إطلاق الاعيرة النارية فى شوارع القاهرة — تفصيلات وافية عن مظاهرات أمس الرائعة — احتفالاً بعيد الجهاد الوطنى — تحطيم زجاج نوافذ القنصلية البريطانية — ثمانى حوادث بين المتظاهرين والبوليس). وفى اليوم التالى مباشرة (١٥ نوفمبر ١٩٣٥ — العدد ١٥٠٠) خرجت الجهاد بالعناوين التالية والتى تبرز اشتعال الموقف :

(تفاصيل مصادمات أمس — وفاة المرحومين محمد عبد المجيد طالب كلية الزراعة والعامل سيد الخالع — البوليس يسلم الجثتين لأهلها بعد تعهد كتابى — الوزارة تصدر مرسوماً شاذاً بتقييد حرية الصحف — نص المرسوم الحكومة البريطانية تعلن رسمياً عدم عدوها عن خطتها فى مصر — حملة شعواء لصحف العمال وغيرها على وزير الخارجية بريطانيا وتصريحه جريدة ستار تشدد عليه النكير — انتصارات جديدة للأحباش).

ولقد كتب محمد توفيق دياب يندد بسياسة القمع وقتل الأبرياء فى ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ تحت عنوان : «وسائل القمع وإزهاق الأرواح — المرسوم الشاذ لمصادرة الصحف وتعطيلها ادارياً».

«مستحيل علينا التسليم بأن الوسائل التى تلجأ إليها السلطات فى مصر لقمع المظاهرات وتفريق الجموع هى الوسائل المشروع فى حدودها

التي يبيحها القانون وتقرها الإنسانية» .

واللجوء إلى إطلاق الرصاص على المجتمعين أو المتظاهرين إنما يكون إذا تفاقم عدوان المتظاهرين على القوات ولم يعد سبيل إلى تفريقهم إلا بإطلاق الرصاص وقد كان المفروض في وزارة كالوزارة النسيمة كانت الأمة تؤيدها حتى يوم ١٣ نوفمبر — أن تكون من الحرص على أرواح المصريين بحيث تستنفد جميع الوسائل قبل أن تلجأ قواتها إلى استعمال الحديد والنار» .

وقد واصلت «الجهاد» متابعتها للأحداث والتي وصلت إلى ذروتها في ١٨ نوفمبر ١٩٣٥ فكانت عناوين العدد (١٥٠٣) من الجهاد كالتالي :

(تشيع جنازة شهيد دار العلوم في مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل مساء أمس احتجاج الوفد المصري على تصرفات الوزارة النسيمة ويقائنها في الحكم — تفاصيل المظاهرات في القاهرة والاسكندرية والأقاليم — تعطيل الدراسة في ثلاث للبنات بالقاهرة ومدرسة الزراعة بشبين الكوم — بناء مقبرة للشهداء بالاسكندرية) .

ثم تابعت الجهاد في اليوم التالي مواصلة عناوينها الساخنة (١٩) نوفمبر — العدد (١٥٠٤) .

(نصر احتجاج الوفد لدى عصبة الأمم — الرئيس الجليل وحرمة المصون يواسيون الجرحى في مستشفى القصر العيني — صاحبة العصمة أم المصريين تستقبل جوع الآنسات المتعلقات في بيت الأمة) .

كانت هذه عناوين الصفحة الأولى وعلى يسار الصفحة نشرت الجهاد صورة كبيرة لمصطفى باشا النحاس وحرمة السيدة زينب الوكيل

والدكتور على ابراهيم عميد كلية الطب فى زيارة لعبد الحكيم الجراحى الذى أصيب برصاص البوليس ثم صورة أخرى فى أسفل الصفحة تحت عنوان (اعتداء مؤلم عند مستشفى القصر العينى) وكتب تحت الصورة: الشاب ابراهيم عبدالمجيد عوض الذى اعتدى عليه أحد الضباط الانجليز اعتداء قاسيا ويرى هنا وقد حملة بعض زملائه .

ثم نشرت الجهاد صورة للجراحى والجنائز فى العدد (١٥٠٥) وخرجت العناوين الرئيسية (أسبوع الشهداء - الأمة تشيع شهيدها السادس فى مشهد شعبى جامع رهيب - الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين - اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها) .

وكتب محمد توفيق دياب يقول تحت عنوان : (أسبوع الشهداء) :
«شهداء فى طنطا وشهيد العمال - شهيد كلية الزراعة -
وشهيد دار العلوم وشهيد كلية الآداب» .

ست من المهج الفنية المصرية مزقتها أبدى الباطشين باسم النظام فى أسبوع ! ستة من الألسنة الهاتفة باسم مصر ودستور مصر واستقلال مصر اسكتها المسكتون إلى الأبد .

لكنهم اسكتوهم فى الأرض ليسأنفوا أنشودة الوطن وصيحة الحق مجلجلة فى السماء بين إخوانهم الشهداء السابقين المجاهدين بأرواحهم فى الآخرة كجهادهم فى الدنيا بالجوارح والقلوب .

«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» .

إن من يقرأ جريدة الجهاد خلال النصف الثانى من شهر نوفمبر ١٩٣٥ يقف على حقيقة مظاهرات عام ١٩٣٥ والتى يعتبرها البعض

«الثورة الوسطى» لأنها تقف زمنياً وتاريخياً وشعبياً بين الثورتين: ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢.

ولقد نجحت «الجهاد» فى تغطية أحداث هذه الثورة الشبابية بالكلمة والصورة بل وصلت إلى أبعد من ذلك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ إذ نشرت الجهاد رسالة بخط يد شهيد الشباب السادس المغفور له محمد عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب مصر.

فقد نشرت الجريدة صورة زنكرافية للرسالة بخط يد الشهيد قيل إن تصعد روحه إلى بارئها هذا نصها :

إخوانى الأعزاء...

إذ أشكركم شعورك السامى لما أدبته واعتبره أقل من واجبى فى سبيل البلد الذى وهبنا الحياة بل وهب الحضارة للعالم أجمع (امضاء) الجراحى.

(السبت ١١/١٦ — الساعة ١١)

وقد هيات «الجهاد» الأذهان لكل الأعياب المستعمر الانجليزى حين رفع توفيق نسيم الأمر إلى الملك فؤاد فى ابريل ١٩٣٥ بشأن إعادة الدستور وقد وافق الملك على طلبه ولكن بريطانيا مارست لأعيابها فى التسويف والمماطلة فعكست الجهاد الشعور العام المصرى تحت عنوان: «الحقيقة التى نفتقدها».

ثم استمرت الجريدة فى سياستها فى مواجهة المماطلة الانجليزية فقد نشرت «الجهاد» فى ١ يونيو ١٩٣٥ (العدد ١٣٥٤) عناويناً تفصح عن فحواها وتكشف لأعياب السياسة البريطانية: (الشرف السياسى

البريطاني في كفة الميزان — أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال).

اجماع زعماء الأحزاب البريطانية في مجلس النواب في سنة ١٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصرى — نصوص تصريحاتهم بالانجليزية وترجمتها العربية — قرارات خطيرة للجمعية العمومية للمحامين).

ولقد نشرت «الجهاد» على يمين الصفحة الأولى: (النص البريطاني السياسى في كفة الميزان — ماذا قال مستر مكدونالد وسير أوستن شمبرلن في سنة ١٩٢٨ بمجلس النواب البريطانى — حكم مصر الذاتى والدستور المصرى — المناقشات البرلمانية في مجلس النواب البريطانى بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٨ والترجمة العربية للنص الانجليزى).

ثم واصلت الجهاد «حللتها في عددها ١٣٥٣ بتاريخ ٨ يونيو ١٩٣٥: (تأليف الوزارة البريطانية الجديدة وأسماء أعضائها — الأعيب ومداورات نشين الدبلوماسية البريطانية ونجنى على سمعة الشعب البريطانى).

وقد نشرت الجهاد المذكرة التى قدمها توفيق نسيم إلى الملك فى ٨ يونيو والتى تؤكد جدية التفكير فى إعادة الدستور فى خلال تلك الأونة.

هذا وقد دعا مصطفى النحاس يوم الجهاد فى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وزارة توفيق نسيم إلا الاستقالة بل أنه هدد بعدم تأييدها ومحاربتها إذا لم تقدم استقالتها على الفور. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك رد فعل جماهيرى تمثل فى المظاهرات الشعبية التى سقط بسببها شباب مصر

أن دور جريدة الجهاد وصاحبها محمد توفيق دياب كان فعالاً في الهاب
حماس القرار والجماهير فى ثورة ١٩٣٥ وكان رائداً من حيث التغطية
الصحفية الكاملة للثورة الوسط فى تاريخ مصر الحديث فى القرن
المشرين ما بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢ إلا وهى ثورة ١٩٣٥ .. ومن
مفارقات الأيام إن يأتى اسم جمال عبدالناصر مفجر ثورة ١٩٥٢ لأول
مرة على صفحات الجهاد من خلال اشتراكه فى مظاهرات ١٩٣٥
ومن خلال متابعة دقيقة للجهاد لأدق تفاصيل هذه الثورة الشعبية .

« ليس فى طوق النفس إن تتمثل فتستحضر الرجل والصديق والكاتب والخطيب والوطنى والمجاهد فى توفيق دياب فكل أولئك قد حبسوا مع شخصية بين جدران سجن لا ينفذ إليه نور ولا يشع منه نوراً.. ولكننا رغم ذلك كله قانعون بما بقى لنا من توفيق دياب فقد بقى لنا الكثير بل بقى لنا الكل فى الكل إذا بقيت لنا نفسه» .

«مكرم عبيد»

الباب الرابع
توفيق دياب سجيناً من أجل الرأي الحر

كان توفيق دياب فى خوضه معترك السياسة نزاعاً إلى الحرية واستقلال الرأى يرفض فى اباء أن تفرض عليه خطة يتبعها أو مذهباً يلين به .. كان لا يقبل شيئاً يرفضه ضميره ولا ترناح إليه نفسه .. وكان يعرف قدر نفسه ويعتز بكرامته واستقلال شخصيته . ومن أجل ارائه ومبادئه دخل توفيق دياب السجن لأنه تجاسر وهاجم على صفحات جريدته «الجهاد» وزارة صدقى الحديدية وبرلانه المصطنع ويتم بإهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الأولياء وليحكم عليه بالسجن تسعة شهور . ولكن توفيق دياب يخرج من سجنه السياسى أشد بأساً وأقوى عزماً ليقول لصدقى رئيس الوزراء حينذاك :

« ان الحرية فى مصر مازالت جنيثا فى غيب القدر . ومن الخير أن يعانى المصريون فى سبيلها كثيراً من الشدائد حتى لا تهون عليهم إذا غمض عنها اليوم السعيد المنتظر . ولو عاد دولته أو مثل دولته إلى مثل ما صنع لعننا إلى مثل ما كتبنا ولو استحال السجن إلى درك يتلظى فى أعماق الجحيم» .

وقد سبق توفيق دياب إلى السجن الكثير من الأدباء والشعراء

والكتاب فى العالم على امتداد التاريخ الإنسانى : المتنبى وأبو الفراس الحمدانى وابن زيدون والمعتمد بن عباد ومحمود سامى البارودى ومن أدباء الغرب : ديستوفسكى وفلنلون والقائمة طويلة لاتنتهى فى أدب السجون أرق الأحاسيس وأعذب الألحان فلاشك أنه مما يؤلم الأديب المضطهد حبسه واخراس صوته لذلك نجد فى أدب السجون أشجى التلاحين وأصدق العواطف وأعمق الأحاسيس التى تهز الأفئدة الحرة والنفوس الأبية .

وكان عملاق الفكر العربى عباس محمود العقاد قد سبق توفيق دياب إلى السجن عام ١٩٣٠ حيث ترامت الإشاعات بأن الملك فؤاد سيحاول الاعتداء على الدستور ويعطله ويحل مجلس النواب فكبر ذلك على العقاد الذى يتبنى الديمقراطية التى تقوم على أن الأمة مصدر السلطات وأن الحكم الديمقراطى الصحيح يجب أن يركز على ارادة الشعب .

ولما عقد مجلس النواب اجتماعاً خاصاً للنظر فيما يدبر للحياة النيابية وقف الخطيب وانتقد بشدة خصوم الأمة وأعداء الدستور . وأطلق عبارته المدوية الخالدة :

«أن الأمة على استعداد لأن تحق أكبر رأس يخون الدستور أو يعتدى عليه» .

ولما مثل رئيس المجلس بين يدى الملك فؤاد فى إحدى المناسبات قال له الملك فى خلال حديثه معه «عباس العقاد يريد أن يحطم رأسى» ولم تستطع السراى محاسبة العقاد لتمتعه بالحصانة البرلمانية ولكن أخذ رجالها يتبعون مقالات العقاد الشديدة اللهجة ليجعلوا منها

الأدلة على العيب فى «الذات الملكية» التى دخل بسببها العقاد «عالم السدود والقيود لمدة تسعة شهور» .

ولقد تعرض توفيق دياب للسجن مرات عديدة بسبب مقالاته التى كان يحارب بها الرجعية فى السياسة المصرية خلال حكم الملك فؤاد وإيان وزارة اسماعيل صدقى حيث قضى فى إحدى المرات تسعة شهور بعد أن برأته محكمة الجنايات ثم تدخلت السراى فى القضاء فحكمت عليه محكمة النقض بتسعة شهور.

وقد علقت مجلة اللطائف فى ٦ مارس سنة ١٩٣٣ على حكم محكمة النقض بحسب توفيق دياب بقولها :

إن كان عندك يا زمان بقية مما يضمم بها الكرام فهاتها
رأت محكمة النقض أن مانشره الكاتب القدير الاستاذ محمد توفيق
دياب خاصة بمجلس النواب يستحق عليه العقاب واقتنمت بأن مدة
العقاب ثلاثة أشهر فأصدرت حكمها أما المحكوم عليه فقد رضى بالحكم
واقتنع بتنفيذه على خير وجه يقوم به الشجاع الذى لا يعرف للجبن
شبحاً ولا رسماً وهو صاحب الجهاد .

فهل اقتنعت الحكومة ورجالها المسئولون بأن السجن الذى يضم
المجرمين والسفاكين والقتلة والنشالين واللصوص والنصابين وذوى
النفوس الوضيعة هو السجن الذى يضم قادة الرأى وأصحاب النفوس
الشريفة الأبية ورجال العلم والأدب والسياسة والثقافة من المصريين .

إن فى سجن مصر قسماً للحريات لهم امتيازات يتمتعون بها فعلاً
كان للصحفى مثل هذا الامتياز حتى لا يتساوى فى المعاملة بأحط

الناس المجرمين وحتى لا تخافك له المؤامرات داخل السجن وحتى لا يسأم عذاباً بدنياً فوق عذاب الضمير الذى يتحمله فى شمس وإياء .

ليس السجن مذلة أو عاراً إلا للمجرمين الأذنياء فقد دخل السجن سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن أدعت عليه امرأة العزيز ما ادعت فقال : «رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه» .

وقديماً دخل السجن الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وعرض عليه القضاء ففضل السجن على تولى القضاء خوف انحراف النفس إلا مالا يقال عنه عدل .

وكم من الأمراء والخلفاء دخلوا السجن لا لجرمة اقترفت بل لمخالفة فى رأى أو دفاع عن عقيدة . وكم شاعر وكاتب وأديب وخطيب وصحفى وصف السجن وهو سجين وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام قول بعضهم :

«قال حسبت فقلت ليس بضمائرى حبس وأى مهند لا يغمد» .

هذا ما أراده الله وهذا ما رضيته المحكمة الموقرة التى أصدرت حكمها وهذا ما عمل على تنفيذه الاستاذ دياب فـا الذى تريد أن تقعله الحكومة على رجال الصحف الذين تعرف قدرهم ومكانتهم وأنهم يسجنون لارتكاب جماعة صحفية فلم يقتلوا ولم يسرفوا ولم تخرج جرائمهم عن نشر آرائهم وعقائدهم ؟!

وتساءل مجلة اللطائف قائلة :

ما الذى يقصده الشارع من تنفيذ مدة العقوبة ؟! أيقصد تعذيب السجين الصحفى وتعرضه للأمراض والاسقام أم يقصد حبسه عن

الحرية وتأديبه وزجره بحجزه وأقصائه عن العالم الحى ؟ وهذا منتهى ما ينتظر أن يعاقب به مقترفوا جرائم الرأى والعقيدة بل هذا ما يعاقب به المجرمون السياسيون فى الممالك المتمدنة الغربية ذات السيادة والاستقلال .. وقد لا يدرك من بيدهم الأمر مقدار ما بلغه السجين فى السجون المصرية وقد يظنون أن شىء ممنوع ولو عقب سيجارة والعقاب لا بد واقع على المسجون مادام هناك شهود تشهد .

والعقاب فى هذه الحالة يتفاوت بين الحبس الانفرادى ومدته من ثلاث أيام إلى ١٤ يوماً وحسب رجال الحكومة أن يدركوا أن الحبس الانفرادى هو الإقامة فى زنزانة بلا فرش ولا غطاء فى الصيف والشتاء . ولا يقدم للمسجون من الطعام غير رغيفين من عيش السجن وكوز من الماء وإن تكرر - الاتهام - أو الجريمة جاز جلد المسجون من ٦ جلدات إلى ٣٦ جلدة بسوط له عشرة فروع من التيل المفتول وفى كل فرع عشر عقد ويوضع فى الماء والملح قبل موعد الجلد بعشر ساعات لتتصلب تلك الفروع وهذا ما نستبعد وقوعه .

فهل يستطيع أى إنسان سجين أن يبتعد عن مخالفة المجرمين الأشرار مع وجود هذا التعذيب البدنى أو ينخرط فى سلوكهم دفاعاً عن حياته ؟ .

ويدخل توفيق دياب السجن .. ولكن من الحدير بنا أن نعرف الساعات الأخيرة قبل دخوله السجن لتتعرف من خلالها على شجاعة وجسارة وإيمان توفيق دياب .

كيف كانت الساعة الأخيرة قبل دخوله السجن على نفسه ؟ إن السياسى الكبير مكرم عبيد يصف تلك اللحظات الحاسمة فى مقالته

التي نشرها في اللطائف المصورة « في ١٣ مارس ١٩٣٣ » تحت عنوان :

« الأستاذ توفيق دياب سجين قره ميدان » فيقول :

بعد أن ختمت مرافعتي أمام محكمة النقض والابرار وقف الأستاذ توفيق دياب مدفوعاً بتلك الحاسة الطبيعية فيه فأعلن احترامه لحكم المحكمة والقانون ثم أكد في الوقت نفسه أنه لم يكتب إلا ما أملاه عليه ضميره واعتقاده . تلك هي الناحية التي عنى بها رجل الضمير والاعتقاد، فإنه أراد أن يقنع قضاة بصحة اعتقاده وأن رأوا فيها هذا الاعتقاد خطأ أو مخالفة لأحكام القانون .

وبعد أن خرجنا من المحكمة ذهبنا إلى منزلي حيث دعوتني لتناول طعام الغداء معي، وبينما نحن على مائدة الطعام دق جرس التليفون، فإذا بدولة الرئيس الجليل يخبرني بصوت تهذجت نبراته أن قد صدر الحكم على توفيق دياب بالحبس مع الشغل وبالغرامة .

ويروى مكرم عبيد كيف أبلغ توفيق دياب نبأ الحكم عليه لم أدر كيف أبلغه هذا الخبر الذي لم يكن يتوقعه، فافتعلت ابتسامة، وتصنعت شجاعة، وقلت له ضاحكاً ضحكة — هي أقرب أنواع الضحك إلى البكاء — هيء نفسك يا صديقي للسجن فقد صدر حكم القضاء عليك، فلشد ما دهشت عندما رأيته يتقبل هذا النبأ برباطة جاش وشجاعة لا تعمل فيها ولا اصطناع، ثم راح يواسينا ويضحك من وجوعنا، وبعد هنية دق جرس التليفون مرة أخرى، فإذا بأفراد من أسرة الأستاذ دياب يستعجلون حضوره إليهم خشية أن يقبض عليه قبل أن يروه .. !؟ وبعد أن أكلنا وعلم الله كيف أكلنا — اصططحت

توفيق دياب إلى منزل دولة الرئيس الجليل وهناك رأينا الرئيس الذي لا يزعزعه خطب - رأيناه محققن الوجه، جاف الدمع، متهدج الصوت، وما أسرع ما هرع الجندى إلى ذراعى قائده يقبله ويتلقى قبلاته، فكان مشهداً بليفاً فى سكونه، وفى جلاله .

ثم يصف لنا مكرم عبید كيف استقبل عمل «الجهاد» توفيق دياب بعد علمهم بهذا الخبر الحزين ... وكيف كان وقع هذه الصدمة على أسرته وأبنائه الصغار «كامل» و«صلاح» .

ثم رجعنا إلى دار الجهاد، وإلى دار صاحبه فاستقبلنا عمال الجهاد ليكون فعلمت أنهم سيكون فى السيد الذى يخدمون، الرجل الذى يحبون .

ثم تركنا الاستاذ ودخل إلى داره ليودع الزوجة والأولاد.. وهنا يجب أن اعترف أن الدمع الذى كان جائشاً فى صدرى غلبنى فى النهاية على أمرى. فبكيت لمجرد ما تخيلت .

وبعد هنيهة خرج توفيق دياب مبتسماً، أو بالأحرى محاولاً الابتسام، وطفق يحدثنا ويسامرنا، وبدلاً من أن تشجعه راح يشجعنا، ثم رأيت يسكت بغته وينعقد الكلام فى لسانه، فلاحت منى التفاتة فرأيت «كامل» و«صلاح»، نجليه الصغيرين، يدخلان علينا وفى عينيها البريشين نظرة أرجو أن لا يرنى الله مثلها حتى أموت .

نظرة حائرة بين الفهم وعدم الفهم، الألم ودفع الألم وما أن رأيا أباهما حتى انطههما الله ترجمة تلك النظرة الواجفة، الخائفة، فصاحاً، بابا بابا وهى عالية ليتأكدا من وجودهما معه ووجوده معها!!

اللهم رحمة بنا نحن الرجال من حزن الأطفال .. عذراً يا حضرات
القراء فليس فى مقدورى أن أكمل ما بدأت .. ولكن حسبكم أن
تعرفوا أن صاحب الجهاد كان فى أسرهِ أعظم منه حرّاً، وفى جلده
أعظم منه مجاهداً.

ثم يعقب مكرم عبید على هذا الموقف الحزين بقوله :
أيها الصديق السجين ...

لا أكاد أصدق أنك فى سجنك تتعذب بما لم يعذب بمثله منكوبوا
البدارى فأنت مريض وقد حرمت حتى حق المرض وفراش المرض
وطعام المرض، ولكن يا صديقى أنت تستعيض عن الفراش الوثير براحة
الضمير.

وبعد فهذا حكم القضاء الأعلى وحكمه يجب أن تنحنى له
الرؤوس، أياً كان أثره فى النفوس.

وكانت الحكومة قد قدمت توفيق دياب إلى محكمة الجنايات بتهمة
القذف فى رئيس الحكومة والوزراء وعرضت القضية على ثلاثة
مستشارين شجعان فحكموا بالبراءة وقالوا إن نقد الحكومة حق مباح .
ونقضت الحكومة الحكم وعرضته على محكمة النقض برئاسة عبدالعزيز
فهى باشا رئيس محكمة النقض، وعلى الرغم من أنه كان فى شبابه
يؤيد حرية الصحافة وينادى بالديمقراطية إلا أنه فى شيخوخته كان
ضد الحرية وضد الديمقراطية وخاصة ضد صحف الوفد التى هاجمته فى
وقت من الأوقات، وفوجئ الناس بالقاضى عبدالعزيز فهى باشا
يلغى حكم البراءة، ويحكم بسجن توفيق دياب ثلاثة أشهر يضيف
إليه حكماً آخر بستة أشهر مع وقف التنفيذ فيصبح الحكم بسجن توفيق
دياب تسعة أشهر مع النفاذ المعجل والشغل .. !

وقامت قيامة الرأى العام ضد هذا الحكم الظالم وقامت مظاهرات
فى الجامعة والمدارس تهتف بحياة توفيق دياب وسقوط القاضى
الظالم...!

ودخل توفيق دياب سجن مصر وادخلوه إلى الحمام وامروه بنزع
ملابسه، وكانت سبقتة أوامر بمعاملة المحرمين العاديين، ولكن
الصحفيين ثاروا لهذه المعاملة، وارغموا وزير الداخلية أن يسمح له بأن
ينام على مرتبة بدلاً من البرش، وكانت المرتبة عبارة عن كيس قاش
محمى بالقش، عرضها ٦٠ سنتيمتراً وليست هناك وسادة يسند له رأسه
إليها. وسمح له بصفة استثنائية أن يلبس حذاء يمنع الرطوبة، وأن
يرتدى ملابس صوفية تحت بدلة السجن نظراً لإصابته بالروماتيزم.

ولقد كان وقع هذا الحكم شديداً على نفوس الأمة عامة وعلى
الصحفيين خاصة ولو اختلفت النزعات والاتجاهات.

فقد عرضت جريدة (الأهرام) بما قامت به نقابة الصحفيين وطلبها
من الحكومة فى عهد دولة توفيق نسيم باشا وما كتبه دولته إلى مصلحة
السجون بأن يعامل الصحفيون معاملة لائقة بهم ومريحة لهم وطالبت
الحكومة بمعاملة الاستاذ بتلك السابقة التى صدرت من سنوات.
واستكثرت جريدة (السياسة) معاملة الصحفى كمعاملة بائع
المهدرات واللصوص والقتلة وطالبت الحكومة بمعاملة الصحف معاملة
خاصة ولا يراعى فى حبسه أكثر من حرمانه من الاختلاط بالناس
وضربت أمثلة بسجون العالم المتمدين.

وتساءلت (البلاغ) عن النحو الذى سيقضى عليه الزميل الفاضل
أيام سجنه وتكلمت عن الأمر الصادر من دولة نسيم باشا بمعاملة

الصحفيين معاملة خاصة وعن العهد التى تضمه دولة عدلى يكن باشا أمام مجلس النواب باسم الحكومة بوقف أحكام لائحة السجون فيما يختص بالمحكوم عليهم فى جرائم النشر.

ولم تبق جريدة إلا استعرضت الحكومة وطلبت تنفيذ ماتحت يداها من أوامر.

وطالب الدكتور محمود عزمى الصحف المالية لوزارة صدق بآن تكون راشد من صحف المعارضة الحاحاً على الحكومة فى تغيير نظام السجون بالقياس إلى جرائم الرأى والاسراع إلى تحسين حال توفيق دياب فى سجنه .. يطالبها بآن ترضى نفسها باستهدافها الخير لذاته قبل أن ترضى الحكومة .

ويلتقط الخطط الدكتور طه حسين فيعقب :

« صديقنا محمود عزمى ينتظر من الصحف المالية للوزارة كما ينتظر الناس من الصحف المالية للوزارات فى أوروبا أن تذكر قبل كل شىء أنها صحف وأن الصحف إنما أنشئت لتدعو إلى الخير وتلح فيه تسرع إلى الإلحاح على الحكومة فى أن تقدر كرامة الرأى وتعامل توفيق دياب كما يعامل أمثاله فى البلاد التى تقدر الحرية وكرامة العقل .

هو ينتظر هذا كله ومن حقه أن ينتظر هذا كله لأن طبيعة الأشياء إذا استقامت وجرت على منهج معتدل من حب الحق والخير تقضى على الصحف المالية للحكومة أن تقف من توفيق دياب ومن نظام السجون هذا الموقف الذى ينتظروه منها صديقى عزمى .

ولكن طبيعة الأشياء قد التوت فى مصر والمنهج الذى تجرى عليه
قد فسد وأعوج ، وصحف الوزارة لا تستطيع أن تكون أسرع من صحف
المعارضة إلى المطالبة بتغيير نظام السجون والاصلاح من أمر توفيق
دياب لأنها قبل أن تفكر فى الخبر لنفسه مضطره إلى أن تفكر فيما يمكن
ومالا يمكن ... فيما يراد ومالا يراد ... ثم فيما يقال ومالا يقال ، ثم هى
مضطرة إلى هذا فليس من اليسير عليها أن تصارع الحكومة بالحق أو
تلح على الحكومة فيما لا تحب .

ولو قد فعلت لما لقيت من الحكومة خيراً ، ولا عرضت عنها وجوه
تحب أن تقبل عليها ، ولا زور عنها أشخاص تحب أن يلقوها بالبشاشة
والايناس .

هى إذن مضطرة أن ترضى الحكومة قبل أن ترضى نفسها وقبل أن
ترضى فكرة الصحافة .

نعم .. وأكبر الظن أن توفيق دياب سيلقى مايلقى فى سجنه
صابراً كما عرفته جلدأ كما عرفته باسمأ للخطب كما عرفته باسمأ
للخطب كما عرفته حتى يغير الله حالأ بحال وحتى يجعل الله قوماً مكان
قوم .

وكتب عباس حافظ رئيس تحرير جريدة الوادى مقالأ فى مجلة
اللطائف المصورة بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٣٣ تحت عنوان : (محمد
توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته) يقول فيه منتقداً
بشدة ما حدث لتوفيق دياب :

توفيق دياب الآن .. وأسفاه فى السجن .. نعم فى أحد السجون
المصرية التى لم تبلغها بعد رسالة الاصلاح الإجتماعى التى عمت سائر

بلاد الحضارة والتقدم.

وأسفاه مرة أخرى لالدياب العزيز. ولكن لمصر التاعسة المهمة لأنهم قضوا عليها بالتخلف عن العالم المتحضر واحتقروا فيها الرأي والعقيدة والفكر يا لسوء..!

ولكنه للآن رهن المحبس الأليم ينام على حصير خشن يطبع على جلده والأديم وينتظره الثوب الممزق عند المجرمين الذين يشتغلون فى السجن عند جناح الحائكين والحائطين ليعالج سروراً أو يحاول رتقه .

أو يطلب منه تحويله أو يكلف تطويله أو تغييره وهو الذى لم يحسن غير حياكة الكلام فى أحسن الأساليب وتطريز الألفاظ وتفصيل المعانى فى أجل الثياب بين غلالة شفاقة وبرد طريف ورواء قشيب وما صنع المجتمع به كذلك .

واحزنه لدياب ووأسفاه لمصر..!

أن كل ليلة تمضى على هذا الصحفى المفكر الكبير فى المحبس طريحاً فوق «برشه» اهانة بالغة فى حق الفكر الإنسانى وسخرية صارخة من معانى الحضارة التى أحببناها من أسلفها وعرضناها من أعلاها واحتقار معترف بمصطلحاته وهماً اليوم منبر الشعوب وأكبر جامعات الأسم وأعظم معاهد الدراساتين.

ولكن بقى على الصحافة أن تبحث عن كرامتها منذ ضاعت بين قسوة اللائحة واسف منفذها لعجزهم عن تغييرها أنها شرعة من السماء نزلت وناموس من الطبيعة لا تبديل فيه ولا تحويل.

وإذا كان الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قد وصف لنا تجربة

سجنه فى كتابه القيم « عالم السدود والقيود » وكذلك فعل الكاتب الروسى الكبير « دوستوفسكى » حين وصف لنا تجربة سجنه فى سيبيريا من خلال كتابه « ذكريات من بيت الموتى » فإن الأديب والصحفى الكبير محمد توفيق دياب قد وصف لنا تجربته الفريدة فى السجن من خلال مذكرات نشرها سلسلة فى ابريل ومايو سنة ١٩٣٣ فى مجلة اللطائف المصورة ونشرها تحت عنوان : (مع الاستاذ دياب فى السجن فى قرة ميدان — تفاصيل جديدة لسجين أطلق سراحه وكتب مذكراته للطائف) .

وإذا كان عباس محمود العقاد قد وصف لنا لحظات دخوله السجن فى « عالم السدود والقيود » بقوله :

« فتحت الكوة الصغيرة ثم فتح باب الرتاج الكبير ثم احتوانا البناء المخفور الذى يعرف فى مصطلح السجن باسم « سجن مصر العمومى » ويعرف على ألسنة الناس باسم « قرة ميدان » أى الميدان الأسود باللغة التركية وخطر لى — وأنا أخطو الخطوة الأولى فى أرض السجن — قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة :

دخولى باليقين بلا امتراء

وكل الشك فى أمر الخروج

فهو تقرير فلسفى صحيح للواقع !

أما الدخول فما هو ذا يقين لاشك فيه وأما الشك كل الشك فهو فى أمر الخروج متى يكون وإلى أين يكون ؟ .. إلى رجعة قريبة من السجن وإليه ؟ .. أم إلى عالم الحياة مرة أخرى ؟ أم إلى عالم الأموات ؟ ...

أما محمد توفيق دياب فقد كتب في مذكراته في اللطائف المصورة بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٣٣ يصف أولى ساعات دخوله السجن بقوله :
أنها أصعب لحظات حياتي... أن يدخل الإنسان هذا العالم الغريب... عالم السدود والقيود... لكن كل شيء يهون في سبيل المبدأ... كل غال ومرتعص يهون من أجل أن يقول الإنسان كلمة حق... كلمة صدق... ولأن دوام الأحوال من المحال فإن قلبي ليستشعر القوة ولما لا... أليس الصدق قوة تملو الضعيف المستر والمرص الكامن في قلوب المستبدين .

وحدث موقف اليوم في السجن فقد أراد أحد الزملاء من الصحفيين أن يستعير كتاب من مكتبة السجن وقد ظن أنه سيجد معاملة خاصة بالصحافيين . ذهب إلى المكتب فقبول من موظف عادي مقابلة لا شراسة فيها واضطر الموظف لأن يقدم له في أدب وتظرف ما يقدمه لكل سجين مجرم مثل النمرة وتذكرة باسمه وسنه وتاريخ دخوله السجن وتاريخ الإفراج عنه ونوع الجريمة ليعلقها على باب حجرته .

أعقب هذا الهدوء امتعاض كون زفرة لفظها الاستاذ حينما تباطأ في الخروج وظن أن هناك ما يدعو لبقائه في المكتب وما شعر إلا والسجان الذي لازمه من البوابة إلى المكتب يأمره بالخروج إلى إتمام عملية (الإيراد) فقال له الاستاذ ارشدني لأنني أجهل هذه العادات وخرج أمام السجان .

يُمتنع عن دخول الحمام:

بعد مغادرته المكتب وجد نفسه في ذلك الفناء غريباً عن كل ما به وإذا بالتورجى الخاص بالحمام قد استقبله وقاده إلى الحمام وطلب منه

أن يخلع ثيابه ويدخل ليقف تحت الدش. فامتنع الأستاذ عن الاستحمام بالطريقة المعروفة فى السجن.

ولو كان الممتنع سجيناً عادياً للاقى مالا قبل له على احتماله.. فاضطر التورجى لأن يبلغ الأمر إلى المكتب. ولكن التعليمات تقتضى بأن كل سجين — بلا تمييز — يقف فى الحمام بعد نزع ملابسه ويسحتم بالماء. فعاد المبلغ وطلب إلى الأستاذ ثانية أن يخلع ملابسه فامتنع قائلاً إذا شئتم فانزعوها عنى قهراً فاضطروا لتنفيذ القانون بأن نزعوا ملابسه. وأما هو فقد استسلم لهم ودخل الحمام واستحم تحت الدش فى مكان ينفذ إليه الهواء من نوافذه الصورية وامتنع عن تدليك جسمه بالفرش التى تشبه فرش تطهير الخيل والتى تقوم مقام الليفة والصابونة وبعد الاستحمام لبس ملابس السجن وادخل دور ٩ — دور الملاحظة —

ثم يصف لنا توفيق دياب غطائه فى السجن وملابسه فى صورة وصفية دقيقة قائلاً:

ولست السجن المتأزء بل هناك من المجرمين العاديين القتلـة والصوص من يتمتع بامتيازاً أكثر من الأستاذ دياب من غير أن تكون له حقوق زمالة أو لم يكن من فئة محترمة تتكلم بلسان الأمة كالأستاذ دياب.

وبرهانى على ذلك أننى رأيت سجيناً فى دورته — الذى قضى فيه مدة الاختيار الأستاذ دياب — فدهشت حيث رأيت ذلك السجن العادى ينام على سرير لأنه مريض والطبيب رأى أن مرضه يستلزم نومه على سرير فهل كان هذا نتيجة مسعى وهل أقام أبناء جلده

الدنيا واقعدوها حتى تمتع هو بهذا الامتياز؟
لا . ولكن للسجين تعليمات وأوامر هي في مجموعها مثل الأوامر
المسكورية لابد من تنفيذها .

غطاء الأستاذ دياب :

يظن إخواني الصحفيون أن سجينهم تصرف له بطاطين تدفء
جسمه زيادة عن المحرمين وذلك بفضل جهودهم . والحقيقة أن الأستاذ
دياب يغطي جسمه ببطاطين من التي تصرف لكل مسجون ويسمح
لكل مجرم عادي يمرض أو يشكو البرد بثلاث بطاطين دون أن تقام له
ضجة أو تملأ أعمدة الصحف بالشكوى من تلك المعاملة القاسية ، فما
هو الأثر الذي ترتب على مسمى الصحفيين .

ملابس الأستاذ دياب :

يقولون إن الأستاذ دياب يتمتع بارتدائه ملابس من الصوف تحت
رداء السجن الرسمي ويلبس حذاء يمنع رطوبة الأرض عن قدميه
المصابتين بالروماتيزم وفاتهم أن هذه الملابس تباع لكل مسجون يبغى
شراؤها من إدارة السجن — وأعرف مسجوناً كان يزاملنا في دور خمسة
— أى دور الذين لا يزالون تحت التحقيق ويرتدون ملابسهم الخاصة
ويتناولون غذاءهم من منازلهم — هذا المسجون بمجرد الحكم عليه ارتدى
الملابس الصوفية والحذاء غداة صدور الحكم عليه ولم يكن هذا نتيجة
مسمى أو رجاء ولكنه حق خوله له النظام العام داخل السجن ،
وما دام في مقدور السجين أن يدفع ثمن الملابس فهي تصرف له
ويلبسها .

لبدة الاستاذ دياب:

من الضروري أن يغطى السجين رأسه بلبدة مصنوعة من الصوف .
والاستاذ دياب تستقر على رأسه تلك اللبدة التى توضع فى مقدمتها
علامة السجن وقد يشعر السجين العادى فى اللحظة الأولى من لبسه
هذه اللبدة انها ذات أبر محماه تلهب رأسه وتجعله (يهرش) فيها
باستمرار وهو حائر يلقي بها تارة ويعود يرتديها تارة أخرى . وقد حدث
الله حيث لم أشاهد الاستاذ دياب عندما لبس هذه اللبدة .

بدلة الاستاذ دياب:

لست أشرح هنا نوعها أن كانت من نوع الفراك أو السمركنج أو
الشارلستون فهو بدلة سجن من القماش الأزرق ، لا أنكر أنها انظف
من غيرها وهى مكونة من جاكته مقفولة العنق وسراويل . ولا تميز عن
غيرها لا فى شكلها ولا نوعها ويكاد السجين المهذب يتحرق غيظاً حيناً
يرى فى السجن المجرمين الذين صدرت عليهم أحكام من المحاكم
المختلطة يرتدون طاقى نظيفة بدل اللبدة الصوف المشربة بالعرق المنتن
ويلبسون ملابس السجن النظيفة جداً أو الجديدة الخاصة بهم دون
المحكوم عليهم من المحاكم المصرية وهذه الملابس تلبسها طائفة المختلط
فوق ملابس عادية من القانلة أو الكالسون والشراب والشيشب
ويمسكون فى أيديهم مناديل نظيفة ، ويخيل إلى الرائي أنه يشاهد
موسراً فى عزبته لاسجيناً يمضى المدة المحكوم عليه بها ..

ومجرموا المختلط يتناولون طعامهم من الخارج ويورده متعهد خاص
ولكل منهم قلة ومعلقة وشوكة وفى حجرته سرير ينام عليه ومراة ينظر
فيها إلى وجهه ويصلح من شأنه .

مع ملاحظة أن كثيرين منهم من الخدم أو المفلسين من التجار أو الجرسونات أو من حثالة الأجانب الذين يتمتعون بالامتيازات خارج السجن وداخله . فهلا استطاع الصحفيون أن يصلوا إلى مساواة الأستاذ دياب وأمثاله من المجرمين السياسيين بطائفة المختلط ؟ فهو الآن من قبة رأسه إلى أخمص قدميه ليس إلا سجيناً عادياً لا يلمح فى زيه أى أثر للتمييز الذى تستحقه صاحبة الجلالة الصحافة .»

ثم يصف لنا توفيق دياب حياته فى السجن والمهانة التى وصل إليها فى الساعة السادسة صباحاً أى فى الساعة التى كان يأوى فيها الأستاذ إلى فراشه عقب جهاده الصحفى يدق جرس عام ينبه المسجونين إلى أن ساعات العمل أزفت وانقضى وقت الراحة للتعب وتقدم إلى الحجرة التى بها الأستاذ ويفتحها فيخرج كما يخرج غيره . فتتلاقى وجوه جيرانه مع وجهه ويحييه الكل من بعيد . وأن كان هناك امتياز يتمتع به الأستاذ دياب فهو احترام المسجونين الموجودين معه فى السجن له شخصياً لأنهم منذ علموا بوجوده بينهم وهم يرجبون به ويتحدثون كثيراً عن شجاعته وحاسته . وكثيراً ما تعلق وجه الأستاذ ابتسامة لا تدرى نوعها أن كانت للأسف أو للألم أو للشكر لله على أنه لم يكن مضطهداً من المسجونيين الأشرار الذين عرفوا قدره فعظموه وانسوا بثقافته فاكرموه ولم يهينوه كما هى عادتهم مع غيره .

يذهب إلى دورة المياه ليقضى حاجه فيجلس القرفصاء دون حاجز يستره وأنه لساعة مريرة على كل ذى كرامة ونبل أخلاق . وليس فى هذا أى معنى للتهذيب حتى يكون محل قضاء الحاجة بلا ستر . ولو فعل مثل هذا الفعل إنسان فى الطريق العام لاعتبر منتكهاً لحرمه الآداب وخولف على هذا الفعل فهل ما يحظر خارج السجن يباح داخله ؟

ولعل ادارة السجن تعمل على تلافى هذا الأمر بأن تجعل حواجز أو أبواباً للمراحيض .

ثم يتحدث توفيق دياب على غذائه فى السجن فيقول :
يقولون أن الاستاذ دياب يتناول غذاء ممتازاً والحقيقة أن غذاء السجن الممتاز هو الذى تتناوله طائفة المختلط وهو مؤلف من الخضار واللحم والرز والفاكهة والعيش العادى والشاى واللبن والبيض صباحاً .

أما المسجون المحكوم عليه من المحاكم المصرية فلا تنظر عيناه هذا النوع من الطعام حتى يبعث إلى الحرية . أما الطعام الذى يضع فى السجن فلن يكون هذا أكلاً ممتازاً إلا إذا قيل أن إدارة السجن تصرف للمسجون المريض فى دور ٩ لبناً وعدساً وجزءاً بسيطاً من اللحم الخشن الكبير وهذا هو ما تصرفه الإدارة للاستاذ دياب فهل فى هذا امتياز مع أنه يعطى لغيره من المسجونين العاديين إن كان أحدهم يشكو مرضاً ؟

ثم يفرق لنا توفيق دياب بين سجنه وسجن التابعى فى مقاله فى مجلة آخر ساعة (فى العدد ٤٢١) الصادر فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٢ تحت عنوان: (من ذكريات السجن) وكان قد حكم على الاستاذ محمد التابعى أمام محكمة الجنايات لأنه أهان وزير العدل والمأمور لقرية الحصانية . وكان الاستاذ النقراشى أعطى خبراً إلى التابعى بأن تعدياً حدث ضد أهالى قرية الحصانية المعارضين للوزارة . وأنهم شكوا للنائب العام ، وأن وزير العدل طلب من مأمور قرية الحصانية تزوير أقوال الشهود وكانت كل ماتريده الحكومة أن يعترف التابعى بأن النقراشى

مصدر الخير لتقدم النقراشى إلى محكمة الجنايات . وكانت الحكومة
تعتقد أنه وراء جميع حوادث القنابل التى تنفجر وتثير الرعب فى
الوزراء ورجال الحكم ، فأرادت أن تتخلص منه بهذا الاتهام .

ولكن التابعى رفض أن يذكر مصدر الخبر . وحكمت عليه محكمة
الجنايات بالسجن أربعة شهور . ووضع التابعى فى غرفته فى مستشفى
السجن . ولم يرتد ملابس المسجونين الزرقاء . وحدث أن أرسلته السيدة
روزاليوسف علة كافيار استطاعت أن تهربها له داخل السجن وإذا
بالتابعى يشكو أنه لم يرسلوا له مع علة الكافيار فتاحة علب .. !!!

وقد طلب التابعى بعد ذلك حين رأس تحرير مجلة «آخر ساعة»
من الاستاذ توفيق دياب أن يكتب عن تجربة السجن فكتب يقول :
أبى صديقى التابعى إلا أن ينكأ جرحاً قديماً كاد يندمل عبر الزمان .

سألتى أن أكتب لقرائه شيئاً من ذكريات سجنى .

لكن يا أئخى... إن يكن أصابنى قرح فقد أصابك قرح مثله .
وليس كالسجن مكان يحزن الصديق أن يلحقه فيه صديقه ولا
كالسجن مكان يسر الصديق فيه أن يفارق صديقه .. إلى الحرية
ورحاب الحياة . لعلك تذكر كيف اسكنوك جناحاً غير الذى كنت
أسكنه وكيف حرصوا على أن لا نجتمع أو نتلاقى أو نتبادل كلمة أو
تحية . فإذا أخطأ الحراس ومررت قريباً منى أو مررت قريباً منك
تبادلنا التحية برمز الألفاظ وانفراج الأسارير كعاشقين يتخالسان النظر
فى غفلة الرقيب .. !!

لم نحذر ذلك الحذر خوفاً ولا رهباً ولكن صوناً للكرامة من أن يقال
لنا هذا «ممنوع» فلا تفعلوه واشفاقاً على الحراس المساكين من أن

ينالهم من جريرتنا عقاب .

لم أعلم حكمة هذا التفريق المحكم التدبير بين رجلين من أصحاب القلم لكن أعلم أن اللصوص والفتاك ومجرمين آخرين أحط نفوساً من اللصوص والقتال .. ويجتمعون في «عبر» واحد بالليل والنهار فهل من سنن السجون أن يباح اجتماع الشر وأن يحظر اجتماع الخير .. وهل إذا اجتمع صحفيان في سجن قره ميدان نبئت بين جدرانهم جريدة معارضة خطيرة بلا ورق ولا قلم ولا مداد ؟ أم هل إذا اجتمعنا داخل السجن اسقطنا الوزارة خارجه ؟ إذن لا اجتماعنا يومئذ ولو على حراب الحراس .

ثم يفرق دياب بين ثيابه في السجن وثياب التابعي وشتان ما بينها فيقول :

كان ثيابي من مبادل السجون وكانت ثياب صديقي من مطارف شيكورييل ولم يكن التابعي مختالاً فخوراً . لكن كنت أمازحه في خيالي فأقول لنفسى : ماللتابعي يتيه بطيلسانه فكلمها ملا ناظريه من بريقه وسناه مشى يتهاوى كالعروس ليلة الزفاف كان الطاووس قد نفخ ونفخ ونفش ريشه البهى .. ثم انظر إلى ثوبى الأجرب في زرقته الحائلة وحالته المائلة واتحسس البلدة الحشنة على رأسى والصفيحة المرقوقة التى أرادوا أن يعلقوها بعنقى فقلت الموت ولا هذا وانظر إلى النعلين كالداهيتين تصونان الأرض من قدمى ولا تصون من غلظتها القاسية .. واصعد النظر إلى صديقى كلما سنح كالطائر الميمون فأناديه فى صمت عميق . ولا تستوى ثيابك الكريمة هذه وثياب مهينة محقرة ليست ملكاً لأحد ولا خاصة بأحد وإنما هى ثياب القلة تجعلها الدولة نكالا شامعا بين المجرمين فى السجون .

وعن عمله فى السجن فى (ورشة التريزة) يقول توفيق دياب :

« لا بدا لرجال السجن أن يوجهونى إلى عمل أنفع الدولة — كشأن السجناء المحكوم عليهم «بالشغل» لا كشأن التابعى الذى كان حبسه حبساً «بسيطاً» لا شغل له فيه إلا بنفسه ياللانانية — اختاروا لى «ورشة التريزة» جزاهم الله كل خير وافضوا إلى بأنها مجمع الفئة الممتازة من السادة المساجين وبأئى. سأجلس هناك على كرسى — وأمامى ماكينة للخياطة من طراز «سنجر» ستكون حقاً خالصاً لى ما امتدت الشهور السعيدة التسعة ومن يدرى فقد أنبغ «فن الخياطة ما لم أنبغ فن الصحافة فاستمطر المال مدراراً واعب من الحرية ثوباً «فضفاضاً» غير هذا الثوب الذى استحال فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ بكلمة من محكمة النقض والإبرام — إلى قيصر رثاً وسروال غث ملطوخين أساؤك الله بالنيلة الزرقاء! » .

ثم يروى محمد توفيق دياب أخطر حادث تعرض له فى سجنه وكاد أن يحكم عليه بالجلد بسبب فيقول :

شجرت مشادة بينى وبين مدير القسم الطبى فى مصلحة السجن إذ ذاك وهو رجل طيب واستاذ جليل فى الطب حقاً ولكنه تياه. بنفسه بعض الشيء. وخيل إلى — أو لعلها كانت الحقيقة — أنه كان على شيء من العنت فى ذلك اليوم فأغلظت له حتى عدنى معتدياً على رئيس كبير من رؤساء المصلحة التى أدين لها بالطاعة مادمت فى عداد السجناء.. وترك المستشفى مغضباً. وقدم إلى المدير العام للولاء توفيق عبد الله باشا شكوى مؤدها أنه أهنته على الملاء من مرؤوسيه أطباء المستشفى وعلى مسمع ومرأى. من مأمور السجن وموظفيه .

وكبرت المسألة وترامت أبنائها إلى جميع موظفى المصلحة ومن بعضهم تسربت إلى زملائى فى جريدة الجهاد وإلى أخى حسن . وأحسوا أن العهد عهد قسوة بخصوص الوزارة فلا يستبعد فيه شيء وفى لوائح السجون أن الجلد عقوبة من يهين سجاناً فضلاً عن ضابط فضلاً عن مأمور فضلاً عن رئيس يعتبر ثالث ثلاثة بين رجال المصلحة وصدقى باشا هل يتورع عن اتباع هذه العقوبة مع مثل توفيق دياب صاحب جهاد؟ من يدرى؟ أن له نزوات فقد لا تقف عند حد فإذا لو ركب مثل هذه الشطط لن تتبدل الأرض غير الأرض ولن تنفع دياب زعامته لورشة التززية؟

وعلى هذا النحو قضى أهلى وأصدقائى الذين انتهى إليهم البقاء أسبوعين من أيام الجحيم» .

وعن المعاناة التى عاشها توفيق دياب مخافة أن يجلد يقول :

«أما أنا فالإعدام عندى ولا الجلد أن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال إنسان جسم إنساناً بالنسبة السياط ولو كان أحدهما ملكاً متوجاً وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشرى قداسة الروح فهو وعاءها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه .

لم يداخلنى مثقال ذرة من الخوف — لا أريد الخوف من حرقة السياط وأنا أريد خوف وصمتها التى لا عيش بعدها لمصر . أما حرقة السياط فهل هى فى أشد من حرقة النار؟ .. لقد اكنويت ذات مرة بحديد يتوهج لظاه دفماً لآلام النساء (بفتح النون) حتى شممت بأنفى شواء جسدى يحترق — لافى موضع واحد فى النوبة الواحدة قبل فى مواضع عدة . لم استعمل مخدراً ولا لذت بغيوبة . ولكنها الإرادة قد

تحمل الجسم السنة السعير مختارة — فيتحمل أما السنة الشياط فلا والله
وفى الجسم حياة .. !!

ولم يداخلنى مقال ذرة من خوف — لأن وجدانى أنبأنى بأن
صديقى باشا لن يفعل لن يجلد توفيق دياب . لعبد العزيز باشا فهمى
أن يحكم عليه بالسجن وبالشغل ماشاء له ضميره وفهمه للعدل
والقانون وكم حكم بالسجن والشغل على عطاء . لكن الجلد ...
صدقى باشا يجلد توفيق دياب . أنه إذن ليجلد نفسه ألف جلدة ويجلد
ثقافته ويجلد منطقة وكياسته وجدرانه بأن يظل رجلاً بين الرجال .

لن يفعلها صدقى — ولم يفعلها .

بعد تحقيق قضى فيه معى كبير مفتش مصلحة السجون ساعات
وبعد أيام من ذلك التحقيق صدر الحكم ... وحرمانى من سررى
أسبوعاً — على أن تبقى الحشية «المرتبة» وانقضى الأسبوع وعماد
السريـر.. ونجا صدقى باشا من معرة الجلد كما نجا توفيق دياب .

ومن الطريف أن توفيق دياب كان فى السجن مطرباً حيث
— على حد تعبيره — كما كان قارئاً للقرآن ... ومن الطريف أنه كان
يسخر من صوته بأسلوبه اللاذع الساخر فيقول :

«والآن افضى إليك بسر طريف هو أنى كنت فى السجن مطرباً
حيث لا يشق له غبار وكيف يشق غبارى وأنا فى غرفتى وحدى وقد
أحاط الظلام بى وأغلق الباب دونى .. سأقرأ القرآن وسأعلو بصوتى
حتى يسمعنى مئات المساجين فى أطباق السجن الثلاثة فيطربوا أو
لايطربوا — سيان — أن استماعهم للقرآن ولو من حنجرة وسط بين
مزمار دواء وزمارة الانذار خير من لغوهم الذى تنزبه ابنية السجن أزيز

المرجل كلما علقت ونهم الأبواب فى المساء وشملهم سواد الليل .
أنا لها... ألم أرزق صوتاً ورثته عن أبى ألم يكن لى أخ اسمه
المرحوم عبده الحامولى فعجب كيف يحتبىء هذا الكنز فى طوايا الريف
ومضى على مصر تقليدها القاسى أيام كانت بعض البيوت تظن أن
احتراف الموسيقى ليس بالعمل الكريم . ألم يكن يحبى أخى أفرحنا
على تحت العقاد ؟ ألم يكن كامل الخطعى استاذة وسامى الشوا صديقه
والشيخ على محمود زميله فى التلمنة لرجالات الفن العربى القديم
وكلهم يذكره ذكر حب واعجاب .

إذن إلى العلى... إلى العلى يا صوت توفيق .. حاك ما شئت على
محمود ونافس ما شئت طريقة الشعشاعى وصوت أحد ندى تشجع
وكلهم غائب وأنت منهم هنا فى حرز حرز .

لكنى لا أحفظ من القرآن إلا سورة نوح .. كفاية ! وبعض آيات
من يوسف وآيات أخرى من هنالك وهنا .. نعمة .. !
ثم يصف لنا توفيق دياب كيف كان يقلد الشيوخ وقراء القرآن
فيقول :

«واتنحنح بعض الشيء واستحضر فى مخيلتى طرائق القراء والتأويل
كما يفعلون ذات اليمين وذات اليسار.. !!»

واجعل يدى إلى صفحة وجهى تارة وإلى أحد المنخرين أخرى
وانطلق «وأنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم
عذاب الأليم» .

وأبدأ «بالأراضى» كما يفعل أصحاب الفن الأصيل فاقرأ مجدداً

فى أناه ومهل وفى قرار مكين يدوى صدهاء فى انحاء صدرى وأوانى
حلقى ثم ارتفع رويداً رويداً مقطعاً بعد مقطع وآية بعد آية وتأخذنى
الجلالة وإذا بالصوت رفيع جداً وبالطرب بديع جداً — لا مؤاخذه —
طربى أنا — وإذا بأزيز المراحل قد سكن وإذا بالصمت قد عم
واستطال وإذا بالسجن يتحول إلى شبه مسجد يقرأ فيه القارئ سورة
الكهف قبل صلاة الجمعة — مسجد يعوزه النور لولا نور الله فى قلوب
كثير من أولئك السجناء مسجد تعوزه الحرية لولا أن الحرية الحققة فى
الضمانر قبلها فى الأجسام !! .

واسمع فى الطريق وراء الاسوار على بعد عشرات الأمتار أناساً
يصيحون «الله يا استاذ» فازداد سعادة وغبطة وأخشى أن يحسب
سماعى فى الطريق أن السجن هو الشيخ على محمود أو الشيخ
الشعاعى .. نعم إلى هذا الحد بلغ بى الغرور؟!

وإذا كان الكاتب الروسى الكبير دوسوفسكى يصف لنا اللحظات
الأخيرة من خروجه من السجن واستقباله لعالم الحرية فى «ذكريات
من بيت الموتى» قائلاً :

«وأسقطت السلاسل وفك أسر... ونهضت ..

كنت أود لو انحنى أرضاً وأمسك قيودى أن ألقى عليها آخر نظرة
وكان يذهلنى الشعور بعدم التحسس بالقيود الحديدية فى مرفقى
ورجلى. وكان السجناء يرددون بصوتهم الأجناس المنقطع الذى
لا تتخالطه بهجه .

«هيا . مع حفظ الله وأمانة وبفضل منه» .

نعم بمنة الله تعالى ! الحرية حياة جديدة بدأت .. كان البعث من

بين الموتى . بالدقيقة التى لاتمضى !» .

أما العقاد فقد كان قد عاهد نفسه على أن يزور قبر الزعيم سعد زغلول أول نسمة للحرية . وفى العقاد بوعده فإنه بعد أن أمضى فى السجن تسعة أشهر وأفرج عنه فى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٣١ فتوجه على الفور إلى ضريح سعد زغلول وألقى على القبر قصيدته التى أشار فيها إلى استمساكه بمبادئه وعقده العزم على الاستمرار فى مقاومة أعداء الدستور وخصوم الأمة وقد استلها بقوله :

وعند ثرى سعد مثاب ومسجد	إلى الزاهب الباقي ذهاب مجدد
إلى قبلة فيها الإمام موسد	إلى مرجع الاحرار فى الشرق كله
	ويشير إلى إقامته فى السجن قائلاً :
فها نذا فى ساحة الخلد أولد	وكنت جنين السجن تسعة أشهر
وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد	ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجبى
فى كل يوم ليلى يغشاك مرتد	وما أفقدت لى ظلمة السجن عزمة
من الرأى يتلو فرقداً منه فرقد	وما غيببتى ظلمة لا السجن عن
سيعهدنى كل كما كان يعهد	عدائى وصحبى لا اختلاف عليهم

أما توفيق دياب فقد قال بعد خروجه من السجن مؤكداً مسيرة
الجهاد :

«لقد عركت أصابعى أمس حين خروجى من السجن ، فوجدتها
مازالت أقوى ما تكون على إرسال القلم حراً جريئاً ، لا يخشى فيما
يعتقده صالح بلاده — أشد أنواع الألم .

ونخبرت نبضى أمس بعد خروجى من السجن ، فوجدته مازال
مطرذاً قوياً كعهده طوال أيام الجهاد .

وتحسست قلبي أمس حين خروجي من السجن، فوجدته مازال ثابتاً بين جوانحي مكيناً، ومازال سليم الإيمان متيناً، لم تذهب الشهور التسعة التي قضيتها في غيابة السجن، بمثقال ذرة من متين بنيانه، أو سليم إيمانه، وما كانت لتستطيع ولو تطاولت إلى تسع سنين.

إنما حططت على جسمي عشرين رطلاً من الحشو، لم تكن لصحتي بها حاجة، فكانت هذه يدأً بيضاء للسجن عندي. وأرجو أن لا يرد على ترف الحياة المنزلية ذلك العبء الذي خلصني منه شظف السجون.

وإنما أثار السجن آلاماً بدنية كانت كمينة، فأولاني يدأً بيضاء، أخرى، إذ نهني إلى مضاعفة العناية بالعلاج.

أن ما كسبت من سجنى يربو على ما خسرت أضعافاً كثيرة. أما خسارة السجين فهل يجهلها أحداً؟.. فقدان حريتي تسعة شهوراً وفي هذه الكلمة وحدها ما يغني عن الشرح والإسهاب.

لكن ما هو الخير الذي خلص لى من هذا البشر؟ وما وجوه النعمة التي استحوالت إليها هذه الثقمة؟ هاأنذا أعالج الجواب.

أحسست يوم نزعت ملابسي لارتدى ثياب السجون — أحسست في تلك الساعة كأنى نزعت كرامتى بيدي، وأن الإعدام أهون على نفسى من هذا التمثيل برجل له من الأنفة ما ليس لكثير من تلك الأشباح التي لا تحسن سوى أن تهوى بمصر إلى الحضيض.

فى ذلك اليوم، بل فى ذلك الأسبوع كله، عانيت أزمة نفسية أوشتك أن توردنى موارد الخوف وأنى لفى هذه الحال، إذا صوت خفى ينادىنى من أعماق ضميرى:

أيتها النفس الأمارة بالسوء، متى كانت الكرامة الشريفة ثياباً ينزع أو ثياباً ترتدى؟ أنى أنا الروح المتعالى فوق المكافاة والمحن. وأنتك لأقرب إلى الله وأكرم عنده فى ثياب المحنة هذه منك فى الحلال الفاخرة. وليس فى وسع كائن من كان أن يفض من كرامتك، وإن كان فى وسعه أن يفض من ثيابك. إنما خلعت كساء من صوف لتسبح عليك أمتك المفداة كساء من عطف واشفاق.

بهذه الكلمات الصادقة جعل ضميرى يناجىنى كل صباح ومساء، حتى انشجرت لثياب السجن بعد انقباض، واسترحت إليها بعد امتعاض، لأنها استحالّت فى عيني إلى رمز واضح من رموز التضحية بالتافه اليسير من طلاء الحياة».

تم يطلق توفيق دياب عبارته الماثورة التى حفرها فى قلوب المصريين:

«إن الحرية فى مصر مازالت جنينا فى غيب القدر.
ومن الخير أن يعانى المصريون فى سبيلها كثيراً من الشدائد، حتى لا تهون عليهم، إذا تمحض عنها اليوم السعيد المنتظر».

ثم يرصد دياب تجربة السجن فى مقاله الشهير فى كتابه «اللمحات بعنوان «ماذا ضرنى سجنى وماذا افادنى». وانعكاس هذه التجربة على زوجته وأولاده فيقول:

«جنيت من سجنى هذه الثمرة: رجحان الجوهر على العرض واللباب على القشور فأصبحت لا أبالى ماذا ارتدى، ولا كيف أنام، وإنما أبالى كيف شعورى وتفكيرى وكيف بثات قلبى، وحرارة يقينى».

وزوجى وأبنائى؟ ألم تفدهم هذه المحنة شيئاً؟
لقد عكفت شريكة حياتى هذه الشهور التسعة حبساً فى الدار، لم
تغادرها إلا ثلاث ساعات زارت فيها السيدة أم المصريين ثلاث
زيارات، لما والت عصمتها من الاشفاف والعطف، ولقرب الدار من
الدار.

وأبنائى اللذين قضوا صيفهم بعد عناء الدراسة وجهود الامتحان،
راكدين بين الجدران لا يكادون يفكرون فى غير أبيهم السجين، حتى
إذا ألفت ساعة نومهم التفوا حول أمهم، وانجسوا إلى الله بقلوبهم
البريئة يضروعون.

أن أبنائى لم يعرفوا من الدهر غير ابتسامة، فكان حقاً عليهم أن
يعرفوا عيوسه.

نشأوا بحمد الله أصحاب موفورين، لاهم لهم إلا المراحة بين
الدرس واللعب وكنت لا أكاد أخليهم أسوعاً من مشاهدة قطعة تمثيلية
اختارها لهم، بعد أن أشهدا على المسرح أو الشاشة، فإذا أقبل
الصيف، وفرغوا من أداء الامتحان قضوا أشهر العطلة مستمتعين بمياه
البحر أو هواء الريف. عيشة لينة هنيئة لم يكدر صفوهم فيها حادث
مذكور.

طالت مهادنة الزمان، فلا بد من أمر يقع، لابد من أمر عنيف
يربح البيت رجاً ويظفر بأبنائى من غرة الأطفال إلى يقظة الراشدين.
لابد لهذه العيون الساذجة أن تذرف الدموع، ولهذا النفوس الوادعة أن
تتجرع الألم. وفوق كل شيء لابد لهؤلاء البنين من الدرس الأول فى
التضحية.

يجب أن يصوموا عن اللعب واللهو البريء تسعة شهور. ويجب أن يصوموا عن نزه الصيف حتى فى ضواحي القاهرة، ومع ذلك يجب أن يكدوا أنفسهم ليحوزوا الامتحان، ارضاء لآبيهم نزيل السجون. وإذن فليجتهد الأستاذ صلاح. حتى ينتقل من السنة الثانية إلى الثالثة الابتدائية، وليجتهد الأستاذ كامل، حتى يجوز امتحان الشهادة الابتدائية. وليجتهد الآنسة عصمت لترقى إلى السنة الثانية من الدراسة الثانوية، والآنستان عليه وإسعاد لترقى إلى السنة الثالثة. وكان ما أرادوا — أم المصريين حفظها الله. تختلف إليهم فتتحفهم بافانين الحلوى، جزاء لهم على حسن بلائهم فى الدرس والتحصيل.

لكنهم تعلموا دروساً أخرى هى خير لهم، ولبلادهم، وأبقى. تعلموا درساً قيمياً فى الغيرة والإيثار، بما انصرفوا عن أنفسهم، وعن حاجاتهم ومطالبهم وبما توجهوا إلى آبيهم السجين. وتعلموا درساً قيمياً فى ضبط النفس، بما اقلعوا عن ضروب اللعب والتسلية هذا الزمن الطويل.

وتعلموا درساً قيمياً فى صدق الشعور بالواجب، بما أقبلوا على علومهم اقبالاً كفل لهم النجاح جميعاً — إنشاء الله — وذلك من غير حافز إلى الجد، سوى إحساسهم بأن العمل على ارضاء والدهم سجيناً، أوجب عليهم من العمل على ارضائه طليقاً.

ولكن الدرس الذى تعدل قيمته سجنى تسعة شهور، والدرس الذى تزول الجبال ولا يزول من نفوس أولئك الأطفال — علمهم أن أباهم إنما سجن فى سبيل عن عقيدته وعن صالح الوطن، وأن الزيد عن صالح الوطن، عمل واجب محمود، ولو أعقب المكاره.

وأدلة ذلك لديهم موفورة . إن اخوانهم فى المدرسة قد ازدادوا اقبالاً عليهم وعطفاً، منذ وقوع الواقعة، بل هم يرون فى أعين المعلمين والمعلمات لعماً من هذا العطف قد يحاولون اخفاءها، لأنهم موظفون، حرام عليهم ابداء الشعور، والسيدات المتفصلات بزيادة أهمهم، لا يوجهن إليها عبارات التعزية، بل عبارات التهنة، ويغبطها على ما حل بزوجهـا من ذلك المكروه فى سبيل العقيدة .

وزيارة الزائرين من وجوه الأمة واحرارها لجريدة الجهاد، ومن وجوه الاقطار العربية وفرق الكشافة فيها — سبيل لا ينقطع — ابداء لعطفهم الكريم على الوالد السجين !

ثم يكشف لنا توفيق دياب جصاص الدروس المستفادة من تجربة سجنه فيقول :

لقد حلت المحنة وانجلت، دون أن تزيدنا إلا غيرة على خير مصر، ودؤوباً على نشدانه .

وأن فينا لقوة على احتمال محن أخرى أشد وأنكى، إذا اقتضتها خدمة البلاد وأملتها العقيدة .

وما هذه النوازل سوى نعم مطوية فى ظواهر نعم، هى نعم من الوجهة العامة . فما نصرة الوطن المقهور، تمرأ نأكله ولا رحيقاً نشره، وإنما هى مكاره نلقأها مصابرين حتى تزول المكاره . وهى نعم من الناحية الخاصة، لأنها امتحان للزعيم ورياضة للنفس وشحد لروح الكفاح، ولو عاد الزمن ادراجه تسعة شهور، وجعل إلى أن اختار وقوع هذه الكربة، أو أطراد العيش الهادئ بين جريدتى ودارى لا اخترت وقوع الكربة ابتغاء تلك الثمرات .» .

ثم ينتقد توفيق دياب القانون الذى تم بمقتضاه محاكمته مؤكداً أن احترام الصحفى هو بلاغة حضارة الأمم .

« لكن ذلك لايعنى أن القانون الذى حوكت على مقتضاه قانون تفره أو ترضاه بلاد متحضرة .

وليس فى الدنيا كلها بلد متحضر يحشر بين اللصوص والقتلة وهاتكى الأعراض والمتجرين بالمخدرات ، رجلاً وقف حياته على الصالح العام ، جريمته جريمة رأى يحشر بين هؤلاء ، ويلبس مايلبسون ويفترش مايفترشون ، لولا برجاء المرض فى حالتى الخاصة ، ولولا أن الشخصية ، إذا كانت محترمة بصفاتها الذاتية ، تبعث الشعور باحترامها فيمن حولها - حتى داخل السجون .

لن تتم لنا أسباب الحضارة بحق حتى ترتقى فى بلادنا اللوائح والنظم ، وحتى نعرف هيئات التشريع عندنا بحزمة المشتغلين بالحياة العامة من ساسة وصحفيين ، وأن احتدمت ألسنتهم وأقلامهم فبلغت حرارة اللهب ، وحتى تعاملهم الحكومات غير هذه المعاملة المزرية .

وإلى أن يتم ذلك ، وإلى أن يصبح الصحفى الشريف فى عين الدولة وليس أقل شأنًا ولا كرامة من القاضى الشريف ، والوزير الشريف ، وحتى ترتقى نظمنا ، ونظرات الهيئات الرسمية إلى سواد الشعب ، وإلى الخاصة من أفراد العاملين ، ستظل بلادنا متخلفة ، مهما يأخذ الآخذون عن حضارة أوروبا من بهرج لاعم وطلاء براق » .

ولكن ما هو موقف جريدة «الجهاد» ومدى متابعتها لاهداث سجن صاحبها ورئيس تحريرها توفيق دياب ؟

ولقد تابعت جريدة «الجهاد» أخبار توفيق دياب خلال فترة سجنه وكانت تورد كشف كل يوم يبين حالته الصحية كما كانت تنشر يومياً أسماء كبار الشخصيات التي كانت تتردد على دار جريدة الجهاد للسؤال عن رئيس تحريرها ولقد اصدرت «الجهاد» بياناً شديداً للتهمة يشجب سوء معاملة توفيق دياب داخل السجن وخرج مانشت الجهاد يحمل هذه العناوين :

«ماذا يراد بصاحب الجهاد- الأستاذ توفيق دياب يعتزم الاضراب عن الطعام» .

ولقد استنكرت الجريدة أن يعامل توفيق دياب معاملة القتلة والمجرمين وقطاع الطرق وهو الكاتب السياسى والأديب الرقيق الذى لم يكتب إلا لوجه الله والوطن .

ولقد تابعت المقالات فى الصحف والمجلات الزميلة للوقوف بجانب صاحب الجهاد فى محنته منها :

« اللطائف المصورة - الأهرام - كوكب الشرق - المقطم » .

ونقلت الجهاد نصوص مقالات الصحف والمجلات على صفحاتها منها ما نشر فى اللطائف المصورة تحت عنوان :

« اسبوعيات دياب » حيث كتبت اللطائف المصورة تقول :

« أخشى أن يشعر القارىء «بان للأستاذ امتيازاً كل أسبوع ولكنى أقرر أنه يلاقى من إيلام النفس كل أسبوع ما يجعله يكره أن يأتى هذا اليوم إذ يؤمر بدخول الحمام يوماً فى الأسبوع ويكون هذا بمشيئة الشاويش القمورجى الذى يكلف السجين أن يحسر ملابسه عن

جسمه ويجرى الكشف عليه وهو عارى الجسم مكشوف العورة أمام
المسجونين قل الحمام خوفاً من أن يكون مريضاً بمرض جلدى ...» .

كما طالب كبار الكتاب فى مفاآتهم (عباس عمود العقاد وطه
حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم) بضرورة التفريق بين معاملة
الأستاذ توفيق دياب المفكر والسياسى والأديب وبين معاملة القتلة
والمجرمين داخل السجون المصرية وضرورة الاسراع باصدار تشريع فى
هذا الشأن .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عقدت ندوة فى نادى الصحافة دعى
إليها كبار الصحفيين وعلى رأسهم الكاتب الكبير محمد حسين هيكل
لبحث أحوال توفيق دياب داخل سجنه وامتناعه عن الطعام .

وأصبحت قضية «توفيق دياب وسجنه» خلال تلك الأونة قضية
عامة افردت لها الصحف والمجلات صدر صفحاتها وأصبحت حديث
الرأى العام الذى أصبح يناصر ويؤيد توفيق دياب فى محنته وسجنه .

لقد كانت تجربة سجن توفيق دياب تجربة ثرية بكل المعانى
وليست هناك أروع من عبارة مكرم عبيد التى توجت تجربة سجين
الفكر والرأى توفيق دياب بقوله :

«ليس فى طوق النفس أن تتمثل فتستحضر الرجل والصديق
والكاتب والخطيب والوطنى والمجاهد فى توفيق دياب فكل أولئك قد
حبسوا مع شخصه بين جدران سجن لاينفذ إليه نور ولايشع منه نوراً
ولكننا رغم ذلك كله قانعون بما بقى لنا من توفيق دياب فقد بقى لنا
الكثير بل بقى لنا الكل فى الكل إذا بقيت لنا نفسه !» .

«كان الخلاف بين توفيق دياب وعباس محمود العقاد بمثابة
الظلال الغامقة التي لا بد منها لكي تتكامل اللوحة الرائعة» .

الباب الخامس
العقاد والجهاد وتوفيق دياب

بدأ عباس محمود العقاد الكتابة في الجهاد منذ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٢ وقد أرتبط التحاق العقاد بالكتابة في «الجهاد» بالأزمة التي كان الوفد يمر بها في خريف ١٩٣٢. وهي الأزمة التي نشأت نتيجة لقبول مصطفى النحاس أستقالة عمده نجيب الغرابلي وأعتراض ثمانية من أعضاء الوفد على هذا القرار وأنضمام صحيفة «البلاغ» - كبرى صحف الوفد حتى ذلك الحين - إلى جانبهم الأمر الذي عرض الوفد لأخطر إنشقاق حدث في صفوفه، منذ الانشقاق الأول الذي تم في عام ١٩٢١، وتمخض عنه تأليف حزب الاحرار الدستوريين.

كما أرتبطت فترة كتابة عباس محمود العقاد لجريدة الجهاد ببعض الأحداث الهامة وكان على رأسها السياسة الإنجليزية تجاه مصر وبدأت مفاوضات مستر هندرسن وزير الخارجية البريطانية مع الحكومة المصرية وكان موقف العقاد منها واضحا كما أرتبطت فترة كتابة العقاد للجهاد بفوز حزب الوفد الساحق في الانتخابات وتأليف وزارة مصطفى باشا النحاس وإن كان قد أستقال في نفس العام لفشل المفاوضات مع هندرسن وهو ما توقعه العقاد في مقالاته.

وقد تولى إسماعيل صدقي رئاسة الوزراء بعد مصطفى النحاس وكانت فترة حكمه استبدادية ضيق فيها الحناق على الحريات بعد ما ألغى دستور ١٩٢٣ وأقام فيه دستورا فصله على الديكتاتورية وقد هاجمته الصحف الوفدية بمنتهى العنف وكشفت دورة فى تقييد الحريات العامة .

وقد ألحق مصطفى النحاس عباس محمود العقاد بجريدة الجهاد لكى يقف بقلمه الذى يستحيل فى المواقف السياسية كالنصل الحاد فى مواجهة الظلم والعسف والجبروت ولكى يقف فى مواجهة جريدة «البلاغ» والتي سبق أن كتب فيها العقاد ولكن أنشق عليها لتعارض آرائه مع آراء القائمين عليها .

والحقيقة أن عباس محمود العقاد دافع من خلال جريدة «الجهاد» عن ، زعامة الوفد فى مواجهة «البلاغ» المعبرة عن الجماعة المنشقة عن الوفد . ومن هنا فقد كتب العقاد مع بداية إلتحاقه للجهاد مجموعة مقالات تناولت مسألة الأزمة التى إنتهت بإنشقاق الأعضاء الثمانية عن الوفد بدأت بمقالته الشهيرة التى هاجم فيها بشدة محمد نجيب الغرابلى وإتهمة بمحاولة القضاء على الوفد وأيد فيها قرار النحاس باشا بفصل الغرابلى ويرد عليه محمد نجيب الغرابلى بمقالة فى الجهاد فى ٣٠ أكتوبر يتخذ فيها من قانون المطبوعات وسيلة لتنفيذ حجج العقاد ويرد عليه العقاد فى اليوم التالى بمقالة شديدة كما تبدو من عنوانها «أصحاب الرئيس وسخف الغرابلى باشا» .

هذا وقد أكد عباس محمود العقاد «فى حديث الصباح» وهى المقالة الافتتاحية التى كان يكتبها أساسا - محمد توفيق دياب وفى

بعض الأحيان محمود عزمى أو عباس محمود العقاد .

ولقد أراد العقاد أن يرد لاسماعيل صدقى الصاع صاعين فلم ينس العقاد مطلقا انه دخل عالم السدود والقيود وتعرض للسجن على أيدي حكومة إسماعيل صدقى الديكتاتورية فكتب مقالة فى الجهاد فى بداية شهر نوفمبر عام ١٩٣٢ بعنوان «المراوغة مع الأصدقاء فكيف بالخصوم ؟!» .

ندد فيها بعلاقة إسماعيل صدقى والإنجليز حيث كتب فى مقالته :-

« صدقى باشا لا يأمن الإنجليز ولا يتفاهم معهم على نية صريحة فى أمر الحاضر، ومستقبله، ولا يدرى ما هم صانعين به من قريب أو بعيد» .

هذه حقيقة لا ريب فيها عن العلاقة بين صدقى باشا والإنجليز يشعر بها صدقى باشا قليل غيرة، لأنها تؤلة وخيب رجاءه، ففيها من قوة الحضور فى الذهن والمثول أمام النظر، فى كل شىء يؤلم ويخيب الرجاء .

صدقى باشا على ريب شديد من الإنجليز، وصدقى باشا مع هذا قد كان أولى الناس ان يأمنهم ويستريح إليهم لو كان للمستعمرين أمان، وكيف وهو وزير مصرى أفاد الإنجليز من المال والمأرب والسياسة، فوق ما أفادهم وزير من وزرائهم المعدودين ؟ فلا مكدونالد ولا سنواين ولا بلدوين ولا أحد من زملائهم يستطيع ان يزعم لنفسه أو لقوته أنه أضاف إلى ثروتهم ومصالحهم المباشرة مثل ما أضافه إلى تلك الثروة وزيرنا المصرى الخطير إلى ماتحت قدميه فلا يحس الأرض ثابته

مكينه تحت قدميه وينشد امنيته الكبرى عند السياسة فلا يصيب عندها جوابا غير المراوغه والتسويق .

ثمانية وعشرون شهرا فى أنتظار المعاهدة ولا معاهدة ولا مفاوضة، بل لازياره للعاصمة البريطانية يشيع عنها الانصار هنا ما يشعون، بل لامقالة سياسية بين الوزير للمصرى ورجل من رجال الإنجليز المسؤولين ولو فى ناحية من نواحي القارة الأوربية، وكل ما ظفر به صاحبنا بعد المحاولة والإلحاف أن يجلس مع وزير الخارجية البريطانية جلسة خاصة فى جنيف كما يجتمع أى رجلين فى قهوة من القهوة، ثم أسفرت هذه الجلسة القهوية عن ثناء الوزير البريطانى على سياسة صدقى باشا المالية كما قال صاحبنا فى خطابه الأخير، وعاد صاحبنا فظن أنه قد ظفر بشيء كبير، أو أن هناك إنسانا فى مصر لا يستطيع، أن يذهب اليوم إلى جسيف فيلقى فيها وزيراً بريطانياً يسمع منه مثل هذا الكلام فى معرض المجاملة وازجاء الفراغ .

«لا . بل يحق لنا ان نقول ان ثناء الوزير البريطانى على سياسة صدقى باشا المالية أنما هى من ضرب التقاضى والاستزادة وليست ضربا من التحية والمجاملة وازجاء الفراغ .

إذ أى وزير بريطانى لا يثنى على السياسة التى تكسبهم جبل الأولياء وصفقات المقاولات والتوريدات، ومكاسب الأفراد والشركات، وريح الملايين من قناطير القطن التى تباع فى أبان المواسم، وريح زيوت الوقود التى يخسر المصرى بضعه قروش فى كل صفيحة منها فرق ما بين الواردات البريطانية والواردات الروسية وبيع الفرق بين عملة الورق والذهب، وريح الفوائد التى نقصت واحداً

ونصفاً فى المائة على الأستاذ الإنجليزية ، وبيع ما وراء ذلك من المنافع التى لا تدخل فى حساب ولا يحفلها الوزراء البريطانيون .

أى رجل من رجال انجلترا المسؤولين لايشئ على سياسة مالية تفيدهم كل هذه الفوائد وتجلب لهم كل هذه الأموال ، ان من الخيانة العظمى ان لايشئ السيرجون سيمون على مثل هذه السياسة أو يستزيدها جهد الطاقة وماكان لصاحب الدولة أن ينتظر الخيانة العظمى من السيرجون سيمون .

فإذا كان هذا قيمة ماخرج به صاحب الدولة من ثناء الجلسة القهرية فى جنيف فقد خرج بغير طائل ، بل خرج مدينا لجلسة الأريب مطالبا بالمزيد ومضاعفة الجهود !!

ثم كان التصريح الأخير فى البرلمان الإنجليزى فإذا جنئ منه صاحب الدولة أو ماذا يجنى منه بعد الآن ؟

لاشىء ، أو أقل من لاشئء .

فهل فافوضه ؟ لا .. لم يفافوضه !

هل وعدوه المفاوضه فى وقت معلوم أو فى موعد يسهل تقديرة والإنفاق عليه ؟

« لا . لم يعدوه ولم يقولوا الا ان المفاوضات غير مستحيلة فى الوقت المناسب ثم لم تخلص نيتهم حتى بهذا الوعد الهزيل الضئيل فسرعان ماناطقوا به حتى أوعزوا إلى صحفهم ان تفسده وتمزجه بالمنقصات والمعقبات ، فقالت الموريننج بوست :

« ان الناقد النزىة يرى ان على تصريح وزارة الخارجية صبغة البيانات الرسمية لخلوه مما يقيد قائلة ، فهو لايشير إلى التحفظات

والضمانات التى يمكن ان تطالبها الحكومة البريطانية قبل الشروع
الجدى فى المفاوضة» .

أرايت يا دولة الباشا ؟

انك إذن غير موعود بشيء وان السكوت كان خيرا لك على الأقل
من ذلك التصريح الهزيل الضئيل .

أعرفت الآن يا دولة الباشا «شغل الحواة» البارعين الذى يتقنه
كل الاتقان جون بول صديقك الحميم .

— أتريد المفاوضة هكذا يا صديقى ؟

أحرص أنت كل هذا الحرص على المفاوضة يا نور عينى ؟

أذن خذ: هاك المفاوضة برمتها .. أفتح يدك .. أطبقها جيدا لكيلا
تفر منها المفاوضة .. المفاوضة فى يدك الآن فافرح يا صديقى .. أفرح
يا نور عينى .. وأرقد وأنت مستريح ..

وهكذا قال لك جون بول يا صاحب الدولة وهو صديقك الحميم
فافتح يدك فاذا ترى فيها الآن ؟ ؟

يا للعجب .. لاشيء .. لاشيء على الإطلاق .. لا مفاوضة
ولا وعد بالمفاوضة ولا امكان المفاوضة متروكا بغير تحفظات ولا منغصات
ولا معقبات وذلك فليكن شغل الحواة البارعين ..

* * *

«ولقد فرح صاحب الدولة وانصارة لان وكيل الخارجية قال فى
البرلمان الإنجليزى ما معناه أنهم يعترضون على الوزارة الصديقة فى شئون
العلاقات بينها وبين الحكومة البريطانية .. فرح صاحب الدولة وفرح

أنصاره بتلك الكلمة التي «لا طلعت ولا نزلت» فدبت إلى قلوبنا الغيرة الشديدة من حسن الحظ الذى يلقاة جون بول وسوء الحظ الذى نلقاة» نحن عند هؤلاء الوزراء القانعين الطيبين .

هأنح أولا نقول لهم ان الإنجليز يعطفون عليهم ويرضون عنهم ولا نكتفى بانهم يحتملونهم ولا يعترضون على سياستهم فى الشئون التى بينهم ، هأنح أولا نقول لهم اليوم ان «الحياة البريطانية» أن هو الأحياء مزيف وان الوزراء يعملون فى مصر كل ما يريد الانجليز المحايدين .

فإذا كانوا يطربون ويرتعون للكلمة الصغيرة التى قالها الوكيل البريطانى فلماذا نجود عليهم بأضعاف أضعافها فلا يطربون ولا يرقصون ! «أطربوا وأرقصوا يا معشر الوزراء القانعين الطيبين ، ثم افتحوا أيديكم آخر الأمر فإنها على كل حال تخرج بيضاء .. ولكن لا تقول بيضاء من غير سوء ، والحمد لله .

ومن ناحية أخرى فقد قام العقاد فى مقالاته بتمجيد وتعظيم زعماء الوفد وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا فان تأييده من وجهه نظرة العقاد صمام أمن ضد أى عدوان وضد أية دسيسة أو حملات مغرضة وأن تأييده فى حد ذاته هو تأييد للقضية المصرية الوطنية فى خطوة من خطواتها نحو التحرر من المستعمر الإنجليزى فالوفد على حد تعبير العقاد فى إحدى مقالاته فى الجهاد هو «مذهب الفطرة فى السياسة المصرية» ولقد قام العقاد أيضا بتأييد «مكرم عبيد» ويؤكد على صداقته بدولة الرئيس وان هذه الصداقة مبعثها الثقة المتبادلة بينها

وندد بشدة على من يحاولون الحقد فان الحقد يلىء عليهم مايزعمون وان هدفهم الأساسى من وراء ذلك هو التفرقة والوقية ومحاولة ضرب الوفد فى أغلى أركانه وهو الثقة الشعبية فى زعمائه .

ولقد وقف العقاد موقفا وطنيا ضد المستعمر الإنجليزى وكشف عن الاعيب المستعمر وشهر بزعمائه وندد بسياسته فلقد عينت حكومة العمال البريطانية «سير برسى لورين» مندوبا مصريا لها فى مصر خلفا للورد جورج لويد الذى تم عزله فى ١٥ مارس عام ١٩٢٩ وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل فى مؤلفه الهام «مذكرات فى السياسة المصرية» «الجزء الأول» ان سير برسى لورين ذكر لعدلى باشا يكن ان الحكومة البريطانية مستعدة إذا تألفت وزارة قومية فى مصر برئاسة رجل كعدلى باشا ان تعقد مع مصر المعاهدة التى انتهت إليها مفاوضات سنة ١٩٣٠ وان تشير باعادة دستور الأمة إليها .

ولقد ترددت شائعات فى صيف عام ١٩٣٢ بان الحكومة الإنجليزية تعقد فى نيها تغيير السياسة الإنجليزية فى مصر عن طريق نقل سير برسى لورين سفيرا لبلاده فى باريس أو انقره ولقد وصف العقاد هذه الشائعات بانها «خديعة إنجليزية لا طائل منها» . وان السياسة الإنجليزية لن تتغير فى مصر مهما كانت الأسباب أو الدوافع وأن الهدف الأساسى من وراء هذه الشائعات —بعد ان يستبد الغضب بالشعب المصرى— هو الماطلة والتسويق وحتى بعد تعيين سير مايلز لمبسون خلف لبرسى لورين ظل عباس محمود العقاد على موقفه لم يتنازل عنه أو يلين بل أفصح عن رؤية صراحة فى ان الإنجليز لن يغيروا من سياستهم إلا إذا كان الهدف وراء ذلك هو مصلحتهم الاستعمارية .

فقد كتب العقاد فى الصفحة الأولى فى الجهاد فى المقالة الافتتاحية حديث الصباح فى ٧ نوفمبر عام ١٩٣٢ تحت عنوان: ماذا وراء السير برسى لورين؟! «أشاعة فى طيها شرك!!». مقالة هى فى الواقع كشف حساب سياسى مع المستعمر الإنجليزى وكشف الاعيبة ومواقفه السياسية بالوقائع والبراهين.

وقد كتب أيضا مقالة بعنوان «حيلة قديمة مضى أوانها ماذا وراء السير برسى لورين؟! «يقول فيها:

ولما ظهر الخلاف الأخير فى الوفد المصرى كتبت فيه الصحف الاستعمارية والصحف الوزارية وأسهرت إلى ذكر التطرف والاعتدال على عادتها فى مثل هذه المسائل. وهى بطبيعة الحال تنصر المعتدلين وتخذل المتطرفين ان كان لها نصر وخذلان غير النصر المعكوس أو الخذلان المعكوس.

ولسنا نتعرض هنا لصوابها أو خطئها فإنا ذهبنا إليه فذلك شأن لا محل للكلام فيه الآن. وإنما نستعرض هذه الحيلة الرثة البالية التى لا يقطع عنها المستعمرون وأشباههم مع ما يتبين لهم من خطئها وسوء ما فيها فى كل يوم. فقد كان الاحتيال بأسم التطرف والاعتدال نافعا أو مرجو النفع يوم كان الزعماء هم كل شىء يدخل فى الحسابات وكانت الأمم تبعا مهملات بين زعمائها تتقلب بينهم حيث يتقلبون. فاما فى القضية المصرية حيث لا مكانة لزعم الا بمقدار ما تبوّه الأمة من مقام الثقة والولاء فن السخف أن يعول أحد على حيلة التطرف والاعتدال بعدما رئت اياما وابتذلت اياما ابتذال فكل من يسميه المستعمرون معتدلا فعنى ذلك عند الجميع انه يقبل ما يراه المستعمرون،

وكل من يسمونه متطرفا فعنى ذلك عند الجميع انه لا يقبل الا ماتريده الأمة بغير نقص ولا هوادة. ومادام المرجع إلى الأمة فالهمم إذن هو ماتريده الأمة بغير نقص ولا هوادة. ومادام المرجع إلى الأمة فالهمم هو الجانب الذى تكون معه أو يكون معها لا الجانب الذى ينعتونه هنا وهناك بنعت التطرف أو نعت الاعتدال، وتلك حقيقة واضحة قد آن تفهم وتذكر بعد أن طال الأمد على إهمالها وكان من عواقبها السيئة ما كان فى كل بلد عالج فيه المستعمرون تقريبا أول تمييزا بين المتطرفين والمعتدلين.

«ان المعتدلين— ونعنى الذين يسميهم المستعمرون بالمعتدلين لم يقدودوا قط أمة فى العصر الحديث ولن يقدودوا أمة أبدا مادام للأمم حساب فى توجيه الأمور. وسبب ذلك بسيط لا يحتاج إلى أنعام طويل ولا لجاج كثير سببه ان المعتدلين يحصرون أنفسهم فى المصالح الوقتية القريبة ولو كانت من المصالح العامة القومية، والأمم لا تستوعبها المصالح الوقتية القريبة ولا تلبث ان تنقضى فيها هذه المصالح بانقضاء وقتها حتى يزول ما كان لها من خطر وما كان لدعاتها من نفوذ، فن يمشى مع المعتدلين لا يمشى معهم إلا خطوة واحدة حتى ينقطع بينها الطريق. ثم يعود الأمر إلى المتطرفين حين لا تجدى مساومات الاعتدال ولا خطواته القصار.

قال مصطفى كمال فى مذكراته: «وكانوا يقولون للأمة من جهة والحكومة الاستانة من جهة أخرى لا تعترفوا بمصطفى كمال ولا تثقوا به لان الحلفاء لم يشتدوا على تركيا الا من جراء فعله، كانوا يقولون ذلك ويزعمون انه إذا قضى عليه نالت البلاد عند الدول الأجنبية كل صداقة وهوادة».

قالوه ذلك للترك فهل يدري القارىء من الذين قالوه !؟ أنهم هم
هم الإنجليز الذين كانوا يحتلون العاصمة التركية فى ذلك الحين.
قالوه للترك كما قالوه للمصريين عن سعد زغلول وكما يقولونه الآن
عن مصطفى النحاس .

وقالوه للترك كما قالوه للهند عن غاندى ورجال المؤتمر الوطنى وكما
قالوه ثم انفضت كل تلك الأقاويل ولم تسفر الا عن شىء واحد هو
الثابت المستقر الآن وبعد الآن . فقد نظر المستعمرون إلى معتدليهم
الذين اعتمدوا عليهم فإذا هم قد ذابوا ممن تحت أيديهم وإذا بتركيا
والهند وإيرلندا ومصر ولا زعامة عليها إلا لمصطفى كمال وغاندى ودى
فاليرا ومصطفى النحاس ؟

ولا يزالون بعد هذا يقولون : المعتدلون المتطرفون . ويحاولون عندنا ان
يستغلوا المصريين حين يزعمون لهم أنهم يبغون أستقلال مصر
ولا يشترطون كذلك إلا ان يهدموا مصطفى النحاس !! .

«لقد كانت للمستعمرين عبرة عن الهند أكبر من عبرتهم فى
مشكلة إيرلندا الأخيرة .. فهذا المؤتمر الوطنى الذى يستولى اليوم على
قيادة الهند وقيم القيامة على الإنجليز من الذى أنشأه ولفقه يوم ظهر
ملفقا مرقعا قبل سبع وأربعين سنة ؟

«هل أنشأه الهنود كما قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس ؟ كلا .
لم ينشئه الهنود وإنما أنشأه المستعمرون فى عهد رجال من كبار
أساطينهم المعروفين بيننا وهو اللورد دوفرين . وطن هذا اللورد انه خلق
الهيئة التى يستولى بها على قيادة الهند ويقضى بها على نزعات
التطرف والعداء للدولة البريطانية فما هى إلا فترة من الزمن حتى تغلب

المتطرفون على المؤتمر أمامهم فاشفق المعتدلون ان يحاورهم فانفصلوا ثم عادوا فالتأموا ثم عادوا فانفصلوا مرة أخرى وألفوا: «اتحادهم الوطنى الحر» بمزول عن المؤتمر ورجاله. ولكن الهند ظلت تعرف المؤتمر المتطرف ولا تعرف «الاتحاد الحر» وهى لاتدين بالزعامة إلا لتلك الهيئة التى تحمل راية العصيان المبنى وتشن الغارة على الإنجليز كما تشنها على أنصارهم - «المعتدين» وكل خطة تنكرها تلك الهيئة لاتجدى الحكومة البريطانية فى سياسة الهند ولا تلبث ان تدخل فى خبر كان.

«تلك عبرة بالغة وفى تركيا وأيرلندا ومصر عبر من قبيلها، ولكن ما أكثر العبر فى تاريخ الاستعمار والأعتدال وأقل المعتبرين!

«ان الأمر فى الحقيقة ظاهر بطبيعته كما أسلفنا، فالفة التى يسميها المستعمرون بالمعتدين لاتمثل الأمم ولا تقودها فى قضاياها الوطنية لأنها تنظر إلى النفع القريب الذى سرعان ما يتقلب ويطويه النسيان ثم يؤول الأمر إلى المصالح الدائمة والأمال الخالدة وهى ميدان لا يحسن المعتدلون التقدم فيه.

«هذا من جهة».

«ومن جهة أخرى يفشل المعتدلون فى قيادة الأمم لسبب آخر يرجع إلى مزاجهم وطبيعة تكوينهم ولا حيلة لأحد فى تبديله وأصلاحه فالمعتدل بطبيعته رجل ينفر من النضال ولا يعرض نفسه للخطر. فإذا مشت الأمة فى طريق فليس هو بالرجل الذى يصمد لها ليصدها عن تلك الطريق. يل أقرب إلى مزاجه ان يتبعها ويمشى فى أثرها لا ان يهاجها ويتمرد عليها، فإذا ساعدته القوة الأجنبية فاجترأ على مناواة

قوية فهو إذن عدو ظاهر لن يصلح لتمثيل قومه ولن يستمع له أحد إذا تكلم بلسانهم. ومن هنا تنتهى سياسة التفرق بين التطرف والأعتدال بالفشل ولا تنفيذ إلا فى أثبات سوء النية والأى يقال فى الحذر والعداء».

«والذى نعتقد أنه قادمون على عام فاصل فى القضية المصرية تجمع فيه الأمة كل تجاربها وعظاتها فتستفيد بقدر ما يحضرها من اليقظة والصلابة وشجاعة اليقين. ونعتقد كذلك أن الإنجليز سيدخلون فى تجربة جديدة من تجاربهم العديدة. وربما كانت طليعة الخطوة المثوية مانشرته «الدبلى أكسبريس» عن مستقبل السير برسى لورين بعد أن أذاعت خبر سفره إلى القاهرة فهى تتوقع أن يتخلى السير برسى عن منصبه هنا لينقل إلى باريس أو واشنطن. وترى لذلك أسبابا كثيرة منها أن السفارة البريطانية فى باريس ستخلو قريبا من سفير، وإن هناك مفاوضات منتظرة بين باريس والقاهرة فى شأن قناة السويس.. إلى آخر ما روته تلك الأسباب».

«فإذا فى هذه الاشاعة؟ وماذا تخفى وراءها من الخطط والمناورات؟ هل سينقل السير برسى لورين حقا أو باق هنا إلى نهاية العام؟ ليكن من حقيقة ذلك ما يكون؟ وليبق فى مصر أو ينقل إلى حيث تشاء حكومته أو يشاء. فهذه الاشاعة لن تصلح لتحرير المصريين وحلهم على الانتظار شهرا بعد شهر حتى ينتقل السير برسى إلى وظيفته الجديدة ويخلفه المندوب الذى يناط به تغير السياسة البريطانية!! فربما كانت الاشاعة مسبوكة لغرض مثل هذا يساعد على المراوغة والتأجيل والتعليق والتأويل: يعود السير برسى والناس ينتظرون

نقله ولا ينتظرون تغييرا على يديه .. وينقضى الشهر بعد الشهر فى هذا الأنتظار حتى ينتصف العام . وعند ذلك يقال ان العادة لم تجر بنقل السفراء فى أواسط الأعوام فلنتنظر أيضا إلى الأجازة الصيفية وما بعد الأجازة الصيفية .. وهكذا ينصرم العام كله فى غير طائل وينتفل السير برسى لورين أولا ينتقل حد سواء، لن ينقاد المصريون بعد اليوم لأساليب التخدير والتفجير، فلنتلق الاشاعات على حذر ويقظة، ولانستبعد على خصوصنا اية نية وأى تدبير».

عباس محمود العقاد

ويبدو من المقالة السابقة حرص عباس محمود العقاد على تأكيد ان أشاعة نقل سير برسى لن تصلح لتحرير المصريين .

ولقد واجه عباس محمود العقاد فى مقالاته فى جريدة الجهاد استبداد حكومة إسماعيل صدقى وكشف عما يسمى «بقضية حوادث البدارى» وهى تتعلق بالاستبداد وأعتداء البوليس على الأهالى بعنف والتي بسببها استقال عبدالفتاح يحيى احتجاجا من منصب وكيل حزب الشعب .

ولقد شن العقاد حملة يومية على حكومة صدقى باشا وحوادث البدارى والتي أستمرت على صفحات الجهاد فى الفترة ما بين « ١٩ ديسمبر - ٣٠ ديسمبر ١٩٣٢ » .

وقد ركز العقاد فى هذه المقالات التى كانت بمثابة حملة صحفية على فوضى الإدارة المصرية وأن ماحدث من جرائم وأعتداء على الشعب المصرى من البوليس هو فى الحقيقة أبشع فظائع القرون الوسطى وعودة

إلى شريعة الغاب وإن الإدارة التى يؤيدها الاستعمار لا تكون إلا على هذا المثال ثم أوحى العقاد فى مقالاته بضرورة الضرب بقوة على من تسول له نفسه الاعتداء على هذا الشعب وطالب بضرورة تشديد العقوبة على مرتكبى هذه الحوادث.

ولقد ربط العقاد بين هذه الحوادث والاستعمار الإنجليزى فقد كتب تحت هذا المعنى من خلال مقالة نشرها فى الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٣٢ تحت عنوان: «حادثة البدارى وألف حادثة مثلها لا تمنع المستعمرون أن يفاوضوا».

كما هاجم العقاد الصحف الإنجليزية التى كانت تصف السياسة الوفدية وحكوماتها بسوء الإدارة وقد هاجم العقاد استقالة على ماهر وزير العدل والحقانية وعبد الفتاح يحيى وزير الخارجية على أثر خلاف بينها وبين إسماعيل صدقى حتى لا يحصل على عطف الرأى العام ووصف استقاليتهما. بأنها مناورة سياسية بالاتفاق صدقى بل حمل كثيراً على دور على ماهر مندوبه وبواقفة، قد أشترك ثلاث مرات فى تعطيل الدستور.

فكان الوزير المصرى الوحيد فى هذه «المزبة» النادرة وهو صاحب التبعة الأولى فى جميع القوانين الاستثنائية التى سنتها وزارة الحقانية، وهو وحده حامل التبعة فى حركات التنقل الدائمة بين رجال القضاء مما لم يعهد قط فى أيام وزير من الوزراء، وهو فيما عدا ذلك أحد المؤسسين للفئة المدعوه بحزب الاتحاد، وأحد المديرين لقضية الوثائق، وأحد الذين شايعوا صدقى باشا فى جميع أعماله ومنها حادث أخطاب،

وقد كان أسبق الوزراء إلى تقيد الحريات وأسبقهم إلى الظهور كذلك بمظهر الرجل الغيور على الحريات .

ويرى الأستاذ الدكتور راسم الجمال ان إعادة تشكيل الوزارة الصديقة في ٤ يناير ١٩٣٣ :

«وكانت إعادة تشكيل الوزارة الصديقة في ٤ يناير ١٩٣٣ — كما سبق القول — في رأى العقاد، مجرد عملية «ترقيع ممزق»، ساعدت على أحداثها المصارف الأجنبية المستفيدة من بقاء الوضع القائم، «فان لم يكن هذا عاملا كافيا فالليونان اللذان سيدفعان إلى الحيشة بإيعاز من الإنجليز، فان لم يكن هذا وذلك» فقاولات «خزان جبل الاولياء والمعونة للشركات البريطانية مظهر منها وما سيظهر في زمن قريب، وكل أولئك صفقة لا يأس بها إذا هي دخلت في الحساب» .

وأستغل العقاد مرض إسماعيل صدقى لمطالبته بالاستقالة : «ففى بقائه حيث هو قسوة عليه وقسوة على البلاد، وفى خروجه من المنصب رحمة به ورحمة كذلك بالبلاد». وكان يقصد بأستقالة صدقى، «أستقالة السياسة التى جرت عليها الوزارة الصديقة لأستقالة الوزراء وحدها إذا قد تحقق الآن ان السياسة التى سار عليها صدقى باشا لن تقوى على الدوام والأستمرار». وظل العقاد يتساءل فى مقالاته عن سبب أستمرار الوزارة فى الحكم. رغم توافر كافة الأسباب التى من شأنها أن تدفعها إلى الأستقالة. ولم ير سبباً ذلك إلا رغبة السياسة الإنجليزية فى بقائها وأستمرارها، أو رغبها فى بقائها ريثما تنظر فى تلفيق وزارة جديدة لا تريح الأمة ولا الأمة تريحها، «إذ قد أصبح حراما على مصر فى عهد المحتلين ان تتولاها الوزارة التى تريح فيها وتتراح» .

ولم يتوقف العقاد عن تشهيره بمساوىء الوزارة الصديقة الذى اعتبره كسجبل لطوارىء الطبيعية «التى لا تسمح مايقول قائل ولا ماينصح به ناصح، ولا نعرف نقدا أصعب على الصحافة من هذا النقد الذى لا حاجة إليه، لان الناس فى غنى أظهار خطأ قد تعب وسئم من فرط الظهور». إلى ان جاء شهر سبتمبر ١٩٣٣، وبدأت تظهر بوادر الأزمة التى أنتهت باستقالة الوزارة الصديقة ولعل الوزارة النسمية كانت بداية الخلاف بين عباس محمود العقاد والجهاد والوفد وذلك على أثر أصرار العقاد على نشر مقال له فى جريدة الأهرام مقترحة نية تعيين أمين لطفى وكيلًا لوزارة المعارف والتى تعرف الآن بوزارة التربية والتعليم وحدثت على أثر ذلك مشادة كلامية بين توفيق دياب والعقاد غضب على أثرها العقاد وأصر بعناده المعروف على نشر المقالة فى الأهرام ضاربا برأى توفيق دياب بل ومصطفى النحاس عرض الحائط. وأضطرب مع ذلك مصطفى النحاس ان يتدخل لرأب أول صدع بين توفيق دياب والعقاد فقام بزيارة جريدة الجهاد ونجح فى تصفية النفوس ولو إلى حين فلم يستمر هذا الود أكثر من ثلاثة أسابيع والغريب ان عباس محمود العقاد فى هذا اللقاء أقسم أمام النحاس وتوفيق دياب وجوع الحاضرين بانه لن يبرح الجهاد مهما كانت الأسباب وقال بالحرف الواحد: «ولا أرانى فى حاجة إلى التوكيد لدولتكم بأنكم والبلاد معكم لن ترونا أبدا إلا فى مكان الجهاد الذى ينبغى ان تكون فيه، نعم لا حاجة بى إلى التوكيد فى هذا المعنى، لان من المعانى ما تؤيده الحقائق دون الأقوال».

ورغم ذلك فقد حث العقاد يمينه وأنتقل من العمل بجريدة

«الجهاد» إلى روزاليوسف مقابل زيادة في مرتبه قدرها عشرة جنيهات!.

وكان مرتب العقاد في الجهاد سبعين جنيها فأصبح ثمانين جنيها في روزاليوسف.

والطريف ان مرتب العقاد كان يدفع نصفه توفيق دياب ونصفه الآخر الوفد وأستمر ذلك بعض الوقت ثم أصبح توفيق دياب يدفع مرتب العقاد كاملا.

ولكن كيف أنفصل العقاد عن الجهاد قيل ان العقاد أدعى المرض وانه مصاب بوعكة صحية ويحتاج إلى الراحة بأمر الطبيب المعالج ولزم فراشه لمدة شهر كامل ولم يعد إلى الجهاد وأتجه بعدها مباشرة إلى روزاليوسف خلال هذه الفترة تجرى مفاوضات بين روزاليوسف والعقاد للعمل بروزاليوسف.

لقد بدأ الأستاذ توفيق دياب حملة الهجوم على عباس محمود العقاد بمقالة نشرها في الجهاد في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٥ يحكى فيه قصة التحاق العقاد بالجهاد وجاء فيه:—

«فلما خرج العقاد من السجن كانت عقيدتنا هي التي نشرت له مانشر ومانظم في تلطف وغطف شديد عرضت عليه مائة جنيه في الشهر.. ويعلم الله كم كان هذا العرض فادحا لو قبله الأستاذ لا تقل ميزانية الجريدة وأنا أردت به التضحية لكاتب مهما يكن أسباب سجنه فقد كان أحد كتاب الوطن.

«وشكرنى العقاد وطلب إلى تأجيل جوابه يومين أو ثلاثة رأى في خلالها ان يتعاقد مع جريدة أخرى هي جريدة مصر».

وهذا الصراع والمهجوم بين توفيق دياب والعقاد هو صراع صحافة الثلاثينات الحزبية وقد قيل الكثير من هذا الصراع فيرى البعض ومنهم الأستاذين الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبدالعزيز شرف أنها المعادلة الصعبة في الصحافة العربية الحزبية في ذلك الوقت :

هذه هي المعادلة الصعبة التي كان على كل صحفى مصرى مجاهد أن يحلها في عمله بالصحافة السياسية خلال عهد الأحزاب ، وقد خرج العقاد من سجنه فى عام ١٩٣١ ويعرض عليه صاحب الجهاد ان يعمل بصحيفته . فيقبل العقاد وتسوء المعاملة المالية ، لان أصحاب الصحف يريدون الضياع والقصور ويبخلون على الصحيفة بما يفي نفقاتها . وتنتهى المسألة بانتقال العقاد إلى صحيفة أخرى . فاذا يسوء صاحب الجهاد من وراء ذلك وفي الواقع أيا كان تقدير هذه الحملة من الطرفين ، إلا أنها كشفت عن حقيقة الصحافة من واجهتها الخلفية .

ويعنى بذلك بمواجهة الصحافة الخلفية مقومات الصحيفة المادية التي تعتمد عليها فى القيام بتكليفها . وصحيفة الجهاد التي تحدثت بأسم الوفد تحظى برضاء سكرتيهه مكرم عبيد صاحب الكلمة العليا فى الوفد، وهنا نجد ان أساس المعركة التي دارت بين العقاد فى «روزاليوسف اليومية» وبين صاحب «الجهاد» تكن فى العلاقة التي بين مكرم عبيد وصاحب الجهاد الذى يعطى العقاد مرتبه على دفعات ويبالغ عندما يزعم انه كان يعطيه ، ثمانين جنيا مشاهرة والوثائق التي نشرها العقاد فى «روزاليوسف» تثبت مدى صدق دعوى العقاد . وتكشف عن العناء الذى كانت تكبده الصحف الوطنية .

ولقد نشرت الجهاد كلمة بأعضاء «وليم بطرس الدوينى» أدعى فيها ان السيدة روزاليوسف تتقاضى أموالا من أحد عبود باشا وقد كذبت السيدة روزاليوسف هذه الواقعة فى مذكراتها التى نشرتها بعد ذلك .

وفى اليوم التالى كتب محمود عزمى مقالة بعنوان «وليم الكذاب» أثارت غضب مكرم عبيد الذى حل أسم «وليم» قبل ثورة ١٩١٩ واثارت الدوائر الوفدية على أهانة سكرتير الوفد والتعريض به وتكذيبه من وجهة نظرهم ولقد عرض محمود عزمى يومها الاستقالة لينهى الأزمة التى استفحلت ودعت حزب الوفد إلى فصل الصحيفة اليومية ثم تضامن الدكتور عزمى مع العقاد على الدفاع عن روزاليوسف ومن هنا أصدر الوفد بيانه التاريخى بان هذه الجريدة لاتشمل الوفد فى شىء وليس لها أية صلة بالحزب وقد كشف عباس محمود العقاد فى مقالة الذى نشر فى روزاليوسف عن حقيقة ماحدث حيث كتب فى مقالة :

لا يزال الأستاذ مكرم عبيد يتهالك بكل ما عنده من حيلة وطمع ودسيسة على شىء واحد، وهو ان يوقع فى أذهان الإنجليز انه هو القابض على ناصية الوفد والمسيطر على ارادة رئيسه وأعضائه من ورائه . فإذا حسبوا فلاضير عليهم بعد ذلك ان يهملوا حساب كل إنسان وفى مقدمتهم الرئيس .

يحرص الحرص كله على هذه الأمنية ولايتورع فى سبيلها ان يجازف بأكبر المصالح القومية كما يجازف بأصغر الأمور . ومساعية الحفية فى أن يروى منها الكثير لمن يعملون الكثير وأظهرها وأخطرها فى الزمن الأخير تصرفه العجيب فى مسألة الدستور قبل اجتماع الوزارة (يقصد

وزارة توفيق نسيم) فى شارع الهرم. ذلك الأجماع الذى وصفته الصحف يومئذ بالأجماع الخطير لما سينبنى عليه من مستقبل السياسة الوزارية، وقد يبنى عليه تحول فى خطة الوفد وفى خطة الإنجليز. والقراء يذكرون ان ذلك الأجماع إنما كان معقودا لافضاء الوزراء إلى أعضاء الوفد بما لديها من معلومات وحقائق عن المسألة الدستورية. وكان من الجائز ان يعدل الإنجليز عن بعض عنادهم (إذا أحسوا ان البلاد ستتقلب على الوزارة أصرارا منها على طلب الدستور. وكان من الجائز كذلك ان تضاعف الوزارة جهودها إذا أحست هذه العقبة المشكوك فيها، فإذا لم يكن هذا ولا ذلك جائزا على فرض من الفروض فالواجب على كل حال ان لا يعلن رأى الوفد قبل حصول الأجماع وسماع ما يدور فيه والا كان انعقاده عبثا لا معنى له وفضولا لاخير فيه.

لكن كيف يعبر الأستاذ مكرم عبيد عن اعتقاد الإنجليز للأعضاء الآخرين فى الوفد رأيا يحسب له حساب؟ كيف يترك عند الإنجليز ذرة من الشك فى قبضة وهو على ناصية الحال وسيطرته هو على جميع الأعضاء وتسخيرهم هو من ورائهم الجميع البلاد؟

ذلك مستحيل.. والفرصة سانحة لمناورة يثبت فيها من جديد انه هو وحده «كل شيء ولا شيء غيره يصح ان ينظروا إليه، فجازف بالمستقبل الدستورى كله وبسمعة الوفد علانية وبكل أمل فى النتيجة المرقوبة. وقام فى جلسة الجمعية العمومية للمحاميين السابقة لأجماع الهرم مباشرة يعلن اقتراحا يقول فيه المحاميين المجتمعين الآن «يعربون عن أملهم القوى فى ان تواصل الوزارة التسمية السعى لإعادة دستور

الأمة الصادر فى سنة ١٩٢٣ إليها حتى تحيا البلاد حياة الدستورية
التي ترتضيها» .

سكرتير الوفد يعلن فى نقابة المحامين على الملا أجمع نتيجة الأجتماع
الذى سينعقد بعد يوم ..

يعلن تأييد الوزارة وطلب الوفد منها ان تبقى فى المناصب حتى
تعيد الدستور، ويلمح للإنجليز من خلف الرؤوس تلميحاً هو التصريح
بعينه قائلاً : «أرايتم من هو صاحب الرأى فى الوفد وفى البلاد؟
أتصدقون بعد اليوم ان الأعضاء الموقرين إلى مواعيد الاجتماعات
ويتناقشون هناك فى جد وحصانه يملكون أو يملك رئيسهم ان ينقضوا
شيئاً مما يريده قبل ذلك مكرم عبيد» .

ولقد فضح بفعلته الوفد كله ، وعبث بالمسألة الدستورية على هواه ،
وأستراح إلى ما صنع ، لانه يرى المأرب الذى يعنيه فوق جميع المآرب .

وهو أقناع الإنجليز بالأئجهاء إليه وحده وقلة المبالاة بأحد من الناس
وغيره كائناً من كان .

* * *

«ولابد للأستاذ مكرم عبيد من السيطرة على الصحافة الوفدية بغير
شرك ولا منازع حتى يتسنى له السيطرة على الرأى العام وأقناع الإنجليز
بقدرته على توجيه السياسة العامة حيث يشاء .

وهو يستفيد من ذلك فائذة أخرى لا تقبل عن الفائزة الأولى فى
نظره وهى الاعلان عن حركاته وسكناته وقضاياه ومسايعه ، والتمهيد

للأضرار بالناس عن طريق التشهير أو الظهور بهم من طريق التحجيب والتبشير.

ولهذا لا يطبق هذا الرجل صحيفة واحدة وفدية تحيا في البلاد مالم تكن طوع يديه ورهينة أمره في كل كلمة وأشارة. ولهذا تولى حماية «الجهاد» كما تولى لسبب غير ذلك السبب، ونعنى الحادث المشهور بين صاحبه وبين الدكتور ماهر والحادث الذى لا يعرفه القليلون قبل ذلك بين صاحبه والأستاذ النقراشى.

فلانينغى ان يعلم أحد من الصحفيين ولا ان يعلم الإنجليز خاصة ان أحدا من أعضاء الوفد بهم الصحفيين رضاه وغضبه ماداموا فى حماية الأستاذ.. الرئيس الجليل.

سيقول الأجورون والأذئاب كثيرا عن سبب القرار الأخير الذى حفز الوفد إلى النفخ فى النفير العام والمهولة بالقطار السريع من الإسكندرية إلى القاهرة وأنه يجتمع ويتباحث ويعلن بعد الاجتماع والبحث ان «صحيفة روزاليوسف لا تمثل الوفد ولا صلة لها به»..

سيقول الأجورون والأذئاب كثيرا ويجدون من يقول، لان السادة الذين يخدمونهم يشملون فى وصف واحد الدولة البريطانية والوزارة النسيمة والأستاذ.. الرئيس الجليل مكرم عبيد.

سيقول الأجورون والأذئاب ولكننا نسردهم الحقائق فيعملون ان الأجورين أجورون وأن الأذئاب أذئاب وأن صحيفة روزاليوسف لم ترض الوفد لأنها لم ترض الأستاذ مكرم عبيد، وأنها ماكانت لترضى مكرم عبيد إلا بحالة واحدة دون سواها.. وهى إلا تظهر بتاتا فى عالم الوجود، وإلا تحيا لتكون لكتابها حرية يقولون بها خلاف مايلمبه

عليهم ، وتكون حياتها على اطلال «الجهاد دليلا يفهم منه الإنجليز ويفهم منه الصحفيون ان الأستاذ الرئيس الجليل « لا يحير ولا يجيب .



«فقبل ان تظهر صحيفة «روزاليوسف» فكر بضعة عشر عضوا من الوفد والهيئة الوفدية فى الاكتتاب لأنشاء صحيفة عن الوفد وترجيحه من سمعة المرتزة بالصحافة ، فكروا فى ذلك أثر حادث المؤتمر وقرروا الاكتتاب بعشرة آلاف جنيه وخاطبوا النحاس باشا أولا فقبل وبدأ عليه السرور ثم عادوا إليه فاذا كان ؟

كان ان الأستاذ .. «الرئيس الجليل» أدخل فى روع النحاس باشا ان المسألة من بدايتها إلى نهايتها مكيدة من بعض منافسيه الطامعين إلى الرئاسة .. بدأوها بحادث المؤتمر وشفعوها بالاكنتاب ، وسيشفونها غدا بالدعاية لرئيس غير النحاس والأشراف على رأى العام من غير طريق الزعامة ..

«فصدق النحاس باشا لانه يصدق ان مكرما لا ينافسه ولا يتطلع إلى الرئاسة الوفدية ولا إلى الرئاسة الوزارية ، ولكن الآخرين قد ينافسون ولما جاء رسول المكتبتين يخاطبه فى التفصيلات إذا به يتهم ويتهم ويصبح به «مادامت عندكم فلوس فلماذا لا تتبرعون بها لحرانة الوفد؟» . وعلى ذلك أسدل الستار .

وأتفق ان شاعت الأخبار بقرب ظهور هذه الصحيفة على أثر ماتقدم فسرعان ماتناول صاحبنا إذنى النحاس باشا وقال له : «أرأيت أنها الدسيسة القديمة تبرز فى ثوب جديد .. انه الأصرار بعينه .. انه تبييت النيه على الجريمة .. والعقاد الذى كان سيكتب فى

الصحيفة المطلوبة هو الذى سيكتب فى الصحيفة الجديدة .. ومن لك
بضمان العقد ان يقول ماتريد كما تريد ؟» .

وحوربت الصحيفة قبل ظهورها بطريق مباشر وغير مباشر، فقبل ان
يظهر العدد الأول منها أوعز الأستاذ «الرئيس الجليل» إلى صاحب
العزة على سالم بك ان يتولى سياسة الجهاد تحصينا له فى وجه هذه
الصحيفة التى لم تنزل فى عالم الغيب .

وكان ذلك كله خلال رحلة الصعيد . فأرسلنا مندوبا خاصا لنا
يوافينا بأخبار الرحلة عن كثب فقبل أسوأ أستقبال، وأبى مكرم ان
يراجع معه الخطاب التى يلقيها النحاس باشا .. وهى على حسب
العرف لا ترسل ولا تنشر إلا إذا عرضت على السكرتير .. أما مندوب
الجهاد فكان يرسل الخطاب بمراجعة أو بغير مراجعة ولا تثريب عليه ..
والفرض من هذه المناورة المكشوفة ان يفهم الناس ان «الجهاد»
وصاحبه مستقيل يومئذ من الهيئة الوفدية — هو صحيفة الوفد المرعية
دون الصحيفة الجديدة .. وإذا عجزت صحيفتنا عن نشر الخطاب بعد
هذه المعاكسات قال النحاس باشا : «أرأيت ؟ .. هاهم أولاء يضربون
عن نشر خطبك أستخفافا وتمهيدا لما كانت تمهد له الصحيفة
المطلوبة» .

وتجاوزت هذه المناورة فى التحيز الواضح فأرسلوا جواب النحاس
باشا إلى إمام اليمين ردا على تهنيئه بالمؤتمر الوطنى إلى الجهاد وحجبه
عن هذه الصحيفة عامين .

«ثم عاد النحاس باشا إلى القاهرة وأستقبلناه فى بيت الأمة
مرات فهل مع أحد من حضرات القراء انه فاة بكلمة ترحيب واحدة

بهذه الصحيفة قبل سبعة شهور من خلق العلل التي يتعللون بها الآن ؟
هل زارها النحاس باشا كما يزور الملاعب والمراقص وعلى الكسار ؟
هل زار العقاد فى عمله الجديد كما يزور «الوردة البيضاء» ست
مرات أو سبعا فى القاهرة والإسكندرية وحيثا أنتقلت بين مسارج
القاهرة ؟»

الجواب عند القراء .

ولقد قيل الكثير وخاصة من «روزاليوسف اليومية» من ان قرار
فصل العقاد جاء مطلبا لإنجلترا أوضحت صحيفه «التايمز» الإنجليزية
وأقرت «روزاليوسف» ان هذا هو سر الغضب الكبير على الصحيفة
والعقاد وقد علق العقاد على ذلك بقوله :

«برئت ألف مرة من الوفدية ان كانت هذه هى الوفدية» !!
ثم طعن العقاد مصطفى النحاس طعنة نجلاء بقوله : «ان قوة
النحاس باشا المستعارة من الأمة أصبحت لازمة للإنجليز فى أخضاع
المصريين وما رأيناها لازمة للمصريين فى بلوغ شىء من الإنجليز» . ثم
اتهم النحاس بالتهاون والاستسلام للسياسة الإنجليزية طمعا فى الحكم .

ومن الغريب والطريف ان من يتابع جريدة الجهاد قبل ذلك
بشهور قليلة وفى نفس العام فى ٩ يناير سنة ١٩٣٥ فى العدد
(١٢٠٤) سيجد قصيدة لعباس محمود العقاد يجد فيها مصطفى
النحاس تحت عنوان : بين عهدين لأمر الشعراء الأستاذ الكبير عباس
محمود العقاد !!

يقول العقاد فى هذه القصيدة :

حسنتم الصبر والعقبي لمن صبرا نادى البشير فقولوا اليوم واثمروا

تلك السنون التي ذقتهم مرارتها
مرت وفي كل مصرى لها أثر
سيهدم الطود من يبغيه معتديا
أمانة تلك فى أعناقكم عظمت
وفى «أمنيتكم» الهادى وشيعته
وفى أسمه «المصطفى» معنى زعمامته
كفى بذلك عنوانا على وطن
تباركوا حوله وأدعوا بدعوته

هذا جشاها خطاب الفرس والتمر
إلا السيقين فيما فيه لها أثر
وليس يهدم من أركانكم حجر
وبالأمانة فليعظم من أقتدروا
نصر لذى موثق بالحق ينتصر
معنى من الخير والتخير مختصر
يدين بالشقة الكبرى ويفتكر
وأستبشروا ومروا بالحق واتمروا

عباس محمود العقاد

هذا هو العقاد على حقيقته ولعل أبلغ رد على ذلك هو ما نشر بعد ذلك
بسنوات وعلى وجه التحديد فى الجهاد فى ٢٦ يناير ١٩٣٨ فى العدد
(٢٢٥٤) تحت عنوان : «العقاد بين يومه وأمه» بقلم صليب الفهماوى
حيث يخاطب العقاد قائلا :

«بعيدا عن دخان السياسة وفى هدأة من الضمير أناجيك ولا أريد ان
أستل حسا ما وأقطعك ولا أضییء سرايا وأخدعك ولكنه الأمل فيك قد
خاب» .

ان الخلاف بين توفيق دياب وعباس محمود العقاد هو خلاف فى رأى
أولا وأخيراً ولكن كل منها قيمة مستقلة كبيرة صحفيا وأديبا وفكريا .
ولقد كان الخلاف بين توفيق دياب وعباس العقاد بمثابة الظلال الغامقة
التي لا بد لكي تتكامل اللوحة الرائعة .

الباب السادس
الفصل الأول
الجهاد والشؤون العربية
وكانت الجهاد ملتقى للعرب

أهتمت صحيفة «الجهاد» اهتماماً كبيراً بالشئون العربية والإسلامية منذ الأعداد الأولى لها ومتابعة ما يجرى فيها من أحداث وتطورات كما فتحت صدر صفحاتها لكبار العرب مع الحرص على نشر البحوث والدراسات المختلفة عن الشخصيات العربية والإسلامية البارزة التي تناولت تراجم حياتهم وأعمالهم التي قاموا بها .

وقد أُنِبت «الجهاد» أسلوباً جديداً فى ذلك الوقت وهو استضافة وتكريم ضيوف البلاد العربية «دار الجهاد» وأجراء الأحاديث الصحفية معهم .

كما أفردت (الجهاد) أبواباً خاصة بالشئون العربية منها (الشئون الشرقية) و (أنباء شرقية) تابعت فيها أهم أخبار الدول العربية الشقيقة ومتابعة أخبارية لما سبق نشره وتحليلاً فى أضيق النطاق لأهم الأحداث العربية .

وكانت الجريدة ملتقى للعرب حقيقة ولكن الصورة أبلغ دليل على ذلك فهناك كثير من الصور لوفود الأقطار العربية الشقيقة داخل دار الجهاد فن يتابع الجهاد سوف يلفت نظرة صور الأشقاء العرب فهذه صورة على سبيل المثال يرى فيها :

« حفل غداء فى دار الجهاد أقامها توفيق دياب تكريماً لكبار زعماء العراق وفلسطين وسوريا حيث يرى فى صدر المائدة السيد أمين الحسينى وعن يمينه مدحت يكن باشا حافظ عفيفى باشا وحمد الباسل » .

وهذه صورة أخرى كتب تحتها :

« زعماء مراكش بعد تناول الغداء فى دار صاحب الجهاد وقد طلبوا منه التعرف على مصطفى النحاس باشا فأجاب الدعوة وحضر الغداء » .

وإذا كانت هناك حكمة صينية قديمة تقول « الصورة تساوى ألف كلمة » فإن هذه الصورة أبلغ دليل على اهتمام الجهاد بالتشئون العربية حيث يظهر محافظ مكة ووكيل مالية المملكة السعودية فى مكتب صاحب الجهاد بعد أن البساة كسوة سعودية للملكية مهداة إليه بأسم البقاع المطهرة عرفانا بمجهوده فى جمع تسع آلاف جنية لفقراء المدينة ووعدته وزارة نسيم باشا للمساهمة فى المعونة فارسلت قححا للحجاز ببلغ ٣٠ ألف جنية .

كما أهتمت بالزعامات فى الدول الإسلامية ومنها متابعتها الدقيقة لنضال الزعيم الهندى « المهاتما غاندى » فى كفاحه الوطنى وقدمت الجهاد تغطية صحفية لفترة اعتقال غاندى وسجنه وأمتناعه عن الطعام احتجاجا على أستعمار بلاده .

كما أهتمت « الجهاد » بأبناء الزعماء العرب وزعماء الدول الإسلامية ومنهم الزعيم الليبى الكبير عمر المختار، فقد تابعت باستفاضة كل أخبار عمر المختار عقب أعتقاله وحتى أعداده فى أعدادها الصادرة من ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ وحتى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣١ وهى الأعداد الأولى للصحيفة مما يؤكد اهتمامها منذ بداية صدورها ، .

كما فتحت الجريدة صفحاتها لكبار الكتاب والأدباء والشعراء العرب
ومنهم على سبيل المثال :

الشاعر السوداني الكبير اليتجاني يوسف بشير الذى توفى فى ريعان
شبابه ويعد من رواد الشعر السوداني وكذلك الشاعر السوداني الكبير عثمان
هاشم وشكيب ارسلان وبشارة الخورى . والفائمة طويلة لا تنتهى فى هذا
المجال .

كما كان الصالون الأدبى لصحيفة « الجهاد » ملتقى كبار الزعماء
والأدباء العرب وعلى رأسهم : بورقيبة والأطرش ومحمد على الظاهر من
تونس وأمين الحسينى وهاشم الاتاسى من سوريا وغيرهم .

ولقد كان من أبرز المقالات التى كتبها توفيق دياب دفاعا عن العروبة
هو مقالة الشهير الذى نشر فى « الجهاد » بتاريخ ١٩ أكتوبر عام ١٩٣١
تحت عنوان « جريدة صدقى باشا ومصرع الزعيم عمر المختار » حيث يدافع
فيه عن عمر المختار الذى استباح صدقى باشا فى مقالة له إعدامه بدعوى
تنفيذ القوانين فى ليبيا ويدافع توفيق دياب من خلال مقالة المشار إليه عمر
المختار وينفذ بن قضايا مقالته صدقى باشا بعد عرض فقرات من مقاله
الأخير .

ويقول توفيق دياب فى مقالته :
« لقد جرح صدقى باشا شعور العالم الإسلامى والأمم العربية جرحا
بالغا فى غير دافع آخر إلى هذا العمل الجارح .

والآن تفضل فاقرأ لبعض فقرات من مقال صدقى باشا : —
« أما ان العالم الإسلامى جزع لمقتل عمر المختار فذلك ما شك فيه —
(نحن هنا متفقون مع لسان صدقى باشا) . لكن علاقة المماليك بعضها

لا تتأثر بما يجرى فى داخلية أحدهما أو مستعمراتها أو أملاكها — (صامتين يا مسلمين!) — هو مجاهد فى نظرقومه ومن يحسون بأحاساسه — (أما لسان حال صدقى باشا فيحسن أحساسا آخر) — لكنه حوكم محاكمة تستند إلى قانون البلاد التى يتبعها ثم نفذت فيه إرادة الله ويراه ذلك القانون — (هل من تبرير لشنق عمر المختار أبلغ من هذا التبرير، خصوصا وهو صادر عن لسان حزب مصرى لا حزب فاشيىستى إيطالى؟) — ترى أفلو كان مصرىا أكان يمكن أن يكون أعدامه سببا لقطع العلاقات بين مصر وإيطاليا أو توترها؟ (لم أفهم . ولكن منذ أن قال بقطع العلاقات أو توترها وكل الذى قلناه أن لا يسمى صدقى باشا لىالى وأياما ويجتاز الحدود المصرية ليقوم بهذه المظاهرة فى غير ضرورة ما جئنا به!) — ان الذين يخرجون على الأنظمة القائمة مها كان نبل مقصدهم وشرف الغاية التى تحركهم أنما يخاطرون بحياتهم تحت مسؤولياتهم وهم يقدررون هذه العاقبة ويحسون حسابها قبل النزول إليها وخوض غمارها ، وما يعدون حتى استشهادهم تضحية ولا بطولة وأنما جزية يدفعونها للبلاد التى وهبوا حياتهم لها (وإذن فلا تحزنوا يا أمم العربية فقد كان موت عمر المختار جزية ، لا بطولة ولا تضحية ! ولا تحزنوا لأن الشهيد خرج على الأنظمة الإيطالية القائمة فى طرابلس فكان جزاؤه الشنق مها كان نبل مقصده وشرف غايته — لا تعجبوا يا أمم العربية فهذه فاشيىستية حزب الشعب الذى يرأس صدقى باشا تثير عواصفها عليكم وعلينا كما يثير الطليان عواصفها على الطرابلسيين!!) — ان صدقى باشا كان أمهر من أن لا يرد التحية للطلليان بأحسن منها لانه لا يمت بعلاقة ما للعجزة (مساكين نحن العجزة الذين تأثرنا لشنق ذلك العاجز الشهيد) — الذين ينساقون وراء العاطفة الكاذبة (مسكينة عواطفنا الكاذبة نحن العرب والمسلمين) لا لأن هذا أحساسهم ولكن ليحركوا بها السذج والدهماء .. ألغ ألغ !

ثم يقول لسان حال صدقي باشا بعد ذلك أن سعادة سفير أفغانستان
المسلم دعا إلى الشاى وزير إيطاليا المفوض منذ يومين أى بعد مصرع عمر
المختار!

ان قلم توفيق دياب كان بمثابة النصل الحاد دافعا عن العرب وأيما
برسالة المناضلين منهم .

«لا أمل إذن في مجلس الأمن حتى يأتي عدل ولا في هيئة الأمم حتى إذا تمخضت عن كلمة حق يلفظها اللسان فإنهم يقولون إن عدلوا ولا يتبعون الثواب بالعمل» .

توفيق دياب

محاضرة اذاعية في ١٩٤٨/٨/٤

الفصل الثانى
الجهاد ومشكلة فلسطين
إهتمام مبكر
للجهاد بالمشكلة الفلسطينية

تحدد أهداف الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود وقد حددت فلسطين على أنها هذا الوطن اعتباراً من مؤتمر (بال) الأول سنة ١٨٩٧ ففي خطاب الافتتاح قال تيودور هرزل :

«إننا هنا لنضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف يأوى الأمة اليهودية». ثم اقترح برنامجاً من ثلاث نقاط :

أولاً: تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة النطاق إلى فلسطين.

ثانياً: الحصول على اعتراف دولي بشرعية هذا التوطن في فلسطين.

ثالثاً: إنشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم أجمع وراء القضية الصهيونية.

وقد نجحت الصهيونية في إقامة كيان أجنبي في قلب الوطن العربي في فلسطين بعد أن طردت غالبية سكانها العرب منها كما نجحت في أن تضيف من الناحية القانونية على هذا الفعل طابع المشروعية بحصولها على اعتراف غالبية الدول به وإقراره من الأمم المتحدة.

ويحسب لجريدة «الجهاد» اهتمامها المبكر بمشكلة فلسطين وما يدور فيها من كفاح ضد النفوذ الصهيوني المتغلغل والنفوذ الانجليزي القائم في ذلك الوقت .

وقد أجدد الاهتمام يتزايد بشكل ملحوظ مع تطور الأحداث فيها عام ١٩٣٦ ومن ذلك ما نشرته خلال شهر مايو من ذلك العام فقد نشرت بالمانشيت في ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ (تفاقم الحالة في فلسطين . تثيلان

وعشرون جريحاً منهم ثلاثة في حالة خطرة). ثم تناولت تطور الحالة تحت العناوين التالية (الشقيقة فلسطين في مأساتها) (فلسطين الحائرة الدامية بين العرب واليهود والانجليز. كلمة هادئة وسط العاصفة) (الشقيقة فلسطين في مأساتها) (أنقذوا الشقيقة فلسطين من المجاعة الجائعة) (امتداد ثورة فلسطين إلى عمان وشرقي الأردن. المظاهرات في أنحاء البلاد - تعطيل جريدة فلسطين) (تفاقم الاضطرابات في فلسطين البحارة العرب يهاجون باخرة يهودية - مصادمات دموية في نابلس وغيرها من المدن. مهاجمة الدبابات وتعطيلها وقتل جنودها)، (خطر الصهيونية على فلسطين) (الحالة الرهيبة في فلسطين الاضطرابات تحول إلى ثورة مسلحة - العصابات تهاجم الجيش لإنقاذ المعتقلين - الدماء تسيل في جميع أنحاء فلسطين) وعلى يسار هذا التحقيق نشرت (حوادث الشقيقة فلسطين مصورة).

فقد كتبت الجهاد في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٦ في صدر صفحتها الأولى تطلب من الحكومة الانجليزية إنصاف الشعب الفلسطيني تحت عنوان:

(امتداد ثورة فلسطين إلى عمان وشرق الأردن - المظاهرات في أنحاء البلاد - تعطيل جريدة فلسطين).

في هذا الوقت العصيب وفي هذه الأونة التي تتطلب من الانجليز أعمق التفكير وأدق التبصر لإنصاف شعب صمم على أخذ حقه بالطرق التي توصله إليه ترى من السلطة الانكليزية المستعمرة إصراراً على سياستها الجائرة وتجاهلاً لمطالب شعب ناصرها في الحرب العالمية ونصرها لا شيء إلا لتحقيق استقلاله والفوز بحريته ولكنها تضايقه

الآن فلا تلقى منه إلا ثباتاً على حقه ومضياً في حركته حتى يتم له ما يريد.

ثم تكشف الجهاد لأعيب اليهود لتهديد البحارة العرب في ميناء يافا تحت عنوان:
(مناورات لتهديد البحارة العرب).

لم يترك اليهود وسيلة إلا تذرعوها بها للقضاء على حركة الأحزاب فقد زجوا مراراً عدة إلى الحكومة وألحقوا عليها وجوب اتخاذ تدابير صارمه لوقف هذه الحركة وإذا كان للأحزاب روعته ومفعوله العظيم في اليهود وعلى الأخص في الأوساط التجارية فقد كان لا يصاد مرفأ يافا أمام البواخر التي تقل بضائع لليهود أكبر الأثر فيهم لذا كان لزاماً عليهم أن يفكروا في القضاء على حركة أحزاب البحارة العرب في يافا من وجدوا إلا وسيلة خيل إليهم أنها قد تكون فاجعة وهي تهديد البحارة ورسو البواخر في تل أبيب ولكنهم خابوا في تخيلاتهم وكان أن اهتمت البلاد كلها بهذا الأمر واحتياج الرأي العام في البلاد وعقدت الاجتماعات الكبيرة كما اهتمت به اللجنة العليا وقد علمت أن سماحة رئيس اللجنة العليا قد أوضح للمندوب السامي خطورة الموقف. ولقد تابعت «الجهاد» تفاقم الحالة في فلسطين «وكتبت تحت هذا العنوان في ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ تقول:

(قتيلان وعشرون جريحاً منهم ثلاثة في حالة خطرة — الجنود مدافعهم الرشاشة يقاومون المتظاهرون — اليوم الحادى والثلاثون للأحزاب — الأحكام الدينية في يافا والقدس — المتظاهرون يحدثون حريقاً كبيراً في يافا).

(يافا فى ١٥ مايو — لمراسل الجهاد) — على أثر البيان الوطنى الذى أذاعته اليوم اللجنة العليا ودعت عرب فلسطين إلى الامتناع عن دفع الضرائب الحكومية تنفيذاً لقرارات مؤتمر اللجنة القومية اتخذت الحكومة أشد الاحتياطات وأرسلت الجنود فى كل مكان مزودين بالمدافع الرشاشة والمصفحات الحربية وكانت الاحتياطات أشدها فى مدن حيفا ويافا والقدس فأصبحنا وفلسطين شبه شىء بميدان قتال . (الاصطدام مع البوليس) — قتيلان وعشرون جريحاً ولم يكد المصلون يخرجون من مسجد يافا الكبير عقب أداء فريضة الجمعة حتى ألفوا مظاهرة كبرى اشترك فيها آلاف من الجماهير على اختلاف طبقاتهم وأخذوا يهتفون هتافات وطنية قوية ويرددون هتافات عدائية بسقوط الانتداب واتجه قسم كبير منهم إلى شارع جلال باشا ولقد اعترضتهم قوة كبيرة من الجند المسلح فرقتهم بالقوة ووقع اصطدام عنيف بين المتظاهرين وقع أثره قتيلان وعشرون جريحاً ثلاثة منهم فى حالة خطرة وقد علمت أن بين القتيلين مصرى لم أستطع أن أعرف اسمه .

(العصيان المدنى والامتناع عن دفع الضرائب فى طولكرم — إلقاء القنابل على الجيش البريطانى والبوليس — الهجوم على القطارات — قطع أسلاك — التليفون وقضبان السكة الحديدية) .

(فى عكا ونابلس وحيفا ووادى حنين — جرح قائد البوليس — اشعال النيران فى ميناء حيفا — احراق سيارة بركابها فى وادى حنين — نسف الكبارى فى الطريق بين يافا وطولكرم .

(بدء العصيان المدنى) .

(وقف المفاوضات بين العرب والمندوب السامى) .

لم يستطع زعماء الأحزاب العربية أن يتفاهموا مع المندوب السامى فقد وقفت المباحثات وأعلن العرب الامتناع عن دفع الضرائب والمصيان المدينى وينتظر وقوع اضطرابات .

ثم تواصل «الجهاد» تتبع الاضطرابات فى فلسطين فى صدر الصفحة الخامسة فى ٢٤ مايو ١٩٣٦ تحت العناوين الآتية :

(تفاهم الاضطرابات فى فلسطين — مصادمات بين الأهالى والجنود — قتل بوليس عربى — الأمير عبدالله يقدم مذكرة جديدة إلى المندوب السامى) .

(وقعت اليوم مصادمات بين الأهالى والجنود فى القدس ويافا وحيفا ونابلس وبئر سبيع وغزه وأصيب كثيرون بالجراح) .

(العرب يقابلون البوليس الانجليزى بالرصاص) وألقيت قنبله فى (بيارة) برتقال لليهود بالقرب من زونا وعندما ذهب البوليس الانجليزى إلى مكان الحادث قبل بإطلاق الرصاص من مجهولين كانوا غنبتين بين الأشجار .

(قتل بوليس عربى) .

وقتل أحد رجال البوليس العربى بالقرب من مستعمرة تل مرد اليهودية ويغلب على الظن أن الذى أطلق عليه الرصاص يهودى .

(نفى ثلاثة من شبان العرب) .

اعتقل البوليس ثلاثة من شبان العرب هم فخرى بك النشاشيبي وأكرم أفندى الحالدى ويوسف أفندى حموده فتنفى الاثنان الأولان إلى القدس والثالث إلى خان يونس وصدرت إليهم الأوامر من البوليس بأن لا يغادروا منفاهم وإلا اعتقلوا ثانية وأودعوا السجن .

(تعديل قرار منع التجول - يخالفون قانون منع التجول يقتلون)
- استخدام الكلاب البوليسية في البحث - يهودى على رؤساء بلدية القدس).

(مرض الدكتور الخالدى رئيس بلدية القدس فجأة فحل محله
الادون أوستر - نائب رئيس البلدية وهو يهودى).

وقد لعبت الصورة دوراً كبيراً فى إبراز الاضطرابات فى فلسطين
وتعنت السلطات العسكرية ضد الفلسطينيين فقد خرجت الجهاد فى
٢٧ مايو سنة ١٩٣٦ وعلى صدر صفحاتها الأولى (صورة فريدة عن
حوادث الاضطرابات فى فلسطين) وكتبت تحت الصور (منظر إحدى
المظاهرات فى يافا) - العمال الذين عقدوا - اجتماعا بمسجد المنشية
بيافا فأغلقت السلطة العسكرية عليهم الباب والصورة تمثلهم داخل
المسجد - الجنود البريطانيون وقد ربطو فى ميدان المنشية لمنع المارة
- الحواجز والبراميل الممتلئة بالرمل وقد وضعت فى عرض الطريق بين
يافا وتل أبيب لحجز السيارات وتفتيشها).

وقد وصفت «الجهاد» الحالة الرهيبة التى وصلت إليها فلسطين
تحت هذه العناوين:

(الحالة الرهيبة فى فلسطين - الاضطرابات تتحول إلى ثورة
مسلحة - المصائب تهاجم الجيش لإنقاذ المعتقلين - الدمار يشمل
جميع أنحاء فلسطين).

ثم استكملت الجريدة فى اليوم التالى نشر التفاصيل تحت هذه
العناوين التى تدل من فحواها عن الحالة الرهيبة حقيقة فى فلسطين
فى تلك الفترة.

(الحالة الرهيبة فى فلسطين— امتداد الثورة وانتشار المصائب فى كل مكان— هجوم الثائرين على معسكرات الجند— وقوع مصادمات عنيفة أمس— مهاجمة الحداثى اليهودية واحتراق النار فيها— القتلى والجرحى من القوات والمصائب).

ولم تكتفى الجهاد بنشر الأخبار والتحقيقات عن مشكلة فلسطين بل نشرت العديد من المقالات على صفحاتها والتي تبين فداحة الجرم الذى ارتكب فى حق الشقيقة فلسطين وجاءت هذه المقالات قوية متتابعة فى الفترة من ٢٨ مايو حتى ٣٠ منه .

(فلسطين فى محنتها أشد القضايا الشرقية تعقيداً — فلسطين ثائرة فإذا يكون المصير— فلسطين فى محنتها).

وعلى سبيل المثال يقول الأستاذ نسيم صبيح فى مقاله «فلسطين فى محنتها» والتي نشرت بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٣٦ .

(فى ظل الانتداب البريطانى تسير فلسطين فى محنتها كما سار منذ ألفى سنة رسول السلام الناصرى حاملاً صليبه طالباً من ربه يعبر عنه هذه الكأس وقد تشبهت جمعية الأمم ببيلاطس العظمى فنفضت يديها من دم هذا الصديق!).

ثم يندد الكاتب بصك الانتداب الذى فرضه اليهود فرضاً فى فلسطين فيقول:

«لنفرض جدلاً أن العربى الفلسطينى قاصر كما أراه صك الانتداب تماماً فهل يظن العدو أن هذا القاصر لا يدرك بدهة أن إصدار أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية تحشر فى فلسطين الضيقة

حشراً فى مثل هذه الظروف الحرجة ليس فيه شىء من الكياسه السياسية أو العاطفة الإنسانية! » .

وتطلق «الجهاد» صيحتها فى ٢٨ مايو سنة ١٩٣٦ فتقول : (أيها المصريون الكرام — المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لإنقاذه) . بعد مرور ثمانية عشر عاماً على وجود الانجليز فى فلسطين دون أن يحتفظ للعرب شيئاً مما يصيبون إليه بل بالعكس حرموهم من التمتع بحقوقهم وحررياتهم ومضوا فى تفتيلهم واجلائهم عن وطنهم —أيها المصريون .. ماذا تنتظرون — المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لإنقاذه .

ولقد شاركت الجهاد فى الدعوة إلى إنقاذ فلسطين بإقامة الندوات وإلقاء الخطب فلقد عقد فى مكتب الجهاد بالاسكندرية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ ندوة عن فلسطين بعنوان (فلسطين الشاهدة الثائرة) .

وقد كتب مدير مكتب الجهاد بالاسكندرية مقاله فى اليوم التالى للندوة يقول فيها : «أن فلسطين توشك أن تموت من القهر والجوع» تلك عبارة الأستاذ الكبير صاحب الجهاد وقد ختم بها كلمته البليغة «انقذوا فلسطين — فيها من الشعور ما يكاد القارىء يلمسه بيديه وعينيه ومن الحكمة ما ينطق باصغريه وأكبريه وإذا كانت العاصمة الأولى فى كلمة الأستاذ تستثير العواطف من مكانها فإن العاصمة الثانية جديرة بأن تشترك فى ذلك بأن تشمرك فى ذلك الشعور وتلك العاطفة» .

ثم كتب محمد توفيق دياب يستنكر سفر عمال مصريين لمرافقة الجيش البريطانى إلى فلسطين بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٣٦ تحت عنوان : (عمل منكر لا يجوز — خدمة مصريون يرافقون الجيش البريطانى إلى الشقيقة فلسطين) حيث كتب يقول : ذلك الأمر الذى حدث فى

غبية صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس الوزارة مصطفى النحاس باشا هو أن مائتين أو أكثر من الخدمة المصريين رافقوا القوة البريطانية التي سافرت في الأيام الأخيرة من مصر إلى فلسطين كطهارة أو سعاة أو ما يشبه ذلك من الخدمات التي يقولون أنها شخصية .

ولم أسمع هذا النبأ العجيب إلا أمس . فقد تفضل وفد من شباب فلسطين وأخواتها من الأمم العربية بزيارة الجهاد مهنيين ومعمرين عن شكواهم المرة في وقت معاً .

قالوا ولم أكن لأصدق ما قالوا لولا أنهم من أفاضل الشباب العربي المذهب — قالوا أن فوجين من العمال المصريين سافروا إلى فلسطين ليعاونوا الجيش البريطاني ويسهلوا له إذلال إخواننا المجاهدين . وقالوا إن عدد أولئك العمال المصريين المسخرين لشهوة الكسب الدنيء قد بلغ ستمائة . وأشار الزائرون إلى أن صحفاً مصرية أذاعت النبأ المنكود فلم تكذبه السلطات المحلية المتصلة بسفر المصريين الى خارج الديار .

ثم يستنكر دياب سفر العمال المصريين واصفاً إياهم بالنذالة والسقوط لقداسة الرابطة العربية :

ونحن نستنكر مرافقة مصريين للجيش البريطاني إلى فلسطين مهما يكن العدد الذي يبلغونه والطبقة التي ينتمون إليها أو نوع الخدمة التي يؤدونها للجيش البريطاني جماعة أو للضباط البريطانيين أفراداً وسواء اتسموا باسم العمال أو باسم (خدمة خصوصيين) .

نستنكر هذا العمل بكل قوة ونصف المقدمين عليه من الخدم أو من العمال بالنذالة والسقوط ونحمد الله أن تكون الكثرة العظمى من أهل طبقتهم بين المصريين أكرم على أنفسهم وأصون لمروءتهم وافهم لقداسة

الرابطة العربية من هذا النفر الأحق المزدول أو المضلل المأفون .

ثم يندد دياب بموقف الحكومة البريطانية التى أقدمت على مثل هذا الجرم فى أعقاب معاهدة ١٩٣٦ :

ونقول هذا القول مجاهرين به مؤكدين إياه ولم يكذب يحف المداد الذى وقعت به معاهدة الصداقة والحلف بين مصر وبريطانيا العظمى .
ونقول هذا القول ونحن من أشد المصريين إخلاصاً للمعاهدة وإيماناً
بنفعها للبلدين على السواء .

ونقول هذا القول ناصحين به لاللناحية المصرية وحدها ولكن
الناحية البريطانية أيضاً .

ذلك أن الحكومة البريطانية فى لندن والجيش البريطانى فى مصر
وكل هيئة بريطانية يهمها نجاح المعاهدة على أفضل الوجوه واسلمها
— يجب أن يفتنوا إلى عزة الروابط العربية فى كل نفس عربية وفى
كل قطر عربى ، فلا يحاولوا أن يحرصوا المصريين بعمل يثير سخط أبناء
فلسطين فى جحيمها الحاضر على أبناء النيل .

والحقيقة أن توفيق دياب له علاقة طيبة بالفلسطينيين وقد زار
فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلدة بيسان ٦٠٠
فارس عند مدخل البلدة وقد نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها
الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٣٤ صور لهذا الاستقبال الحافل فقد أوقف
أهالى فلسطين القطار الذى كان يستقله توفيق دياب وحملوه على
الأعناق .

وكانت الجهاد قد نشرت قبل ذلك مجموعة كبيرة من التحقيقات

الصحفية المزودة بالصور منذ أول يولية وحتى ٩ يوليو ١٩٣٤ « عن زيارة محمد توفيق دياب إلى فلسطين ».

فقد أضافت هذه التحقيقات في وصف هذه الزيارة والاستقبالات والاحتفالات التي أقيمت في المدن الفلسطينية المختلفة التي زارها صاحب «الجهاد»، تكريماً له واحتفالاً به. ولقد نجحت الصور الكثيرة التي نشرت مصاحبة لهذه التحقيقات في تسجيل تفاصيل تلك الزيارة تسجيلاً حياً. بحيث استطاعت أن تكمل الوصف المقرؤ، لكي تجعل القارئ يتعاش مع حياة كاملة بذنه وبيصره مع هذه الزيارة. من ذلك أنها نشرت في عدد أول يوليو سنة ١٩٣٤، صورتين كبيرتين ومتساويتين في الحجم. على أسفل جانبي الصفحة الأولى تمثله الأولى وهو «يحيط به فريق من قادة الرأي بالقطر الشقيق فلسطين وفرقة كشافة النادي الرياضي الإسلامي بيافا» وتمثله الثانية وهو «على مائدة الفطور بقصر آل الفصين صبيحة يوم وصوله إلى فلسطين. وحوله عدد من الشخصيات الكبرى ومنها الأستاذ سامي السراج والأستاذ حبيب جاماتي» وفي عدد آخر خصصت الصفحة الأخيرة المصورة لنشر ١٢ صورة عن رحلته تلك تحت مانشيت (في ضيافة العشائر العربية بفلسطين — صور تذكارية لزيارة صاحب الجهاد لبيسان في ٢٨ يونية سنة ١٩٣٤).

مثال آخر مانشرته في ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦، عن زيارة بعض زعماء الأقطار العربية لدار الجهاد. فقد نشرت في صدر الصفحة الأولى أربع صور على عرض ثلاثة أعمدة وطولهم تحت عنوان (صور مأدبة الجهاد لزعماء الأقطار العربية). وتضم الصورة الأولى «سماحة أمين أفندي الحسيني ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين وعن يساره

سعادة حافظ عفيفى باشا فعبد القادر بك الكيلانى القائم بأعمال المفوضية العراقية فالزعيم السورى الدكتور عبدالرحمن شهيندر وسعادة حمد الباسل بك ومدحت يكن باشا» وصورة — (الاستاذ الشريقى مفتش المعارف بشرق الأردن يخطب .. «وصورة» .. وحضرات المدعوين يسمعون «صورة رابعة لجانب من الحفل».

ولم تتوقف المواكبة لمشكلة فلسطين بتوقف «الجهاد» بل تابع توفير دباب المشكلة من خلال أحاديثه الاذاعية فى عام ١٩٤٨ وتمت عنوان «الدول الكبار والصغار» فى ١٤/٧/١٩٤٨ بث من خلال ميكرفون الإذاعة المصرية مساعدات الرئيس الأمريكى ترومان لإسرائيل مقابل شراء أصوات اليهود فى الانتخابات مما أضاع كرامة الولايات المتحدة فيقول :

«ثبت اليوم فى مجلس الأمن أن أصوات الناخبين اليهود قد أضاعت كرامة الولايات المتحدة».

وثبت اليوم فى مجلس الأمن أن الدولار الفعال فى مشروع مارشال قد أضاع استقلال دولة كبيرة زعمت أنها صديقة — أو على الأقل — أنها حليفة للعرب.

وثبت اليوم فى مجلس الأمن أن الكونت برنادوت لم يكن ولن يكون وسيطاً محايداً بين العرب واليهود فى فلسطين.

أما أن أصوات الناخبين اليهود قد أضاعت كرامة الولايات المتحدة فذلك أمر قام عليه الدليل تلو الدليل منذ وفاة الرئيس روزفلت ومنذ ورث كرسيه خليفته ترومان فدفعه تهالكه على بقاءه فى منصبه مدة أخرى إلى شراء أصوات اليهود بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ بشمن

فظيح هو محاربة الحق جبهة بكل سلاح ومناصرة البنى جبهة بكل سلاح وإسقاط العرب أجمعين والمسلمين أجمعين وكل إنسان يرعى حرمان الإنسانية ومبادئ الأخلاق في شرق أو غرب .

ثم يكشف من خلال «محاضرة» إذاعية «فى ١٩٤٨/٨/٤» بعنوان :

«حماة الصهيونية سيندمون» ما حدث فى مدينة «حيفا» من الاستيلاء على معامل تكرير البترول .

لعلكم قرأتم أو سمعتم أن العصابات الصهيونية قد استولت فى مدينة حيفا على أربعين ألفاً من أطنان البترول وعلى معامل التكرير . وهذا البترول قد خلفته وراءها دولة الانتداب ريثما يجاب مطلبها الذى تقدمت به إلى وسيط مجلس الأمن وهو أن يجعل مدينة حيفا مدينة مفتوحة لأن للعالم فيها مصلحة هى مصب البترول الآتى من العراق .

لكن الدولة المزعومة ما كاد يخلوها الجو فى حيفا حتى انقضت على ذلك البترول فاستولت عليه وعلى معامل التكرير ففتحتها عنوة .

وهكذا استحوزت بين يوم وليلة على أربعين ألف طن من الوقود السائل تمون به مصانعها وتزيد من قدرتها على العدوان .

حدث هذا بعد أن اتخذ مجلس الأمن قراره الأخير بوقف القتال ومن شروطه أن لا يأتى أحد الطرفين عملاً فى فلسطين من شأنه أن يزيد قدرته الحربية مادامت الهدنة قائمة أو مادام القتال موقوفاً .

ثم ينتقد محمد توفيق دياب ما يحدث فى جلسات مجلس الأمن من مناقشات ومنازعات لاجدوى منها فى حل المشكلة الفلسطينية من خلال مقالته «هيئة الأمم هل فيها غناء؟» «فيقول :

هذه دورة أخرى تنقضى من عمر هيئة الأمم المتحدة دون أن يستطيع مجلس الأمن أو اللجنة السياسية فى تلك المنظمة العالمية —الاهتداء إلى حل رشيد لقضية فلسطين، أو تنفيذ قرار واحد أصدره مجلس الأمن للعرب واليهود على السواء ناخزمه العرب، وازدراه اليهود .

عام آخر ينقضى تكثر فيه بجلسات بخاصة بهذه القضية البدئية البيئة ويشد فيه المراك أكثر ما يستند، بين الأهواء المتضاربة والغايات المتنافرة والحق يرتفع صوته على ألسنة الوفود من العرب وألسنة القلة من أنصار الحق بين الدول ولكنه صوت محجوب عن أسماع أصمها ضجيج الشهواء .. ؟

ثم يخلص محمد توفيق دياب حل المشكلة الفلسطينية من هيئة الأمم المتحدة فى عبارة واحدة وحدة العرب فيقول :

«لاأمل إذن فى مجلس الأمن حتى يأتى عدل ، ولا فى هيئة الأمم حتى إذا تمخضت عن كلمة حق يلفظها اللسان فإنهم يقولون إن عدلوا ، ولا يبتعون الثواب بالعمل .

وذلك أما لعجز غير مقصود — أو التفاخر القادر لغرض معلوم أو غير معلوم .

سيداتى وسادتى : لانحاة للعرب إلا برجولة العرب ؟ وحدة العرب ذلك ما نريجو وذلك ما نرتقب .»

ولقد تابع توفيق دياب تطور المشكلة الفلسطينية بعد ذلك على صفحات جريدة «الأخبار» فى مقالاته (والأمة العربية تغلى حفيظيتها) فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٥ والتي يصف فيها إسرائيل بأنها طراز وضيع من العصابات الغادرة حيث يقول :

«ما كادت الأمة المصرية الأصيلة تسمع أو تقرأ هذا الإنذار الموجه إلى أرباب إسرائيل وصانعيها من الدول الكبرى - حتى اشتعلت في نفوس أبناء مصر من كل طائفة ومن كل غنى وفقير وكل طالب وصانع وكل تاجر وزارع.. نار مؤججة من الحمية والحفيظة والغيرة: هل هانت علينا ديارنا وأهلونا وأعراضنا المصونة ودمائنا المحفوظة فأصبحنا فرائس تأكلها الذئاب والكلاب وأصبحنا مستضعفين يجرؤ على انتهاء حرماننا واهدار دماننا.. طراز وضع من العصابات الغادرة سماها الرئيس السابق ترومان «إسرائيل» قبل أن يلدها واعترف بها دولة بعد ولادتها بساعة واحدة.

ثم يصف إسرائيل وميلادها بأنه الميلاد التمس والمستر ترومان هذا -الذى جعل من نفسه قابلة تلقت خروج هذا المولود التاعس من رحم الشيطان. مستر ترومان هذا تسعفه أعصابه المضطربة أو جرأته المخزية على أن يكون دون غيره هو الذى يتنبأ -منذ شهرين تقريباً: بأن التوتر القائم فى الشرق الأوسط بين مصر وإسرائيل قد يتسبب عنه اشعال الحرب العالمية الثالثة.

ثم يتوقع توفيق دياب بالعواقب بالوخيمة التى سترتب عليها استمرار وجود إسرائيل فى فلسطين المثلثة المحتلة بأنها يمكن أن تتسبب فى حرب عالمية ثالثة فيقول:

«ياسبحان خالق العجائب من الناس والأحداث..

مستر ترومان يتلهف على ميلاد ولده هذا كتلهف العقيم رزق غلاماً بعد اليأس والقنوط..

وبعد سبع سنين أو ثمان من عمر هذا الطفل الذى غداه أبوه من

مال السحت والحرام وبعد أن نشأ أسوأ تنشئة ورباه أخط تربية .
يحيىء الولد البار بعد ذلك فيبشر الدنيا وما أنكدها من بشرى — بأن
مسلك هذا «الابليس» الصغير قد يسبب حرباً عالمية درية لاتبقى
ولا تندر..

ثم يشير توفيق دياب في مقالته إلى «السلام» كصمام أمن ضد
نشوب حرب عالمية ثالثة في الشرق الأوسط :
«والآن ها نحن أولاد نذكر نبوءة مستر ترومان ..»

ان بن «ترومان أو ابن» ترومان المسمى اسرائيل لا يكاد يجمع
يوماً دون أن يتعدى بالموانع والدبابات ومئات الجنود أو ألوفها على
موقع ما على حدود مصر أو حدود سوريا أو حدود الأردن . ومصر على
رغم هذا العدوان «المدير المتكرر» تحاول جهدها أن لاتثيرها حرب
محدودة أو حرباً شاملة .

١ — لأن مصر الثورة تريد السلام لمصر والعالم كله .
٢ — ولأن مصر الثورة توافق الرئيس ترومان — فيما أظن — على
أحتمال نشوب الحرب العالمية الثالثة بسبب أى حرب فى الشرق
الأوسط بين العرب وهذه الشقية المتجنبة اسرائيل .

ولم يتوقف قلم الكاتب الكبير محمد توفيق دياب عن مهاجمة
الصهيونية واسرائيل فلقد واصل هجومه من خلال جريدة الجمهورية
بتاريخ ٦ فبراير ١٩٥٦ .

رداً على البيان الثلاثى الذى صدر فى واشنطن عام ١٩٥٦ تحت
عنوان : «ايزنهاور وإيدن أخطاها التوفيق بقلم محمد توفيق دياب» .
وقد وجه توفيق دياب إلى ايزنهاور وإيدن التهم المنسوب إليهما :

«بأى حق يأتمران خارج الأمم المتحدة»..! «وما معنى اعتمادها على القانون الدولي!». و«كيف تقوم علاقات ودية بين قتلة وقتلى»!.. و«ولولا صفقة الأسلحة لما استمر سلام!». و

ثم يواصل توفيق دياب هجومه على الصهيونية من خلال مقاله بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٦ تحت عنوان:

«جريدة نيويورك تميز الصهيونية تحرض الاستعمار على الكتلة العربية»!! والتي كتب يقول فيها:

«هل هناك سم أنقذ من هذا السم الذى دسسته فى هذا المقال للعرب كاهنة الصهيونية العالمية.. جريدة التايمز هل هناك أخصب أو افكك من حمة هذا العقرب... لولا أن القوة العربية العقيدة لا يؤثر فيها سم العقارب..! ولولا أن الدول الغربية.. وبخاصة أمريكا وبريطانيا وفرنسا احتجت.. أو لعلها قد احتجت أكثر تحرزاً وحذراً من غاظر الاندفاع فى مغامرات صهيونية جديدة... أو فى خدمات استعمارية وخيمة العواقب فى الشرق والغرب على السواء..

وأكبر الظن أن يكون كاتب مقال النيويورك أو نافث سمومة فيه على الأقل هو أبا إيبان سفير إسرائيلهم فى واشنطن وكبير ممثليها فى الأمم المتحدة.

وذلك لما هو معهود فيه من الشعبانية الصهيونية والكفاية الممتازة المتفانية فى تمجيد إسرائيل».

وهكذا يلعب توفيق دياب دوراً خطيراً فى توعية الرأى العام وإيقاظ الضمير الوطنى فى مواجهة الأعياب الصهيونية. أن دور

«الجهاد» وتوفيق دياب لا ينكر في الاهتمام المبكر بمشكلة فلسطين
المثلة ومناصرة تفشيها العادلة أمام العالم.

الباب السابع
أسلوب توفيق دياب السياسى

ماهى أول مقالة كتبها الكاتب الكبير توفيق دياب فى حياته ؟! لقد أجاب توفيق دياب بنفسه على هذا السؤال من خلال مقالته فى مجلة الأثنين بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٥٠ والتي تحمل عنوان «أول ما كتبت» وفيها يقول :

« كان أول ما كتبت للصحف مقالاً نشرته لى جريدة «العلم» فى عهد المغفور له الشيخ المجاهد عبدالعزيز جاويش كان عنوانه : «لاذا تحجبون المرأة» وكان حملة عنيفة على المستمسكين بالحجاب بعد أن استفاضت دعوة المرحوم قاسم بك أمين إلى السفور بسنين» .

وذات يوم دخل فى لندن صديق حيم من طلاب الطب المصريين هو الدكتور الدرديرى رحمة الله وبهده نسخة من مجلة «ليز أيست» ذات المكانة الملحوظة فى بريطانيا فناولنى إياها فى تهلل وبشر... لقد قرأ فيها ترجمة كاملة للمقال جعلوا عنوانها « من دلائل النصر :

ونوهوا فيها بالمقال وكاتبة ! .

شجعنى ذلك على أن أبعث بمقالات أسبوعية إلى «الجريدة» وعلى رأسها. استاذنا الجليل لطفى السيد «بك» .

كانت سلسلة من خمس عشرة حلقة عنوانها «المدينتان» وازنت فيها بين بعض عاداتنا وبعض عادات الغرب. وتفضل استاذنا الجليل أو قلم التحرير بنشرها افتتاحيات في صدر الجريدة كل أيام السبت طيلة الأسابيع الخمسة عشر. كان ذلك وأنا طالب بجامعة لندن ألحق بتوقيعي هذه الصفة المتواضعة فياله كان من تشجيع لكاتب مبتدىء مازال في عهد الطلب..

كان سخاء كريماً من أساتذة جيلنا نحن شيوخ اليوم! . وسيزداد القارئ يقينا بهذه الفضيلة في أساتذة جيلنا حين يقرأ القصة التالية :
لما عدت إلى الوطن قبيل الحرب العالمية الأولى بأيام مررت برجلات صحافتنا لاتعرف إليهم واحظى بمعرفتهم .

فلما استقبلني الاستاذ الكبير الشيخ المحترم خليل ثابت بك بلطفة المهود وشرعت أقدم له شخص بادرنى بقوله :

لا حاجة بك إلى ذلك فأنا أعرفك وإن لم تكن تعرفنى !
فأدهشنى قوله لكنه أضاف موضحاً :
« ألا تذكر مقالك الذى كتبته فى موضوع الحجاب منذ سنوات ١٩ » .

« أنا الذى ترجمته إلى الانجليزية وبعثت بها إلى مجلة النيرايست » .
أليس إذن من واجبى أن أعترف بأمثال هذا الفضل لاساتذة الصحافة الأولين ! .

رحم الله الراحلين منهم وأطال حياة الباقين !
ولقد تميز أسلوب محمد توفيق دياب السياسى بالقوة والسهولة والسلاسة والفصاحة والكياسة سواء فى مقالاته أو مانشتيات جريدة

الجهاد.. وكان أسلوبه أدبي بليغ فى أغلب ما كتب من مقالات سياسية وقد ساهم هذا الأسلوب السياسى البليغ فى الدفاع عن القضايا الوطنية وكذلك الصراعات الحزبية والمعارك الشخصية.

وعلى سبيل المثال فى القضايا ما كتبه فى ٢٧ مايو ١٩٣٧ فى العدد (٢٠٤١) تحت عناوين :

«مصر أمست عضواً فى عصبة الأمم بإجماع الأصوات — ممثلو ٤٩ أمة يستقبلون مصر بالترحاب العميق والتصفيق الطويل — أمس توج استقلال مصر التام فى عصبة الأمم — وفى الغد يتوج ملكها فى البرلمان — بمناسبة عيد مصر بعصبة الأمم أمس — تحيات حارة للرئيس الجليل وللوفد الرسمى وللوفد المصرى ولذكرى سعد — ولأم المصريين ومثل مصر ساهم فى تحرير الوطن بقلم المخلص للحق أبداً محمد توفيق دياب .

ولقد كتب يومها الاستاذ توفيق دياب أروع ما كتب فى حياته :
أنت حر مستقل فكيف لا أكون ؟! وكيف أظل عبداً أو تابعاً رغم أنف الدنيا وقد انعقد اجماعها على أننى حر وأننى مستقل ! أنى أصدق إجماع الدنيا كلها وأكذب كل ريبة تخالجنى أو تفسد على شعور الحرية والاستقلال وأنت حرة يا مصر فاهنئى واهنئى يا مصر فأنت مستقلة كاملة الاستقلال بشهادة الدنيا مجمعة !.

ثم تابع توفيق دياب بأسلوبه المعروف فى اختيار العناوين دخول مصر عصبة الأمم فى عناوين الصفحة الأولى فى اليوم التالى (٢٨ مايو ١٩٣٧ العدد ٢٠٤٢) :

دخول مصر فى عصبة الأمم حادث دولى جليل وترويج عالمى مجيد

لاستقلال مصر التام يعود عليها بأعظم المنافع الأدبية والمادية .

وعند وجوب احترام الدستور المصرى واستقلال مصر خرجت الجهاد
فى أول يونية ١٩٣٥ فى العدد (١٣٥٤) بالعناوين الآتية :

(الشرف السياسى البريطانى فى كفة الميزان — أو السياسة
البريطانية بين الأقوال والأفعال — إجماع زعماء الأحزاب البريطانية فى
مجلس النواب فى سنة ١٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصرى
— نصوص تصريحاتهم بالانجليزية وترجمتها العربية — قرارات خطيرة
للجمعية العمومية للمحاميين — النص البريطانى السياسية فى كفة
الميزان — ماذا قال مستر مكدونالد وسير أوستن شميرلن فى سنة ١٩٢٨
بمجلس النواب البريطانى عن حكم مصر الذاتى والدستور المصرى
المناقشات البرلمانية فى مجلس النواب البريطانى بتاريخ ١٠ مايو سنة
١٩٢٨ والترجمة العربية للنص الانجليزى) .

ثم تابع بقوة عناوين هذه المسألة حتى يوم ٨ يونيو (العدد ١٣٥٣)
حيث خرجت الجهاد بالعناوين الآتية :

(الأعياب ومداورات تشين الدبلوماسية تجنى على سمعة الشعب
البريطانى) . وقد كتب محمد توفيق دياب ينتقد السياسة البريطانية فى
عهدها الجديد فى ٣ يناير عام ١٩٣٦ فى العدد (١٥٤٧) .

« لو احترم البريطانيون مشروع هندرسن — النحاس » وهو اعتراف
بحقوق مصر الطبيعية فى أدنى حدودها المقبولة كما احترموا مشروع بلفور
وعملوا على تنفيذه وهو عدوان صارخ على حقوق فلسطين خللت القضية
المصرية بين عشية وضحاها أو بين يوم ويوم .

ولو حسنت نية المتطرفين البريطانيين لاعترفوا بالحقائق الملموسة التي لا ينكرها إلا مكابر ذلك أن السنوات الست التي مضت منذ قطع مفاوضات النحاس - هندرسن كانت أسوأ السنين في تاريخ الصلات بين بريطانيا ومصر منذ عهد ثورة سنة ١٩١٩ إلى أن صدر دستور مصر منذ أسابيع .

ويرسم الكاتب الكبير توفيق دياب صورة دقيقة من خلال عناوينه للجهاد لأضخم اجتماع وطني في تاريخ مصر السياسي في الثلاثينات في ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) .

«أضخم اجتماع وطني في تاريخ مصر السياسي - المؤتمر الوطني العام للوفد المصري وصف متصل للجلستين الرائعتين أمس - النص الكامل للخطبة الخالدة التي ألقاها الرئيس الجليل في افتتاح المؤتمر - قصيدة عبقرية لأمر الشعراء الاستاذ المصري - الجلسة الأولى - وصف الاجتماع - خطبة خالدة للرئيس الجليل - خطبة جلسة الصباح - روعة النظام وعظمة الاجتماع لمندوب الجهاد الخاص .. - ملحق الجهاد الخاص بأعمال المؤتمر الوطني العام» .

ثم تابع بعد ذلك في اليوم التالي مباشرة في ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) (أعظم توفيق ونجاح يتجليان في المؤتمر الوطني العام - الخطبة التاريخية الفياضة التي أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم - باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة - القرارات الهامة التي اتخذها المؤتمر بالإجماع - الكلمة الفريدة التي اختتم بها الرئيس المؤتمر - (جهاد) أمس واليوم سجل كامل لأعمال المؤتمر الكلمة الختامية لدول الرئيس الجليل - قرارات المؤتمر - اليوم الثانى للمؤتمر الوطنى العام لمندوب الجهاد الخاص .

واختتم توفيق دياب فى ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٦) أعمال المؤتمر كاملة فخرجت الجهاد بالعناوين الآتية : (الوفود الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم الأمين وأم المصريين — عرقات الوطنية المصرية أو المؤتمر الوفدى بقلم الامتاذ العقاد — صفقات للوم باشا وشئون العمدة والشياخات — مقابلات بشأن المشاكل الكبرى التى تعالجها الوزارة — تطور جديد فى الخلاف القائم بين إيطاليا والحبشة).

ولقد رصد توفيق دياب بأسلوب الصحفى استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرة فى ٣١ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٧٥) :

(وتألق استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرة — حديث مستفيض لنولة ماهر باشا مع الجهاد — تعيين المفاوضين الرسميين بمرسوم يصدر اليوم — أسماء المفاوضين — بدل المفاوضات يوم ١٥ فبراير — خطبتان للرئيس الجليل المجاهد الكبير فى بيت الأمة مساء أمس).

وكان قد قام بتغطية صحفية للأوضاع السياسية التى سبقت هذه الاستقالة فى ٢٣ يناير ١٩٣٦ فى العدد ١٥٦٧ (قبول استقالة الوزارة النسيمية — جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية — دولته يعتذر ويقترح اشراك المعارضة فى المفاوضات — ارضاء للرغبة الملكية — اجتماع الوفد المصرى أمس واستئنافه مساء اليوم).

قبول استقالة الوزارة النسيمية — تكليفها بتسيير الأعمال حتى تؤلف الوزارة القادمة — الجبهة الوطنية فى الحضرة الملكية أدق التفاصيل لما دار فى المقابلتين يطلب إلى دولة الرئيس تأليف وزارة ائتلافية — دولته يعتذر ويقترح اشراك المعارضة فى المفاوضات ارضاء للرغبة

الملكية - اجتماع الوفد المصرى واستئناف الاجتماع مساء اليوم .

وكذلك فى العدد (١٥٥٤) بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٦ .

(الجمعية العمومية للمحاميين اليوم - اعتزامهم إعادة انتخاب الاستاذ مكرم نقيباً - اعتداء إيطالى جديد على التعبئة المصرية - الحكومة المصرية تقدم احتجاجها على الاعتداء الأول غداً - انتصار جديد للأحباش) .

وقد عالج توفيق دياب وجريدته الجهاد قضية الاعتداء على حياة مصطفى النحاس باشا وكانت الجهاد أفضل الصحف تغطية لهذا الحادث .. فقد خرجت الجهاد فى ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١) وعناوينها الرئيسية تقول :

(ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا ؟)
مغزى الغاء نذب النائب العام - ونقل رئيس محكمة مضر الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير لا يتفق واحترام العدالة - الدستور يحتم اجراء الانتخابات العامة - يوم ٣ ابريل وعند البرلمان الجديد يوم ١٣ منه) .

وتحت عنوان « لماذا ؟ ! » كتب توفيق دياب يقول :
(ماندرى ولا يدري أحد كيف تسبغ الوزارة لنفسها إلغاء انتداب حضرة صاحب السعادة النائب العام محمود سامى باشا وهو اتفق له الاشراف على تحقيق تلك الجناية الفظيعة التى اهتز لها العالم العربى كله ولا نقول مصر وحدها بل تلك الجناية التى وقعت حتى فى البلاد الغريبة موقع الدهشة والعجب لأنها جاءت عدواناً على حياة رجل يعرف الناس جميعاً مبلغ خدماته لوطنه طيلة العمر .

وقد كتب محمد توفيق دياب في اليوم التالي (الثلاثاء ٤ يناير ١٩٣٨ العدد ٢٢٣٢) تحت عنوان (نهاية):

«نهاية وضحية تلك التي اختتم بها حياته السياسية حضره الدكتور أحمد ماهر عضو الوفد المصري سابقاً ورئيس مجلس النواب سابقاً كذلك إذا كان إجماع الكثرة الكبرى من أعضاء المجلس على النداء بسقوط رياسته في جلسة أمس كافياً لإسقاطه من مكان الرئاسة وإن لم يأخذ هذا الإجراء شكله القانوني بعد.. نهاية وخيمة هي المصير المحتوم لمسلك وخيم وطوية أو خم فقد كان أحمد ماهر أحد القلائل الذي احتضنهم الوفد بسعي النحاس على عهد سعد).

ولقد خرجت (الجهاد) في نفس العدد وعنوانها الرئيسي :
(نهاية الدكتور ماهر — ثورة على حقوق مجلس النواب وثورة المجلس لحقوقه — مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف الوزارة ودستورية التأجيل — خلاف بين الوزارة هل تؤجل الانتخابات أو تجري في موعدها الدستوري — الوفد يفصل الدكتور ماهر وقد طفح الكيل — يوم فذ في تاريخ حياتنا البرلمانية — مشاهدة خالدة في مجلس النواب — كلمات خالدة في مجلس الشيوخ بقلم محمد توفيق دياب).

ولقد دافع توفيق دياب بقلمه — عن الوفد في كل مواقفه فقد كتب في ١٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٤٤):

«ولو أن النحاس كان ممن يوثرون المنصب والجاه والمال على حقوق مصر ودستورها للخضع واشترى الراحة والدعة والمنصب والجاه بقبوله أحكام مصر في حقوقها إلى لجنة طالما ذأقت مصر على أيدي الكثرة من رجالها مر العذاب وطالما حرمت على أيديهم نعمة الدستور

لكن النحاس أبى وأثر ماهو فيه اليوم من مجد الجهاد وشقائه على منصب يظلمه التهاون فى الحق — أى يظلمه العار — والعاقبة للصابرين» .

وقد خرجت جريدة الجهاد فى نفس اليوم بالعناوين الآتية :
(سفر الرئيس الجليل إلى بورسعيد — وداع رائع بالمحطة — استقبال حماسى فى بنها — على ماهر باشا يعترف اعترافاً خطيراً — (ماهر باشا يعترف واعترافه خطير) بقلم محمد توفيق دياب .

ثم واصل دورة فى الدفاع عن الوفد والانتخابات المزورة فى ٣٠ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٥٨) .

(طلائع لانتخاباتهم الحرة !! — تلفيق الدوائر الانتخابية لمصلحة المرشحين الوزاريين — حيرة الوزارة وجنودها الماهريين والنقراشين — التآهب لاصطياد أصوات الناخبين مشروع تخفيض الضرائب العقارية هو مشروع انتخابى لا مشروع اقتصادى .

ثم دفاعه عن الوفد واضطهاده فى ٢٠ فبراير ١٩٣٨ العدد (٢٧٧)
(اضطهاد الوفديين فى أنحاء القطر المختلفة يعيد إلى مصر لعهد البغيض — مظالم يرتكبها البوليس ورجال الإدارة) .

وإذا كان توفيق دياب قد جند قلمه للدفاع عن القضايا الوطنية وحزب الوفد .. فإنه أيضاً قد استطاع أن يتغلب بقلمه الحاد واللاذع على جريدة البلاغ فى المعركة الشهيرة بين الجهاد والبلاغ فى يونيو ١٩٣٥ .. فقد خرجت الجهاد فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) وعنوانها الرئيسى : (أكرموا ولى العهد من مثل هذا الدفاع بقلم صاحب الجهاد) .

(أهم قرارات مجلس الوزراء فى جلسة أمس - اقتراح فى كتاب مفتوح من صاحب الجند السبيل سليمان دواد إلى سعادة وزير الزراعة) .

وقد كتب محمد توفيق دياب مقالة عنيفة عنوانها :
(اكرموا ولى العهد عن هذا الدفاع المزرى) قال فيها :
«عزيز علينا نحن المصريين أن تكذب صحفاً مثل ما كتبه أمس زميلتنا البلاغ فى شأن سمو الأمير فاروق تحت عنوان :
(سمو الأمير فاروق هل يسافر أو لا يسافر) .

«على هذا النحو الصارخ من نسيان مقام سمو الأمير بل مقام القصر نفسه كتيب البلاغ ما كتبت على غير هدى ولا كياسة . والأمة التى تحترم نفسها - والصحف ألسنة الأمم - لا تنادى على ملء إلا شهاد بأن ولى عهدنا متهم أو كان متهماً ببغض دولة كذا أو أمة كيت وبأن هذه التهمة إنما قامت على وشاية وبأن الوشاة هم اساتذة الأمير وخدمة وأن فلاناً الذى أسند إليه أشراب ولى العهد هذه الروح برىء من هذه الوشاية !» .

ولقد هاجم محمد توفيق دياب جريدة البلاغ بمقالة أكثر عنفاً فى ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد ١٣٦٦ . تحت عنوان (بدائها ترمينا جريدة البلاغ حيث كتب يقول :

« كل ما تكتبه جريدة البلاغ وأن يمكن غفلاً من الامضاء محسوب على صاحبه ليس يعفيه من تبعاته قارىء أو زميل .

ولقد تناول البلاغ أمس الأول صاحب السمو الملكى الأمير فاروق وهو يسافر إلى إنجلترا أو لا يسافر بكلام رأيناه ومازلنا نراه غير لائق

بمقام الأمير ولا بجرمة القصر» .

أو هكذا شاء لصاحب البلاغ ومكره وساء له ورعه وشاءت له نفواه وأن يتردى بنفسه وبجريدته إلى هذا الدرك المفقوت الذى يعافه الشرفاء عامة والشرفاء من حلة الاقلام وأصحاب الصحف المطهرة خاصة .

ثم تابع هجومه فى الأيام التالية فى ٢٢ يونية سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧) :

(الوفد المصرى يجتمع مساء يوم الاثنين - على الصفحتين التالية والخامسة اقرأ لصاحب الجهاد (نستميح القراء عفوهم الكريم - لمحات لا بد منها من تاريخ صاحب الجهاد - كلمات صريحة إلى صاحب البلاغ وفى اليوم التالى مباشرة ٢٣ يوليو (رداً على مفتريات صاحب البلاغ) .

استقال بتهمة التحريض على الثورة - أيام التحقيق الثلاثة - ظروفنا فى الاستقالين - تاريخ جريدة اليوم - استئناف الحياة الياوية - ابتداء العهد الصدقى - تاريخ قريب يعرفه المصريون - حادث شخصى لاصلة له بالمبدأ ولا صلة له بالعيش) .

وقد استعان محمد توفيق دياب باليمين المغلظة وكذلك استعان بأية المباهلة للدفاع عن نفسه والهجوم على صاحب البلاغ .

فقد أوضح محمد توفيق دياب لقرائه وأقسم باليمين المغلظة وكانت أول بادرة فى الصحافة المصرية وقتها حيث كتب يقول تحت عنوان (اليمين المغلظة) :

أقسم أنا محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد بيمين البينونة

الكبرى على صدق الأقوال التى تلى هذا القسم وهى صادرة يمين وموقعة بامضائى كتبها ييدى قبل إرسالها إلى المطبعة .

أما الاستعانة بأية قرآنية وهى (أية المباهلة) فقد أوضحها محمد توفيق دياب بقوله :

«خاصم قول من أهل الكتاب فى نجران رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أمر ذى بال وكانوا يحتاجونه بالقول الملقق والدعوى الباطلة فلا يجد الرسول سبيلاً إلى أفحامهم لما كانت عليه القوم من حاجة فى غير دليل واصرار بغير برهان فأنزل الله تعالى على رسوله (أية المباهلة) وهى قوله تعالى :

«فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نوع أبناءنا وأبناءكم وساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبئل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» .

ولو كنا فى صدر الإسلام وفى أيام الرسول لدعونا صاحب البلاغ وأهله وأعدائه إلى المباهلة» .

وفى الأيام التالية قاد توفيق دياب حملة مكثفة على صاحب البلاغ ويبدو هذا من عناوين الصحيفة على التوالى .. ففى يوم ٢٤ يونيو ١٩٣٥ :

(ختام رودنا على صاحب البلاغ إلا أن يريد منا مزيداً
— مكانة الجهاد فى نفوس القراء — تهنة خالصة لصاحب البلاغ .
— عتاب آخر الأمة دعوتنا — موقفنا من الوزارة .
— مسلك صاحب البلاغ حيال الأبراشى باشا — نشكر لصاحب البلاغ إتاحة هذه الفرصة) .

تم يطلب توفيق دياب فى ٢٥ يونيو ١٩٣٥ من صاحب البلاغ أن
يقسم فى مواجهته :

(سحقاً لمفتريات صاحب البلاغ - منتهى ما يستطيعه صاحب
الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم العروبة والإسلام - قسمنا العظيم) :

(أية المباهلة - التهم المغلطة - فهل يقسم صاحب البلاغ) .

ثم يكشف توفيق دياب فى ٢٦ يونيو ١٩٣٥ كل الأعياب صاحب
البلاغ :

(حكم التأديب - يحو اسم عبدالقادر أفندى حمزه من جدول
المحامين - محكمة استئناف مصر الأهلية) مجلس تأديب المحامين - وقائع
الدعوى - أسباب الحكم - القضية الثانية - الحكم فى القضيتين) .

إن اسلوب توفيق دياب سواء كرئيس تحرير أو كاتب سياسى
مدافعاً عن القضايا الوطنية أو عن سياسة الوفد أو فى معاركه الشخصية
كان أسلوباً قوياً فى غير عنف قادراً فى غير صخب خلاقاً فى غير
إدعاء وهو أسلوب وقف بصاحبه على أعلى درجات المكانة الصحفية
وقد ساهم هذا الأسلوب أيضاً مساهمة فعالة فى أن يرد على خصومه
السياسيين والصحفيين فى هجومهم عليه وأن يرد لهم الصاع صاعين !

« نحن أشعة منك فأهدنا إلى نورك نور السموات والأرض .. أنت
وجودى ، أنت معبودى ، أنت المحبة والرحمة ، أنت الهداية والنور » .

من دعاء
توفيق دياب

الباب الثامن
توفيق دياب متصوفاً

كان توفيق دياب مؤمنا تغلب عليه النزعة الصوفية المتأملة التي تحسها في عباراته كاتبا وخطيبا كرجع الصدى وكانت هذه الظاهرة من أخص ملامح شخصيته ولها في حياته أثر كبير.

كان توفيق دياب من الباحثين عن الحقيقة .. الذين ينشدون الوصول إلى المرافىء الدافئة .. كان متصوفا .. وكان التصوف هو النبع الصافى الذى أرتوت منه روحه .. هو بر الأمان الذى وصل إليه .. هو الواحة التى شعر تحت ظلها بجلال الإيمان .. وقوة اليقين .

ولعل أبلغ تعريف للصوفية هو تعريف أبو الصوفية الشيخ الإمام الغزالى «ماذا يقول القائل فى طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى» ..

«ومفتاحها الجارى منها مجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى، وهو أقواها بالإضافة إلى ماتحت الأختيار» ..

وقال أحد العلماء عن الشيخ الإمام الغزالى :
— «رأيت الغزالى رضى الله عنه فى البرية، وعليه مرقعة ويده

عكاز.. وركوة فقلت له يا : إمام اليس التدريس أفضل من هذا؟
فنظر إلى شرزا وقال :
لما بزغ بدر السعادة فى تلك
الارادة وظهرت شمس الوصل
تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتني الأشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فأنزل
فالتصوف فكر وعمل ودراسة وسلوك وهذه هى أهم معاملة
الأساسية .
وإذا كان هناك اختلاف بين الصوفيين ، فهو اختلاف يدور حول
فكرتين :
هل سبيل الوصول إلى الله يأتى عن طريق الدراسة والبحث ، أم
أن الوصول يأتى عن طريق الزهد والتقشف ..
وحول هذا التساؤل .. كان الأختلاف بين المذاهب الصوفية
المختلفة .. والتصوف الإسلامى بدأ فى نشأته بسيطا .. فن المسلمين من
كاد يصوم نهاره ويقوم ليله ، ويجاهد نفسه بالزهد والتقشف كما فعل
عبدالله بن عمر ، وبلال ابن أبى رباح ، وسلمان الفارسى .. ولكن
هؤلاء جميعا يمكن أن نطلق عليهم كلمة زهاد ..
ولم تطلق كلمة الصوفية على جماعة محددة إلا فى القرن الثانى
المهجرى .. عندما ترأس أبو الحسن البصرى متصوفة البصرة ، وإبراهيم
بن آدهم متصوفة بلخ .. كما ذاع فى هذه الفترة تصوف رابعة العدوية
التي زهدت فى الدنيا حبا فى الله .. والتي ذاعت كلماتها ..

— «والله ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا فى جنتك ولكن
حبا فى ذاتك».. ولم يكده يأتى القرن الثالث الهجرى حتى أنتشرت
المذاهب الصوفية.. فنرى البسطامى الذى نادى بفكرة الفناء فى
الله..

ونرى الحلّاج الذى قال بإمكان الاتحاد مع الله.. أى يندمج فى
الذات العليا.. أن يصبح جزءا من الحقيقة الكبرى.. ولقد مات
الحلاج قتيلا بعد سلسلة طويلة من التعذيب عندما قال ان الله يمكن
أن يحل فى جسم فرد من عباده..

ولقد أتمه بعد المتصوفين إلى الأبحاث الفلسفية ليقوم مذهبهم على
أساس فلسفى.. فكان من هو أقرب من الفلسفة كمحيى الدين بن
عربى القائل من كلماته الشهيرة جدا:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

وقد صار قلبي قابلا كل صورة

فرعى لغزلان، ودير لرهبان

وبيت لاوثان وكعبة طائف

وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت

ركائبة فالحب ديني وإيماني

كما نرى تصوف عمر السهر وردى أقرب إلى الفلسفة أيضا منه
إلى التصوف ولكن كل هؤلاء كان أثرهم فى التصوف خافتا إذا قورن
بما قدمه أبو حامد الغزالي فى هذا الميدان.. لان الغزالي ترك بصماته
على القرون التى تلتها جميعا حتى يومنا هذا..

لقد جاء الغزالي ليقول أن هناك عالمين ..

عالم الظاهر ..

وعالم الباطن ..

وإذا كنا ندرك عالم الظاهر بالحواس .. فأنا بالتيقن والإلهام ندرك
عالم الظاهر بالحواس .. فأنا بالتيقن والإلهام ندرك عالم الباطن ..
ولكن هذا الفيض لا يتم عن طريق اتحاد أو حلول .. ولكن بمثابة
كشف روحى يحدث فى اليقظة أو فى المنام للمقربين إلى الله .. أى
أن أبواب المعرفة تفتح نوافذها للعابد لدرجة لا يستطيع أن يصل إليها
العالم بعلمه .. وكان منهج الغزالي هو الشك .. وبذلك سبق فلاسفة
العصر الحديث .. من أمثال رينه «ديكارت» فى فرنسا ، «ودافيد
هيوم» فى إنجلترا .. وإن أختفت النتيجة .. وهو يوضح ذلك بقوله ..

«من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى
فى العمى والضلال» ..

وإذا كانت الصوفية ملمحا من ملامح شخصية توفيق دياب فلنا
ان نتساءل : كيف بدأت قصة الصوفية معه ؟ ..

عندما ذهب إلى لندن للدراسة .. كان من الممكن أن يلهو كالأى
شاب .. يخرج من بيته إلى بيئة أخرى مغايرة فى كل شىء فى
العادات والتقاليد والقيم .. وكان يمكن له ان ينطلق على طبيعته ،
ولكنه يسلك طريقا آخر .. حتى هذا الطريق الآخر لعبت الصدفة فيه
دورا كبيرا .. فقد كانت معه فى الجامعة فتاة جميلة .. كان شباب
الجامعة يتهافون عليها كل منهم يود ان يصادقها .. واستطاع توفيق
دياب أن يأخذ منها موعدا .. وبينما هو فى الطريق إليها .. لفت نظره

لافتة لجمعية صوفية ترأسها الإنجليزية — أنا بيزانت — وسألها عن التصوف .. أهدت له كتابا ما كاد يقرأه حتى غير طريق حياته تماما .. آمن بالصوفية .. وأنضم إلى تلك الجمعية التي كان من بين أعضائها كريشنا مينون .

وقد ذهب بعدها للملاقة فتاته ... ولكن نظرته إلى الحياة تغيرت .. أخذ يتحدثها عن الأخوة والصدقة .. ومنذ ذلك اليوم أصبحت الصوفية ملازمة له كظله وظل عضوا في جمعية التصوف العالمى الذى أصبح مقرها الهند .. مؤمنا بتلك الفلسفة إلى آخر لحظة من حياته ..

وهذه الفلسفة يمكن أن نلخصها فى ان الإنسان بالمجاهدة يستطيع ان يصل إلى الذات العليا .. ان يندمج فيها .. كما إنها تؤمن بوحدة الوجود .. وبذلك فكل شىء مقدس .. الحيوان .. والنبات والجماد .. وان الأرواح تتناسخ .. وتظل الأرواح هائمة تنتقل من الإنسان إلى الحيوان والطيور .. إلى ان تتطهر فتتجسد فى شخص نبي أو عظيم كغاندى .

هذه الحقيقة عبر عنها الشاعر (أكبر) بقوله :

هناك يا أخى عالم لا تحده الحدود .

وهناك (كائن) لا أسم له . ولا يوصف بوصف .

ولا يعلم عنه شيئا إلا من يستطيع ان يصل إلى سمائه .

انه لعالم مختلف عن كل ما يسمع ويقال .

هناك لا ترى صورة ولا جسدا ولا طولاً ولا عرضاً .

فكيف لى ان أنبتك من هو ؟

انه ليستحيل أن تعبر عنه بالتقاط الشفاه ..

ويستحيل ان يكتب وصفه على ورقا .
ان الأمر هنا كالأخرس الذى يذوق طعاما حلوا .
فكيف يصف لك حلاوته ..» .
وهكذا عاد كاتبنا ونفسه مليئة بهذا المعنى الصوفى ..
ماذا كان تصرفه ..

أقام فى قريته على شاطئ إحدى الترع سريرا .. يجلس هناك
طويلا متأملا فى الكون تاركا نفسه تهيم فى عالم ما وراء الطبيعة .
ولكن صوفيته لم تبعده عن تيار الحياة المتدفق .. لم تلهه عن
القضايا الوطنية والسياسية .. كان التصوف بالنسبة إليه نظرة إلى
الحياة ..

والأديان كلها وسيلة وليست غاية .. وكان كثيرا ما يداعب
الأدباء .. لقد أرسل مرة مع عبد الحى دياب غطاءى رأس (بيرة)
وكتب يقول للعقاد هذه قلنسوة وأختها تتنافسان فى شرف الالتقاء
بالرأس العظيم .

وكان رد العقاد على هذه الهدية شعرا :

على الرأس تحمل تلك الهدية .

ونذكر فى كل نجوى خفية .

وحسبى واحدة منها .

فأعظم بثنتين من أريجيه .

إذا ما أحتوى الرأس أحدهما .

فهديهما صاحب العبقرية .

ولقد عبر توفيق دياب عن الصوفية فى مقالته « الملأ الأعلى » التى
نشرها فى (مجلة الهلال) ويقول فيها :

«لكننى أذهب مذهب الشعراء حين أتجه بروحى إلى الملاء الأعلى
— مذهب الشعراء التسامين عن الفى فلا «يتبعهم الفأوون» — ذلك
بأن إيمانى إيمان شعور وإلهام — قبله إيمان رواية تروى أو برهان يقام .
فلا ملئت الأرض ملاحده ، وكانوا أعظم الناس علما بنواميس الطبيعة
فيما يزعمون ، ثم ملأوا الفجاج إنكارا وجودا لما وراء المادة التى
يعرفونها وما فوق الحياة التى يحيونها ، لسخر منهم جميعا إيمانى العميق
المطمئن — بأن وراء علمهم ، وفوق علمهم ، مجهولات مقدسة عظمى
هى بمثابة بحر خضم ، لا يبلغون ولا يعرفون من عيابه سوى رشاش
وقطرات أو بمثابة شمس وهاجه . وما زالت محجة عن الناس حتى
الخواص ، إلا شعاعة هنا ، وشعاعة هناك .

وحين أقول ان إيمانى مصدره الاوثق شعورى وإلهامى وإنى أنحرف
عرضه ووصفه منحى الشعراء السامين — لا أريد بالشعور والشعر أخيلة
مطلقة من قيود الحقيقة ، وأوهاما مضطربة عشواء ، كما يهذى المريض
أو السكران وإنما أريد ذلك الشعور المكين فى قرارة النفس اليقظى وإن
نام البدن ، وأريد ذلك الشعر الصادق ، الذى يتعالى من الشعور كما
يتعالى البخار العطر من الماء العطر . كلاهما شىء واحد ، من أصل
واحد ، وإن اختلفت المظاهر والأشكال .

ويعترف محمد توفيق دياب بأنه حاول ان يتلمس طقوس التصوف
بالعزلة عن الناس والزهد عن متاع الدنيا وترك أكل اللحوم والاكتفاء
بأغذية النبات . فيقول فى مقالته (الملاء الأعلى) :

أرادت لى مطالعاتى للإمام الغزالى وفلسفته الصوفية فى القلب
والروح ، ومطالعاتى للفلسفة الهندية وغيرها من الألهيات ، أن أترك

أكل اللحوم واجتزىء بأغذية النبات وأن أنطوى على نفسى . وعلى
تلمس النور من ربي سنوات ، أكثرها قضيتها طالبا فى الغرب ،
وبعضها قضيتها فى عزلة عن الناس فى ريفنا العزيز .

أقمت سريرا فى بعض الحقول بعيدا عن القرية بعض الشيء ..
وجعلت إلى جانبه منضده عليها كتب قيمة شرقية وغربية ، بينها كتاب
الأستاذ / «وليم جيمز» (ألوان من التجاريب الدينية) وهو من أعظم
التأليف فى أخذت نفسى به إذ ذاك فكنت لا أفكر إلا فى الملأ
الأعلى يقظا ، ولا أكاد أحلم إلا به نائما . وما أعجب ما أحسست وألذ
فى تلك الليالى والأيام . أحسست إنى جزء لا يتجزأ من الكون كله ،
وأن لى أخا فى كل نجم وكل كوكب إذا جن الليل ، وأخوة فى
الشجر والنبات وفى الطير والحيوان ، إذا أضاء النهار . تألف عجيب فى
نبض الحياة ، حياتى وحياة كل موجود سوى . حتى لقد أنطلق لسانى
بقصيدة طويلة لم أعد أذكر منها إلا مطلعها :

شمس السماء مضيئة بفؤادى

وبياض نفسى نور كل سواد

ونجوم ليلى والكواكب لمعا

حبات قلبى أغريت بسهاد

ويروى توفيق دياب قصة يؤكد فيها على شفافية التصوف التى

كانت تلازمه فيقول :

أحسست (أحاساس وجدان) معنى وحدة الوجود ، مهما يقل فيها

القاتلون أو ينح على مذهبها الناعون .

وفى ذات ليلة رأيت فيما يرى النائم حلما مزعجا ، رأيت خادما فى

بيتنا بالقرية واقفة ببابه ترسل صوتها منتحبة باكية. وأقبلت أسأها
ما بك يا فلانة. قالت: سيدتى سيدتى تحتضر.

ولم يكن عهدى بالسيدة أنها مريضة. فدخلت، وإذا الحجره عن
يسارى يقف ببابها — فلان وفلان من أعضاء الأسرة مشفقين. ثم
أدخل فأجد السيدة على فراشها قاربت الرحيل. وإلى جانبها طبيبا
لمركز فلان. وسيدات من الأخوات والقريبات تفتح المودعة عينها
فاذا رأتنى تمتمت بدعوات طيبات. ثم تغيب. وبيننا نحن فى ذلك إذا
صيححات من الحجره المقابلة فأقصد إليها فاذا شقيقة السيدة المحتضرة قد
أغمى عليها من وقع مصابها فى أختها، فتحملها إلى دارها ضارعين
إلى الله أن يجنبنا موت شقيقتين فى ساعة واحدة.

كان ذلك حلم حلم عالم — سوى أننى بعد يومين دعيت من عزلتى فى
الحقل إلى بيتنا فى القرية. وإذا الصائحة النائحة، هى الصائحة
النائحة بأسمها وعينها. وإذا القريبان الواققان بباب الغرفة هما فلان
وفلان، وإذا المشهد كله هو المشهد، كأنما صورة بالآلة الفتوغرافية
مصور. السيدة المحتضرة، والطبيب بعينه، والسيدات بأعينهن. وإذا
الصحية المرسله من الغرفة المقابلة. وإذا الشقيقة التى صرعتها الفشية
وإذا بنا نحملها ونضرع إلى الله أن ينجينا من ماتم مزدوج.

فا هذا؟ كيف يفسره العلم؟ أهى مشاغل النهار تخالط أحلامنا
بالليل؟ لم أعلم قط أن بهذه السيدة مرضا أو شيئا يشبه المرض. انه
غيب محض وغيب تحقق فى الواقع المشهود كما رأته عين النائم، كأنها
آلة مصورة لم تفتها صغيرة ولا كبيرة من جملة أو تفصيل.

تفسير ذلك إنما هو صلتنا بالملاء الأعلى.

ولقد تجلّى التصوف فى خطب محمد توفيق دياب ومحاضراته فيقول
فى محاضرة عنوانها «بأى ميزان نزن الحياة» ألقاها فى يناير سنة
١٩٣١ وفيها تضيء إلى جانب أصالته الأدبية والفكرية نزعتة الصوفية
العميقة :

ذلك السر الغامض ، الذى يبدأ بالميلاد وينتهى بالوفاة ، ذلك السر
الغامض الذى تسميه الحياة ، ونرى أنفسنا فى غماره متدافعين إلى
الإمام أو متراجعين إلى الورا .

ذلك البحر الخضم ، الذى تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ،
حتى إذا سبحنا فيه شوطا قصر أو طال ، نزعتنا منه تلك القوة الخفية
حين يحل الأجل .

هذه المعركة التى نساق إليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير
مختارين ، هذه الحياة ماهى ؟ وما غايتها ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحدا يستطيع الجواب عن هذا السؤال فى كلمة أو كلمات .
إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة فى كنه الحياة .
فقدما كان ، وإلى اليوم ومازال هذا السر الرهيب موضوع البحث
الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين .

وليس عجبا أن يفكر الفلاسفة فى مرمى الحياة ، وإنما العجب ان
لا يفكر فى مرمى الحياة جمع الناس نولد أجنة وندرج أطفالا ، ونشأ
صبية ونراهق فتيانا ، ونستوى رجالا ، ونبلغ الكهولة ، وتدر كنا
الشيخوخة ان قدر لنا أن نعلم . ثم ماذا ؟ ثم تحف الشجرة وتذوى
الأزهار ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فإذا نحن رفات
وذلك دون أن نفكر يوما لماذا ولدنا ، ولماذا حيينا ، ولماذا نموت . ودون

ان نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود . وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم ، أم جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟

ستظل من نوافذ الغرفة لترى على أى حديقة تشرف .

ستفتح الباب ، فان كان موصدا عاجلته حتى ينفتح أو يتحطم . فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر بينة ويسرة فى ذهول وحيرة ، ثم جعلت تطوف بأرجاء الدارمسائلاً نفسك : أين أنا ؟ وما هذه الدار ؟ ولن ؟ وفى أية مدينة ؟ ولن يبدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هى أشبه ماتكون بالمرضات ، فتبتك بأن هذه الدار — عافاك الله — مستشفى ، وأن أغشاء طارئة غشيتك ، فخاف عليك والدك ، فأسرع بك إليه ، حتى إذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لاخطر فيه ، أثر لك الإقامة هنا أياما ، إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليما معافى .

حينئذ تدرك حقيقة المكان ، ومن جاء بك إليه ، وما السبب .

فإذا عرفت أن الغاية هى أستشفاؤك مما بك ، لم يزدك علما بهذه الغاية إلا أخذ بأسبابها وإستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ماأراده والدك وما أصبحت تريده لنفسك .

هذا شأننا من الدهشة والتساؤل إذا طرحت بنا الطوائف إلى مكان نجعله . فما بالنّا تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية ، على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار — نظهر ونختفى على ظهر هذا المحيط الهائل ، كالفقاع تتفتح وتنفجر فى مثل لمح البصر — دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الحيرة والتساؤل والتفكير ؟

لماذا بعثتنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا ؟
ألنقضى فى هوائها أو عنائها، فى صحتها أو فى مرضها، فى
غناها أو فقرها، فى عدلها أو ظلمها، فى إخائها أو لئدها، فى رفقتها
أو جفائها، أو فى مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاما إذا طال
بنا العمر؟ وماستون أو سبعون عاما فى أمتداد الأزل الذى لا أول له،
وفى أمتداد الأبد الذى لا نهاية له ؟ ان العلماء ليحصون السنين التى
سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالألوف، ويقدرّون لها
البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الأحصاء .

فا أنا وماأنت، ومانصيبى ومانصيبى فى هذا السرمذ الذى تحار
فيه الألباب ؟ ذرة ضئيلة من جبل أشم، قطره هينة من محيط مترام .
ان التاريخ المدون أو المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين،
وهى التى شغلت أقلام المؤرخين، وهى التى ظهرت فيها حضارات
واختفت حضارات، وأرتفعت أمم وأنحطت أمم .

وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب، وطفى فيها من الرق
والأستعباد، وتقلب فيها من العقائد والأديان، وأختلف فيها من طرائق
الخير والشر، وتعاقب فيها على الجماعات والأفراد من السعادة
والشقاء، وأظلم فيها من الضلالات والجهالات، وأضاء فيها من
المعارف والعلوم — ماتصيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات
ومئات الألوف من العقول وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين .

وماهى من ماضى الإنسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب،
وماهى من مستقبل الإنسانية الذى لا تترامى إلى حدوده عين
الخيال — إلا بمثابة الدقيقة والواحدة من ألوف الأعوام .

إذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتي وعن ميزان حياتك وميزان حياتي؟ وما حياتك وما حياتي إذا قستها بهذا المقياس الخفيف؟

إنك لو نظرت إليها بالمكرسكوب لعز على المكرسكوب أن يكشفها لمن ينظر إليها من أفق الأزل القديم وأبد الخالد. ألا تصدق؟ إذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذي عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين، وسيعيش فيه أحفادك ملايين أخرى لا يحصيها العد، ان لم يصطدم به جرم سماوي آخر فإذا أراضك هباء في مثل قصف الرعد أو خطف البصر؟ ألا تعلم أن هذه الأرض بماضيها الزاخر ومستقبلها العظيم الباهر إنما هي شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر، فجالت شرارتك في الفضاء. حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمس واستحالت حصة (مستقلة ذات سيادة).

أنا وأنت وهى وهو وهم وهن آحاد فى عداد ملايين الأمة المصرية. والأمة المصرية إحدى العشرات الكثيرة من أمم هذا العصر، وأمم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع إلى ماض لا يدرك الخيال مبتداه، وتمتد إلى مستقبل لا يدرك الخيال مناه على هذه الأرض. وهذه الأرض شظية كانت ملتبة تثار من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور.

فإذا عسى تكون حياتي وماذا عسى تكون حياتك؟ لاسيما وأنت تعلم أن نظامنا الشمس ليس إلا واحدا من نظم كثيرة تماثله، لو أطلنا التفكير فى كنهها وفى تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا

أعوامنا الستين أو السبعين فى التفكير دون أن تزداد فى تفهمها إلا
ذهولا وحيرة .

تم نكتشف النظرة الصوفية الزاهدة التى يكشف بها محمد توفيق
دياب عن ذاته المتصوفة وعن الهدف من الحياة التى تجرى فى هذا
الكون الكبير فيقول :

هل تحتملون منى كلمة جريئة ؟ إذن تفضلوا فأسمعوها .
إذا كانت الحياة هى الأعوام السنون أو السبعون التى نعيشها فى
هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثنا
لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا
إليها لحكمة ، إذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، إذا كان
مولدنا فى هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان
موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، إذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية .
عضوية مجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لأسباب
مادية لا أقل ولا أكثر .

إذا كانت أيامنا فى هذه الدنيا برزخا تاعسا بين بلقيس : بلقع
الماضى قبل أن نولد ، وبلقع المستقبل بعد أن نموت .

إذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة .
إذا كنا كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الألام وهذه الأمراض
وهذه المخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل
الإنسانية .

إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه
الأدب التى تسمى إليها الأمم جيلا بعد جيل .

إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد — هو أن يعيش كل فرد من الناس خصبين أو ستيبين عاما محدودة بتجديد: عدم مطلق منذ الأزل، مطلق إلى الأبد، ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين

إذا كان الأمر كذلك، فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون ان الأنتحار أولى بهم وأجدر، أما أنا فلو كنت منهم لانتحرت.

ان هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لاتساوى فى ذاتها غصة الفقر ولا ذلة الحاجة عاما واحداً.

أنها فى ذاتها لاتساوى برحاء المرض الممض نصف عام. إنها فى ذاتها لاتساوى احتمال الظالمين، ولا جبروت المتجبرين.

ان المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد، هو ان الحياة سر قديم خالده — لا حياة الجماعة فحسب، بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل فى نفوس الناس أو هان.

إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم مستهية إلى عدم، إذا سألتهم: لماذا يعيشون؟ قالوا: نعيش طوعا لغريزتين: غريزة الحرص على بقائنا، وغريزة الحرص على بقاء النوع.

أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى فى الطفل يتجنب السفوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة.

أما حرصنا على بقاء النوع فواضح فى الأم تسهر على ذرايتها،

والأب يقول أبناءه، حتى ولو كانت الأم حيوانا أعجم .

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء . على اختلافها قد يجعلها العلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته وصورا جديدة لأرادته .

لكن ذلك القبس الذى هو نفحه من روحه، جلت روحه وعلت من الأرضين والسموس والأفار، وذلك القبس الذى يصلكم به صلة أزلية خالدة تنفصم، ذلك القبس هو سر الوجود .

فبأى ميزان تزن الحياة . أميزان الطعام والشراب والفقر والغنى والدور والقصور والبذخ والمناعم والوظائف والمناصب ؟
نحن لا نحتقر الطيبات من الرزق ولا نبغض إليكم كسب المال وإنفاقه فى سبيله الخيرة .

بل نحض على ذلك، ففيه حفز للهمم وعود على النفس وذوى القربى وأهل الخصاصة بالمتاع الحلال .

ولكن الأمر كل الأمر الذى أريد أن أذكر نفسى به وأذكركم، هو أن كل مرافق الحياة من متاجر ومزارع وصناعات، ومن مطاعم ومشارب ومساكن، هى أدوات ووسائل لا بد منها . ولكنها ليست غايات .

أذكر نفسى بهذه الحقيقة الأولية وأذكر بها حضراتكم لاغضا من الوسائل ولا صرفا لكم عن اتخاذ الأدوات، ولكن لأنك لو أحصيت فى زماننا هذا أولئك الأيقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة لالفيتهم نرزا يسيرا لا يبلغ عددهم فيا أحسب واحدا فى كل ألف .

أولئك يزنون الحياة عامة ، ويزنون حياتهم خاصة ، بما تحوى جيوبهم من مال لا بما تحوى نفوسهم من خصال ، وبما يغفلون من مناصب ، لا بما يخدمون من مبادئ .

وتتجلى النزعة الصوفية لدى محمد توفيق دياب حين يقول ان ملهم كل ذى موهبة أو كل صاحب اختراع أو مكتشف سرا من أسرار الطبيعة هو ذلك القبس المستمد من قوة الله سبحانه وتعالى فيقول :

فى هذه المدرسة الربانية الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم . فمنهم المبرز ومنهم المتخلف . فلأتعجبوا إذن لبعده ما بين الناس من تفاوت فى الأخلاق والعزائم والعرفان .

لكن حين يعلم الناس أنهم هاهنا تلاميذ ، وأنهم لم يرسلوا إلى الحياة لعبا ولهاوا ، وإن معلمهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل فى كل قلب مضىء ورأس عامر بالعلم ، ونفس خفاقة بالشعر أو ببداائع الفن الجميل . حين يعلم كل ذى موهبة ، وكل ذى فضيلة ، وكل صاحب اختراع ، وكل مستكشف لسر من أسرار الطبيعة ، ان ملهمة ومرشده هو ذلك القبس المستمد من قوة الله ، حينئذ يبطل الغرور حياء من الله ، وتتضاعف الهمم مرضاة للمعلم الأعظم ، ويكون ميزان حياتك هو مبلغ محاكاتك لصفات المصدر لكل عظمة من عظام الصفات .

ويقول فى محاضرة عنوانها «ثروتنا الخلقية» :
قاتل الله الأنانية . فهى تغل يد الغنى فى أغائة الملهوف إذا نزلت به النكبات ومزقته التوائب هى التى تمزق الجماعة أحزابا والأحزاب شيعا . والشيعه آحادا متحاسدين . هى التى تجعل المناصب مغام

وتجعل المغامر قسمة بين المحظوظين. هي التي تجعل الكبير مزهوا بطرا.
وتجعل الصغير حاسدا ضجرا. قاتل الله الأثانية فهي التي تكاد تحمل
كل مصرى على ان ينسى المصرى فى وقت محنته. حتى لنخشى أن
ينسى الجميع هذا الوطن ان حلت به الكارثة.

وقال فى محاضرة أخرى يذكر الفلاحين فى سنة ١٩٤١ . :
« هم وسطاء الله بين أرضه وبين المرزوقين الطاعمين من خيراته.
أفليس لوسيط الخير الألهى أن يعيش من خبر الله .

ويخاطب توفيق دياب يوم الجهاد :
يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وفيه أيضا نزع إنسانية صوفية قال « لك
الخلود والتقدیس إياها اليوم الساطع بين غيوم السنين . لقد جئت فحة
علوية من عند الله . كى تعلم اللاصقين بالأرض منا كيف يطمحون
إلى السماء بالمقول والقلوب والهمم كم وددنا أيها اليوم الأغر لو دمت
فينا سرمدا ، لالنجاهد خصيمه الامس وحليفة اليوم ، ولكن لنجاهد
فى طوايانا شرور أنفسنا ولا لزريق دما زكيا . أو نزهق روحا عالية
ولكن لزريق بيننا كل شهوة خبيثة وكل مفسده فاشية .

ويقول فى بحث عنوانه علمتنى الحياة « يقول » علمتنى الحياة أن
أزن النجاح بوسائله لا بشمراته وأننى لأرى الفقير الكريم فاحتفى به
حفاوتى بالنفس الفاضلة . وأرى الغنى الذى كسب ماله عن طريق
بأبائها الضمير فأزوى عنه وجهى أو قلبى كما أزويه عن كومة من
الذهب المسروق .

وعلمتنى الحياة أن أزن الناس بما تحتوى أنفسهم . لا بما تحتوى
خزائنها . وعلمتنى الحياة أن أتحمس فى الناس معادن النفوس .

وعلمتني الحياة أن أقيس أصحاب المراتب لا بسعة النفوذ، ولكن بسعة الأفق وعلو الهمة والتسامي عن الصغائر وعلمتني الحياة ان الناس ضيفوا رحاب الحب حتى ضاقت بهم رحاب السعادة .

ولاشك ان محمد توفيق دياب كان متصوفا ليس فقط فيما يكتب أو يلقى من خطب أو محاضرات بل كان متصوفا في أدق تصرفات حياته الشخصية وليس أدل على ذلك من رسائله إلى زوجته والتي يقول فيها :

«والآن أستحلفكم بالله وشرفي وشرفكم إلا تغمضوا عيونكم في الليل إلا وتكون آخر فكرة لكم قبل الاستغراق في النوم .. فكرة نبيلة طاهرة لا حقد فيها على أحد .. وكرها لأحد ولكنها خير وطيبة وكرم نفس، وطرده سريع لكل خاطر سيئ . أو هاجس وضيع ويكون آخر ماتقولون .. أياك نعبد وأياك نستعين .. أهدنا الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعمت عليهم . ثم تنامون على بركة الله أياما . فلا ينقضى سوى أيام حتى تكون أحلامكم وادعة صافية .. وحتى تشعرون أنكم في رعاية الله وبين يديه في المنام واليقظة .

والآن أوجه كلامي إليك يا حبيبتي مشفقا عليك من أن تظنني أنني بهذا الاتجاه سأزهد في أعمال الدنيا وواجباتها ، كلا وألف كلا ، بل هذا سيزيدني قوة على قوة ويضاعف من رغبتني في أرضاء رغباتكم العزيزة .. كما أنني سأعرج معك ويدي في يدك إلى آخر هذه الحياة وفي الحياة التالية ما نستطيعه من معارج الطريق تدريجيا ، مرحلة بعد مرحلة ، دون أجهاد ولا مفاجأة ، بل تنموا ان شاء الله معا نحو طبيعيا تدريجيا لطيفا ، بحيث نستقبل الحياة الآتية ان شاء الله ونحن على أتم

أستعداد لأمتحان النقاء الكامل والتحرر الحقيقي من جميع ما نريد أن نتحرر منه من دوافع الطباع في تركيبها الجشمانى وفي رغائبها الأرضية فلا أنا أتركك ولا أنت تسبقينى، بل نكون فى هذا قريين لا يفترقان ..

إلى هذه النزعة الصوفية التى أرتاح لها وسعد بها وعثر على سكينته فيها رد محمد توفيق دياب على صديقه عميد الأدب العربى د. طه حسين وهو يستقبله عضوا بالمجمع اللغوى حين عرض الدكتور طه حسين لموضوع التصوف فرد عليه توفيق دياب قائلا :

«أننى حقا ذقت حلاوة التصوف، ونعمت بنعمته وسموت بسموه عن غرائر الأثرة وسלטان الشهوة.. ليتنى أستطعت الاحتفاظ بهذا السمو فى العواطف والمشاعر والأفكار بقية الحياة، إذن لطللت قريبا من ربى، يقبلنى كل ساعة وفى كل لحظة، فى اليقظة والنام، ولكننى وأسفاه قد أجتاحتنى جوانح الدنيا وجرفتني جوارف التيار على أن أمرا واحدا بقى لى أشكر الله عليه، ذلك أننى قد انحدرت من الأفق الأعلى الذى كنت عرجت إليه أيام التصوف، لم أهبط قط بعد ذلك إلى الدرك القديم الذى كنت فيه أيام التيه والضلال» ..

وقد علق على هذا الشاعر الكبير عزيز باشا أباطة بقوله :

«كلام من هذا.. ان لم يكن كلام متصوف غارق فى تصوفه الرفيع العميق.. وفى حياته الروحية النبيلة المشرقة.. وفى تذوق حلاوة بعض روحانياته، التى تدافعت من حنايا نفسه، فأطلقها على لسانه أدعية عابدة كأنها مقتبسة من نور الله.. وأدعية تلك تبلغ المائة

أو تريد. كتبها على مصاحفة أو على كتبه الجامعة لحديث خاتم المرسلين».

ومن أمثلة أدعية توفيق دياب التي تميزت بالنزعة الصوفية والطاقة الوجدانية والذخيرة الروحية.

كتب من دعاء:

رب هب لي ألا أبرح هذا الكوب حتى أدرك ربانيتي فيه. فلقد علمتنا ان رقي الإنسانية أنما هو حكايتها لصفاتك العليا — جل جلالك — من علم ورحمة وعدل..

ومن دعاء آخر:

نحن أشعة منك، فأهدنا إلى نورك نور السموات والأرض..
أنت وجودي، أنت معبودي، أنت المحبة والرحمة، أنت الهداية والنور..

وكتب من دعاء آخر:

نحن أشعة من ذاتك يا رب..
فأغفر لنا ذنوبنا، وطهر قلوبنا، وأدخلنا في رحمتك، وزدنا هدى ونوراً، يا نور السموات والأرض..
وكتب من دعاء آخر:

دعائي الوحيد، نورك وهداك..

على صراط المستقيم، أيها الحبيب الرحمن الرحيم..

الثلاثاء ١٠ من يوليو سنة ١٩٥٦.

نعم الضارع إلى ربه بهذا الدعاء المستجاب

محمد توفيق

وكتب من دعاء آخر.

أغفر لنا، وأرض عنا، وتولنا برعايتك وحمايتك.. أشرح لنا صدورنا بأنسك.. وأسعد لنا أيامنا بقربك، وعاف لنا أجسامنا وألبابنا بترقيتنا إلى العالم الأعلى.. وهيئنا لعبادتك، بخدمة أخواننا من عبادك.. أيقظ أرواحنا، وأنر بصائرنا، وأهدنا سبيل الخلود..

وكتب على أحد مصاحفه:

زيارة ودعاء وعهد وثيق..

سيدتى البارة الطاهرة نفيسه حفيده الرسول.. أستغفر الله إليك من سوء مسلكى نحوك شرفك الله، وأسأل الله مرة أخرى بحق منزلتك عنده، ومقامك المحمود لديه، ان يتوب على توبة نصوحا من عادة التدخين..

فلا تستهوينى شهوته، وذلك تنفيذنا لعهدى وأستمساکا بعزيمتى الروحية المنبعثة من أرادة الله.. فقد جئت لزيارة مقامك يا حفيده الرسول، أرجو منك الوسيلة إلى سيد الأكوان القدير المتعال، ان يمدنا بعونه على تذليل العقبات التى تعترض حياتنا الروحية والمادية فى دنيانا وأخرانا.. انه السميع المجيب القريب الحبيب له الجلالة.. وعلى رسولنا الصلاة والسلام، وعليك رضوانه أيتها الطاهرة يا حفيده الرسول..

٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣.

وكتب ناقلا على جزء من صحيح البخارى:

اللهم الهمنى الأخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الثنى والفقر، «وأن أصل من قطعنى وأعطى

من حرمنى ، وأعفو عمن ظلمنى ، وأن يكون نطقى ذكرا وصمتى
فكرا ، ونظرى عبدا ..

٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٤

ولقد تأكد التصوف فى نفسه كقمة الإيمان .. إيمان المتصوفة الذين
يعرفون الله حق المعرفة عن طريق الخدس والإلهام .

وقد كان توفيق دياب يحس فى أيامه الأخيرة بنهاية الرحلة فى
عالمنا .. وكان يهمس بذلك إلى أقربائه وأصدقائه .. كان يضع كتب
المتصوف الكبير الإمام الغزالى فى مكتبة صغيرة بحجرة نومه .. وكان
يقرأ القرآن فى ساعة متأخرة من الليل .. كان يردد الأدعية إلى
الله .. كان يخلو إلى نفسه فى الهزيع الأخير من الليل يدعو للإنسانية
جمعاء فان إيمان المتصوفة يجعل الطريق مفتوح أمامهم ليروا بأنوار قلوبهم
الحقيقة .

«لقد انشأ توفيق دياب مدرسة في الخطابة استمرت حتى الآن
وكان الرئيس جمال عبدالناصر يقلده في خطبة» .

عبد الرحمن الشقاوى

الباب التاسع

توفيق دياب في عيون معاصرة

«إن أصدق اللوحات التى ترسم لعظيم هى التى يرسمها فنان كان قريبا من حياته».. مثل إيطالى صادق يعبر حقيقة على ان الكاتب أو الفنان حينما يرسم صورة لرائد من رواد الفكر أو سياسى كبير أو عالم نابغ فإنه إذا كان قريبا من هذه الشخصية فإن حكمه يكون أصدق أو ريشته تكون أبدع.

ما أكثر المقربين من الكاتب الكبير محمد توفيق دياب لانه ضرب بسهم وأفر فى جميع الاتجاهات السياسية والاجتماعية والصحفية والأدبية.. لهذا كانت الصورة المقربة له والتى رسمها كبار الكتاب والساسة والصحفين دقيقة رسمت أدق ملامحه وصورت أدق خلجاته وأوضحت أروع معاركه.

فالكاتب الكبير مصطفى أمين الذى عمل فى مستقبل حياته الصحفية مع رئيس التحرير توفيق دياب يرسم صورة قلمية لتوفيق دياب فيقول :

«كان توفيق دياب شخصية عربية.. كاتب من الطراز الأول وخطيب من الطراز الأول.. ودرس فن الألقاء فى جامعة لندن وأرسل وهو طالب فى إنجلترا مقالا إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس تحرير

جريدة (الجريدة) وإذا بلطفى السيد ينشر مقال الطالب توفيق دياب عندما وصلت إليه نسخة الجريدة فى لندن ووجد نفسه فى الصفحة الأولى ومنذ ذلك اليوم قرر ان يكون صحفيا..

وعندما أصدر حزب الأحرار الدستوريين جريدة «السياسة» انضم توفيق دياب إلى محرريها وأصبح يكتب مقالات من نار ضد سعد زغلول. وعين مدرسا فى الجامعة إلى جانب عمله الصحفى ورشح نفسه فى أول انتخابات لمجلس النواب سنة ١٩٢٤ ضد يحيى إبراهيم باشا رئيس الوزراء.. وسقط توفيق دياب مرشح الأحرار الدستوريين وسقط معه رئيس الوزراء.. ونجح مرشح سعد زغلول..

وفى سنة ١٩٢٨ ألف محمد محمود باشا زعيم الأحرار الدستوريين الوزارة وحل مجلس النواب وأوقفت الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

وقرأ توفيق دياب الخبر فى الصحف. وثار على رئيس الوزراء الذى أوقف الحياة النيابية وثار على حزب الأحرار الدستوريين الذى وافق على الاعتداء على الدستور. وكتب مقالا من نار فى جريدة الأهرام بعنوان «من الأعماق» أعلن فيه أستقالته من الجامعة ومن جريدة السياسة احتجاجا على الاعتداء على دستور البلاد.. واشترك مع الدكتور محمود عزمى فى تحرير جريدة وادى النيل التى تصدر فى مدينة الإسكندرية. وهاجم فيها الديكتاتورية والطفان وبعد بضعة أيام أصبحت هذه الجريدة من أوسع الصحف انتشارا فى مصر.. وضاق رئيس الوزراء بهذه الجريدة وأستدعى صاحبها وأقنعه بأن يستغنى عن توفيق دياب ودكتور محمود عزمى وإلا سيعطل الجريدة نهائيا!!

وفوجيء توفيق دياب فى اليوم التالى بخطاب من صاحب الجريدة يستغنى فيها عن خدماته.. وقد كان توفيق دياب هو كل شىء فى الجريدة فى تلك الأيام!

وأصدر توفيق دياب بعد ذلك عدة جرائد وفى كل مرة يعطل رئيس الوزراء الجريدة نهائيا أو يصادرها وهى فى المطبعة.

وفى ١٣ نوفمبر ١٩٢٨ أقيم الأحتفال بعيد الجهاد الوطنى وهو اليوم الذى ذهب فيه سعد زغلول إلى دار الحماية البريطانية وطلب بأسم الشعب ان يخرج الإنجليز من مصر..

ووقف توفيق دياب على المنبر. وبدأ هادئا ثم أنطلق كالأعصار ينتفض على الوزارة ويدعو الشعب إلى الثورة وإذا بالجماهير تلتهب حماسا وتخرج الألوف فى مظاهرة صاخبة تهتف بسقوط الديكتاتورية..

وأمر النائب العام بالقبض على توفيق دياب بتهمة التحريض على الثورة وتاليب الجماهير.. وعرض توفيق دياب على القاضى فأمر بالأفراج عنه مع دفع كفالة..

وفى ذلك اليوم أصبح توفيق دياب أحد زعماء الوفد، وكلما رآته الجماهير حملته على الاعناق هاتفة بحياته.. واستمر يصدر الصحف وتطلقها الحكومة إلى ان سقطت الديكتاتورية. والف عدلى يكن باشا وزارة محايدة أعادت الدستور وأوقفت تعطيل الصحف والمجلات.

وأصدر جريدة «اليوم» وكانت جريدة صباحية وفدية وتولت وزارة إسماعيل صدقى باشا الحكم وقرر ان يحكم بيد من حديد، وعارضه توفيق دياب بمقالات نارية عنيفة وأمر صدقى باشا بمصادرة جريدة اليوم ثم أمر بأغلاقها نهائيا.

ثم يضيق مصطفى أمين لقائه الأول بتوفيق دياب حين أراد ان يعمل فى صحيفته .

وفى تلك الأيام ذهبت إلى توفيق دياب أعرض عليه ان أعمل فى جرائده ورحب بى وأستأجر جريدة صغيرة أسمها «العلم المصرى» وأشتركت معه فى تحريرها . وما كادت الجماهير ترى أسم توفيق دياب على الجريدة المجهولة حتى أقبلت عليها تتخاطفها وفى يوم وليلة أصبحت جريدة العلم المصرى أوسع الجرائد انتشارا فى مصر.. وبعد يومين أصدر صدقى باشا قرارا بتعطيل جريدة «العلم المصرى» تعطىلا نهائيا.. ولم ييأس توفيق دياب وطلب منى ان أعود فى اليوم التالى لتصدر جريدة جديدة يتحدى بها الدكتاتور. وبعد ثلاثة أيام وجد توفيق دياب جريدة أسمها «الأخلاص» مهاجما للدكتاتورية من جديد! وأمر صدقى بمصادرة جريدة الأخلاص.. بعد صدورهما بيومين!! وكانت هذه المصادرات وأوامر التعطيل تكلف توفيق دياب مبالغ طائلة ولكنه رفض ان يتراجع وأصدر جريدة جديدة بأسم جريدة «الثبات» وصدر منها عدد واحد وعطلها صدقى باشا فى اليوم التالى.. ولم يتراجع توفيق دياب أمام التهديد والوعيد وأصدر جريدة جديدة بأسم «النهارده» ولم يهلهها صدقى باشا سوى يوم واحد.. وعطلها فى يوم الصدور.. عشت بجانبه فى مأثم الصحافة وأنا أرى جرائده تتساقط واحدة بعد واحدة وهو يصير على مقاومة الاستبداد .

وأنهالت الديون والحجوزات على توفيق دياب ، واحاط به أصدقاؤه ينصحونه ان يحنى رأسه للعاصفة . ولكنه أصر ان يتصدى للطغيان حتى لو مات من الجوع.. وفى ديسمبر سنو ١٩٣٠ أصدر جريدة «الضياء» وأستمرت فى الصدور إلى ان تهاوت الديكتاتورية فأصدر جريدة

الجهاد، وأصبحت من أوسع الصحف اليومية انتشارا وأنهالت الأرباح على توفيق دياب وأشتري أحدث مطبعة من ألمانيا وانتقل من دار الجريدة المتواضع في شارع ضريح سعد إلى قصر كبير في شارع فؤاد الذي أصبح الآن شارع ٢٦ يوليو.. ولكن هذه الثورة المفاجئة لم تجعله يبدأ أو يهادن أو يخفف في هجموه على خصوم الحياة النيابية.. وقدمت النيابة في عدة قضايا صحفية لا يكاد يخرج من قضية حتى يدخل في قضية أخرى. وأحالة الحكومة إلى محكمة الجنايات بتهمة أهانة الوزارة. فحكمت محكمة الجنايات ببراءته. وإذا بالحكومة تقدم نقضا في الحكم وعرض الحكم على محكمة النقض برئاسة عبدالعزيز فهمي باشا فأمر بنقض الحكم وسجن توفيق دياب ثلاثة شهور.. ولما كان توفيق دياب محكوما عليه قبل ذلك بالسجن ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ بتهمة أهانة النواب فقد ضم عبدالعزيز فهمي باشا الحكيم معا. فأصبح محكوما على توفيق دياب بتسعة أشهر مع النفاذ!

وكان الحكم مع الشغل.. ووضع توفيق دياب في سجن «قره ميدان» بالقلمة. ونزعوا ملابسه وألبسوه بدلة السجن الزرقاء. ونام على الأسفلت بالرغم من مرضه وتقدمه في السن ومنع من قراءة الصحف ووضعوه في ورشة التريزة.. وهناك بدأ يتعلم الخياطة وأستطاع في تلك المدة ان يصنع طاقية وكان فخورا بها حتى انه أخذها معه عند الإفراج عنه..

ثم يروى الأستاذ مصطفى أمين الوجه الآخر لتوفيق دياب والذي لا يعرفه أحدا.. في منزله.. بين أسرته.. زوجته وأولاده فيقول:

وأثناء سجن توفيق دياب حصل والداه الطفلان كامل وصلاح على الشهادة الابتدائية وأراد محررو الجهاد ان يسعدوا الأب فى سجنه ولديه رغم الظروف العسيرة التى تمر بها الأسرة وأصرروا ان يكون مانشيت الجريدة «نجاح نجلى صاحب الجهاد فى الشهادة الابتدائية» ! وكانت هذه أول مرة فى التاريخ ينشر نبأ نجاح تلميذ فى الشهادة الابتدائية مانشيت يعرض الصفحة الأولى .

وأذكر فى أثناء سجن توفيق دياب ان دعت أم المصريين صفية زغلول السيدة قرينة توفيق دياب لتتغدى معها فى بيت الأمة !

وجلسنا نتناول الغداء وكانت زوجة توفيق دياب تذكر زوجها كلما ذقت طعاما شهيا .. وتتساءل ترى ماذا أكل توفيق دياب فى السجن فى ذلك اليوم ؟ ! وكان السجن يقدم لتوفيق دياب فى ذلك الوقت عدما فى الغداء وطعمية فى العشاء ، فول مدمس فى الإفطار .

وجاء السفرجى يحمل طبق الحلوى وأسمه «عيش السراية» ويسمونه باللغة التركية «كميل قطايف» وهو عبارة عن قطائف محلاة بالقشدة وأكلت زوجة توفيق دياب بشهية من طبق عيش السراية . ولاحظت صفية زغلول ذلك فقالت لزوجته توفيق دياب هل تحبين عيش السراية ؟ قالت زوجة توفيق دياب جدا جدا .. فقالت صفية زغلول مازحة : تحبين عيش السراية قد ايه ؟ فقالت زوجة توفيق دياب ببساطة .. قد ما يحب توفيق بك !

وكان بين توفيق دياب وزوجته احترام متبادل دام أكثر من أربعين عاما وكان يناديا دائما «ياحيدة هانم» وكانت هى تناديه «يا توفيق بك» .

ولزواج توفيق دياب من زوجته قصة غريبة فقد كان طالبا فى جامعة لندن، وفى أثناء إحدى المحاضرات رأى طالبا يتكلم الإنجليزية بطلاقة.. وعرف انه مصرى فتقدم إليه وتعرف به وعرف اسمه كامل حسين. وبدأت بين الطالبين صداقة وطيدة، وذات يوم عرف توفيق دياب من صديقه ان له أختا لم تتزوج بعد.. وطلب توفيق دياب ان يتزوجها دون ان يراها لقد أحب صديقه كامل حسين وأعجب به وباخلاقه فقرر ان يتزوج أخته! وقال كامل حسين انه لايد ان يسأل أخته أولا.. وقال لها: لى صديق اسمه توفيق دياب وهو رجل غير عادى اذا أراد الخروج من الغرفة وقرر ان يختصر الطريق إلى الشارع رفض ان ينزل من البسلم، وقرر ان ينزل من الشباك..

فإذا قلت ذلك يمكنك أن تتزوجه.

قالت الأخت: أقبل.

وهكذا م الزواج.

وعلى الرغم انه تعلم فى إنجلترا وطاف أوروبا وتاشر المجتمعات الغربية إلا انه عاد إلى مصر وهو فلاح من الشرقية. وبقي فلاحا فى أسرته طوال حياته، وأنعكست أفكاره المحافظة فى معاملته لبناته.

فقد جاء هن بمدرسة تعلمهن الموسيقى ومدرسة لتعلمهن الرقص وأنشأ فى بيته بمصر الجديدة ملعب تنس! ولكنه لم يسمح لبناته بطلاء الأظافر ورفض ان تقابله أبنته بفستان قصير. وكان إذا دخل بيته ورأى بناته ساكنات قال هن ماكن كالتماثيل. فإذا ضحكت البنات قال لها ان البنات المؤدبة لاتضحك وإنما تبسّم فقط.. وان الضحك من غير سبب قلة أدب!

ولم يوافق طوال حياته على الاختلاط وكان يشجع تعليم المرأة. وعندما حصلت بناته على شهادة الثانوية العامة رفض ان يدخلهن الجامعة حتى لا يختلطان مع الصبيان. وقد بذل جهدا كبيرا حتى تم إنشاء كلية البنات بالاتفاق مع الدكتور منصور فهمى الذى كان ضد اختلاط الجنسين!

وحدث أن أرادت زوجة توفيق دياب ان تباع أرضها لشركة أجنبية وجاء مندوب الشركة الأجنبية لتوقيع العقد. ولم تقابله زوجة توفيق دياب. بل جلست فى غرفة أخرى وعند لحظة التوقيع دخلت الغرفة ووقعت بامضائها وخرجت على الفور. وقال لها توفيق دياب بعد ان أنصرف المندوب الأجنبى ان هذا رجل أجنبى وكان يجب ان تجلسى معه فى وجودى. وفى المرة الثانية جاء المندوب الأجنبى لتوقيع العقد النهائى. ودخلت زوجة توفيق دياب إلى الحجرة وصافحت الأجنبى ثم وقعت بامضائها وجلست وأشعلت سيجارة. وبقي توفيق باشا صامتا فلم ينطق بكلمة واحدة. وكانت زوجته تشعر انه يغلى لأنها سمعت كلامه وأطاعته.

ثم يصف مصطفى أمين توفيق دياب صحفيا وبولانيا فيقول :

وفى سنة ١٩٣٦ تولى النحاس باث الحكم بعد ان حرم حزب الوفد من الحكم أكثر من ست سنوات. وأعتقد أصدقاء توفيق دياب ان متاعبه قد أنتهت لامصادرات ولا تعطيل صحف ولا سجون ولا فقر ولا أفلاس ولا خلاف مع الحكومة فهذه هى حكومة حارب من أجلها وكافح سنوات طويلة مطالبا بعودة الدستور.

وقدرت الحكومة موقفه وأنتخب عضوا فى مجلس النواب، ثم

عرضت عليه الحكومة ان يستقيل من البرلمان وينعم عليه مجلس الوصاية برتبة الباشوية لان الدستور يمنع الأنعام على النواب برتب ونياشين.. وبعد ذلك بفترة يعود إلى البرلمان.

ورفض توفيق دياب ان يستقيل من البرلمان ليصبح توفيق باشا دياب وأصر ان يبقى افنديا كما هو وبفضل توزيع الجهاد الضخم أصبح توفيق دياب أغنى صحفي وحدث ان حكمت المحكمة بتعيين النحاس باشا رئيس الوزراء ناظرا لوقف البدرأوى باشا.

وغضب توفيق دياب ان يقبل رئيس الوزراء نظارة وقف إلى جانب منصبه الكبير وكتب مقالا بعنوان «ان للسمعة الغالية ان تصان» وقال ان حبه للنحاس يجعله يغار عليه من شبهة الخطأ وانه يجب ان يرفض زعيم الأمة نظارة الوفد. وكانت هذه أول مرة يجرؤ صحفي وفدى على مهاجمة زعيم الأمة. وهوجم توفيق دياب بعنف وقررت لجان الوفد مقاطعة جريدة الجهاد.. ولكنه بقي متمسكا برأيه! وأعلنت الحكومة عليه الحرب وأعلن الحزب عليه الحرب وأنهار توزيع جريدة الجهاد.

وتكاثرت عليه الديون..

وحاربتة الحكومة بمنع الأعلانات عن جريدته.

وصدرت جريدة «المصرى» تنافسه واضطر توفيق دياب ان يجعل الجهاد جريدة مسائية بدلا من صدورها فى الصباح.

ومع ذلك أستمرت الجهاد تتلقى الضربات. واضطر توفيق دياب ان يترك بيته وان يترك إدارة جريدته. وان يبيع سيارته وان يبيع

مطابعه التي كانت أحدث مطابع في مصر.. وهكذا أفلس أغني
صحفى في مصر.

وفقد كل شيء إلا قطعة أرض بور..
ولم يفقد شجاعته وإيمانه وجراته .

هذه قصة كاتب من أعظم كتاب مصر..

وتسلم ابنه الوحيد قطعة الأرض البور وأقام فيها وقطع كل صلة له
بالدنيا لا أجازة ولا عطلة ولا شباب ولا راحة، بل عمل متواصل بالنهار
والليل وأستطاع الشاب خريج كلية الزراعة ان يحول الأرض الجرداء
إلى حدائق غناء بعد ان كانت ترابا مقفرا أصبحت تنتج الذهب .
أصبح يصدر في أوروبا التفاح والخوخ والفراولة .. وإذا بالفاكهة
المصرية تغزو أوروبا لأول مرة وترها في محلات هارودوز في إنجلترا في
الواجهة الزجاجية ملفوفة بالورق السلوفان والورق المفضض والمذهب
كأنه مجوهرات !

وأستطاعت الأرض الجرداء ان تعوض على ابن توفيق دياب وبناته
وأحفاده الثروة الكبيرة التي فقدوها الأب في الصحافة دفاعا عن
رأيه ..

وأصبح الأبن والبنات الثلاث شركاء في الأرض الزراعية .. ولم
يحدث مرة واحدة ان سألت أخت أختها عن حسابها . وأنشأ الأبن
مشروعات أخرى كبيرة وأدخل أخواته شركاء بغير ان تطلب واحدة
منهن ان تشترك في أى مشروع .

وكانت هذه الرابطة الأسرية القوية هي الكنز الذي تركه توفيق
دياب لأولاده ..

وكان في الكنز ذهب ..

أما عباس حافظ رئيس تحرير جريدة الوادى فيصف توفيق دياب كما عرفه وموقف الصحافة فى محنته فيقول :

«بدأ زميلنا دياب حياته العملية خطيباً من طراز جديد فإذا هو من هذه الناحية البارزة فيه يطوى جوانحه على قوة كامنة ومواهب مدخنة مستكنة .. قوة الخطيب المطبوع المفصل المجهر فى مصنع الطبيعة لا يحتاج إلى شىء سوى الظروف والمناسبات المطاوعة ليبرز تلك القوة من مكمنها ويخرج تلك المواهب النادرة من مستودعها فى أعماقه فإذا هو غازى الفكر بجنود خواطره وكاشف الأمطار السحيقة والأفاق النائمة .

زميلنا توفيق دياب خطيباً بليغاً يصور للسامعين ماحدث أو ماينبغى ان يحدث بتلك الدقة التى يحسبون من شدة تأثيرها أنهم كانوا للحادث شهوده .

عرفته يومئذ يجمع للخطابة الجليلة السلطان كل موجباتها ويضيف إلى موجباتها براعة أبرازها وحسن تأديتها .. صفاء الذهن وحدة الخاطر ورقة المشاعر وقوة الذاكرة وحضور الحافظة وبلاغة التعبير وجلال البيان ودمغة المنطق .. وأخيراً موهبة التصور والخيال وحرارة الدم وحاسة الوجدان» .

ثم يضيف عباس حافظ الصفة الغالية لتوفيق دياب وهى من وجهة نظره «الارادة القوية» فيقول :

«الارادة القوية التى تتوافر فى «الشخصية» البارزة وهى أوج الخلق وأقصى حدود الرجولة والطابع الذى تحتّم به الطبيعة على خلائق

النوابغ النادرين» .

«عرفت الأستاذ دياب من ذلك الحين فى خاصة نفسه وخصاله وزعامته صامتا لا يكذب، كريما لا يضمن، بدويا، حاضرا الساحة، عربيا أخوا نديا، صاحب نزاهة مستقيا لا يبغي عوجا، مفراحا على الحالات جميعها، مشرق الديباجة مبتهجا، زين المجالس إذا تحدث ملييا داعى المروة والواجب إذا أشدد، ذاهبا أبدا فى مقدمة النوابغ البارزين» .

أما عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيؤكد على ان «التحدى» هو أبرز صفات توفيق دياب فى كلمة الاستقبال التى ألقاها بمناسبة أستقباله عضوا بمجمع الخالدين يقول :

«وقد أختارك زملاؤك لتكون عضوا معهم فى هذا التجمع وثق بأنهم لم يختاروك عن عبث ولا عن مجرد الحب لك والرغبة فى زمالك وأما أختاروك لأنهم يقدرونك» . حقا لست من العلماء الذين يلاعون الدنيا بكتبهم ويحصون مجلداتهم لعشرات فلا أكاد أعرف لك إلا شيئا قليلا من المجلدات وأحسب كتابا واحدا ولكنك ملاعت الدنيا ثقافة فى حياتك هذه المغامرة الحفية ملاعتها ثقافة بمحاضراتك أيام الشباب وملاعتها ثقافة بخصوصيتك السياسية التى أنصت لأعواما وملاعتها ثقافة بلمحاتك التى كنت تلمس بها الحياة الاجتماعية وتحس بها حياة الناس اليومية .

. وأؤكد لك ان هذا التحدى من تثقيف الشباب فى غير نظام وحتى أحبت النظام ربما كان أخصب وأجدى وأبقى فى القلوب من الدروس التى تلقى على الشباب فى داخل المدارس الجامعات .

«أختارك زملاؤك لتشارك في أحياء اللغة والمحافظة عليها وأختارك بنوع خاص لتكون قدوة واسوة للشباب في العمل ما أستطاع الإنسان ان يعمل» .

ثم يصف زكى المهندس زميله وصديقه فى المجمع توفيق دياب من خلال الكلمة التى ألقاها بمناسبة تأيينه : —

« كان قلمه فى الكتابة كلسانه فى الخطابة ، أسلوب عربى مبین وعبارات سليمة ، مقتبسات تدل على ذوق أدبى رفيع ، وتدل كذلك على أحاطة تامة بالأدب العربى قديمه وحديثه .. وكان أكثر ما يعجبني فى الفقيد حسن اختياره لعناوين مقالاته .. كان العنوان موجزا أنيقا معبرا .. أذكر ان وزير الداخلية أصدر يوما أمرا بمنع النحاس باشا من غشيان المساجد يوم الجمعة حفاظا للأمن العام ، فظهرت الجهاد فى اليوم التالى وفى صدرها عنوان بالخط الأحمر يقتبس فيه قول الله تعالى فى سورة العلق :

«أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى» .. وبعد شرطتين كبيرتين أقتبس قوله تعالى : « كلا لا تطعمه وأسجد وأقرب» .

ولقد كان توفيق دياب هو أول صحفى ان لم يكن الصحفى الوحيد الذى أختير بالأجاء عضوا فى مجمع الخالدين .. مجمع اللغة العربية ولقد كان عضوا مجعيا بارزا نشيطا ولقد أشاد به المجمع الكبير الراحل زكى المهندس بقوله :

لقد قضى توفيق دياب بيننا أكثر من أربعة عشر عاما كان فيها مثالا للأخلاص والوفاء لأصدقائه وزملائه ، فما أذكر أنى رأيته يوما

غاضبا على أحد، أو ساخطا على أحد ولكنه كان محبا للجميع محبوبا من الجميع .. وكان — طيب الله ثراه — طيب القلب نقى السريرة، كل ما فى قلبه على لسانه، لا يعرف المداورة ولا النفاق، وكان شديد التواضع إلى أبعد حد.. سألته يوما وهو جالس بجانبى فى مجلس الجمع ومعركة الجدل على أشد ما تكون حول مسألة علمية: «لم لا تشارك يا توفيق فى النقاش» ؟ فأجابنى بقوله «أننى أجيء لا لتعلم لا لأناقش» .

أما الشاعر الكبير عزيز أباطة فيصف توفيق دياب رجل الثقافة والعلم والفكر فيقول:

« كان هو رجل ثقافة وعلم وفكر من أدقهم نظرا وأعمهم غوصا وأوقعمهم على الغرر.. عرض لمجاميع من أمهات كتبها العربية والإنجليزية ثم مترجمات اللغات الأخرى، فقتلها أختيارا وأختيارا وأستظهارا وكان وهو رجل أدب علما من أعلام الأدب، عب ترائه وذخائره، وأسنى الله حظه من روائعه.. كتب وصنف فكان شريف الأسلوب، جزل السياقة، عامر المضامين، عالما أبلغ العلم بموالبه فنه وغارجه مهديا فيها جميعا إلى المحاج الواضحة الوثيقة .. وهو قبل ذلك كله معنى بجمال الجرس كأنما يخطب وهو يكتب، ومعنى كذلك بان يوائم بين الكلمة تقع بين الكلمتين والفقرة تناسب بين الفقرتين، حتى تجمع بين أطراف الأسلوب كله وشائج قارة مطمئنة تحكم أسرته، وتضفى الأستواء بين مقاطيعه» ..

ثم يرسم السياسى الكبير مكرم عبيد لوحة متكاملة لتوفيق دياب من خلال الصفة الغالبة فيه وهى من: —

«لكن إنسان صفة روحية غالبية تميز نفسه كما ان له من ملامح وجهه أو تكوين جسمه صفة جثمانية خاصة تميز يخصه، والصفة الغالبة فى توفيق دياب هى الحماسة .

الحماسة ذلك الشعاع الألهى الذى يلقيه الله فى نفوس بعض الممتازين من بنى الإنسان هى فى الواقع الأصل فى كل نجاح فى كل أبتكار فى إيمان فى كل تضحية فى كل نعمة .

والعظيم من عرف ان يتعهد تلك البذرة الالهية بشيء من غرسه حتى يظل النور دائم الاشتعال فى شعوره وفى جميع نواحي نفسه والشعور كالنور لا يكتمل إذا لم يشتعل ؟

قلت ان الحماسة هى الأصلية فى توفيق دياب والواقع ان كل مناحى تفكيره وأثاره جهده فى الحياة أنما هى من ثمار الحماسة التى أنطوت عليها نفسه وإلى القراء بعض مظاهر تلك الحماسة فى نواحي حياته من ناحية العاطفة نراه أخلص الناس مودة وأسمحهم عداوة .

ومن ناحية التفكير فحماسه الفكرية تتجلى فى قوة التفكير وأيضاً فى اتساع وتشعب مناصبه .

ولانه يجمع بين حماسة الشعور وحماسة التفكير فأسرع ما يفقد بما يهديه إلى فكر وما أسرعه إيماناً بما يعتقد ونضالاً عما يؤمن وجهاداً فيما يناضل وتضحية فى سبيل ما يقاتل ؟

ومن الناحية الفنية فهو كالسلي المنهر كاتباً كان أو خطيباً لا يقيد لفظ ولا يحده تعبير بل نراه يكاد بلهب الألفاظ من حماسه فيخيل إليك ان لالفاظه فصاحة ذاتية غير ما أستمدت من فصاحته تلك الحماسة حماسة الاعتقاد والإيمان .

ومن الناحية العملية فقد كان للحماسة توفيق دياب أثرها الحاسم في عمله الصحفى لأنه أقدم — وهو فقير لا يملك غير يقينه وأقدامه — على إصدار جريدة من أكبر وأشهر الجرائد فى مصر بل وفى الشرق العربى بأسره وقد أفلح فيما سعى وبارك فيما جنى ..

بقيت الناحية السياسية فقد كان للحماسة هنا أيضا أثرها الفاضل فى نجاحه ولكن أكاد أرى بعض المتدخلين من رجال السياسة أو أدعيائها يبتسمون تهكما من الجمع بين السياسة والحماسة فالحماسة لديهم إنما هى ضرب من ضروب الانتشار النفسانى الذى يتنافى مع كل أنزان سياسى وفكرى ولذلك تسمعونهم يقولون ان السياسة كل السياسة فى انتقاء الحماسة .. ولكنهم خاطئون فالسياسة الحقه — وبخاصة السياسة الوطنية — لا قيام لها ولاغو إلا بتوليد الحماسة وتنميتها والحماسة محك النصر فى السياسة كما فى الحرب فمن غلبت حماسه غلبت سياسته .

أما شيخ الصحفيين حافظ محمود فيرسم صورة تقريبية للكاتب الكبير توفيق دياب فيقول :

كانت أخر مرة رأيت فيها الصحفى الكبير توفيق دياب مساء يوم الخميس ٣١ مارس سنة ١٩٦٦ حينما كنا نحتفل فى دار نقابة الصحفيين بعيدها الفضى من خلال المهرجان الكبير الذى أقيمه على مدى أسبوع بمناسبة مرور قرن من الزمان على ظهور الصحافة الأهلية فى مصر .. وكان أستاذنا توفيق دياب مدعوا — ليس فقط لحضور هذا الحفل — بل ولكن أقدم له ميدالية التقابة الذهبية بوصفه انذاك شيخ الصحفيين .. وحينما نودى اسمه ليتسلم هذه الميدالية لاحظت أنه يحاول

مغادرة مقعده بصعوبة فهرعت إليه وقدمت له هذا الرمز التذكاري الذى تقبله مسروراً.. كنت أنا الذى لم أكن مسروراً!.. ذلك أننى أخذت أقارن فى مخيلتى بين هذا الشيخ العظيم الذى جلس صامت وبين توفيق دياب الذى كاد يصعد درجات المنابر وثباً يخطب أو يحاضر بصوته الجمهورى دون مكبرات للصوت فيسمع المئات أو الألوف وليس يسمعونهم فقط بل كان يبههم بركاته الألقائية التى صارت بين العشرينات والثلاثينات مظهراً من مظاهر الأسلوب الخطابى عند جميع شباب الخطابة.

ومع أننى شهدت طرفاً من صحافة توفيق دياب فأننى لم أستطع ان أتصوره إلا خطيباً لما كان يلاً به ساحات الخطابة من فنون الألقاء.

أذكر انه كان سيحاضر فى سلسلة محاضرات عن إصلاح المسار التعليمى فى مؤتمر يحضره الوزراء والعلماء والأدباء والصحفيون وحضر الجميع ولأول مرة تأخر وصول المحاضر «توفيق دياب» دقيقتين فإذا بى المحة قادما من الخارج وقد بدأ حديثه وهو يرتضى درجات المنصة بشكل رائع لفت كل الأنظار حتى أننى مازلت أحفظ العبارة التى بدأ بها هذه المحاضرة وهى يقول جون ستيورات مل «ثم أندفع يشرح نظرية هذا الفقيه التربوى فى التربية».

ويصف الكاتب الكبير والمناضل السياسى عبدالمغنى سعيد صفة نادرة فى شخصية توفيق دياب رئيس التحرير وهى حماية محررى الجريدة وعدم الكشف عن المصدر— وهى صفة قلما توجد الآن فى رؤساء تحرير الصحف والمجلات— إذ تعرض توفيق دياب للحبس تحت التحقيق بسبب مقالة كتبها الأستاذ عبدالمغنى سعيد ووقعها بالأحرف

الأولى واعتبرتها النيابة العامة طعناً فى الذات الملكية فلم يكشف توفيق دياب عن اسم عبدالمغنى سعيد وتعرض بشخصه للحبس تحت التحقيق .

ويقول الأستاذ عبد المغنى سعيد :

« اتخذت الموقف السليم وهو الوقوف إلى جانب الوفد فى المعركة ضد القصر والرجعية . ولم أكن سلبياً أو عاطفياً فى هذا الموقف بل بادرت إلى العمل والتنفيذ ، وأسهمت بقلمى فى كشف حقيقة الانقلاب الرجعى بسلسلة مقالات نشرت بامضاء «ع.س» فى جريدة «الجهاد» لصاحبها المرحوم الأستاذ توفيق دياب . وأذكر من هذه المقالات بوجه خاص «الرجل الذى وراء الستار» وكان المقصود به هو على ماهر بالطبع . وقد وصفته بالرجل المقنع دون ذكر اسمه قط . وكان ذلك المقال أقرب إلى التحليل النفسى السياسى ، وقد جاء فيه : «حقاً أنها لذة دونها كل لذة أن يلهو فرد بمستقبل أمة ويتحكم فرد فى حياة الملايين من عباد الله ، وإذا كان الناس ييغضون شهوة الحكم لأنها قبيحة فهناك شهوة أقبح منها وأخطر ، ونعنى شهوة الوقوف وراء الستار . فقد يجد البعض لذة عظيمة فى أن يحبك المؤامرات والدسائس فى الظلام ، يحرك هذا ويحتفى وراء ذلك ، ويقلب السماء أرضاً والأرض سماء . وهو فى جحره المظلم المتواضع يشاهد روما وهى تحترق ويتسم ابتسامته الصفراء ! وقد يظن البعض أن هذه عبقرية ، وأن هذه بطولة ، وأن هذا دهاء . ولكن كم يخيب ظنه إذا علم أن الاختفاء وراء الستار غريزة من غرائر الطفل كغريزة حب الاستطلاع ، تخلق فيه قوة ثم نقل كلها مرت به الأعوام . فهذا

طفل يقذف أحد المارة بحجر ثم يختفى وراء الأبواب. وذلك آخر يضع
الحجارة بين قضبان الترام ثم يتوارى عن الأنظار. وإذا تم نمو الطفل
وأصبح رجلاً تخلص من هذه الغريزة اللهم إلا فى أحوال شاذة هى
أقرب ماتكون إلى المرض منها إلى النبوغ والدهاء! ولعل القراء
يذكرون قصة ذلك الرجل الذى كان ينسف القطارات ل يتمتع بمشاهدة
الفاجعة الأثيمة وليرى عن كذب مصرع الأبرياء!.

«وبالسوء حظ أمة يوجد فيها مثل هذا الشخص. وبالبؤس أمة
يتولى أحد مناصبها الخطيرة رجل من هذا الطراز. فكم عانت الشعوب
وكم عانى الحكام من وجود أمثاله فى مختلف المهود والبلاد، ولقد
جاء القدر على مصر التعسة برجل مقنع يأخذ مكانه دائماً وراء الستار.
وهذا الرجل اشترك فى جميع الانقلابات الرجعية، وإن كان قد ارتدى
فى نهاية كل منها ثوب القديس الطاهر البريء مما كان! وهذا الرجل
المقنع اشترك فى تحضير الخطب التى القاها المعارضون للمعاهدة فى
البرلمان، ولكنه لم يصارع الناس برأيه فيها وأسرع إلى الخروج من
مجلس الشيوخ قبل أخذ الأصوات، وهذا الرجل المقنع يقال أيضاً أنه
كان وراء سلسلة الأباطيل التى سموها فضيحة كهربية خزان
أسوان!... وهذا الرجل أيضاً هو الذى يحرك أخاه الصغير من وراء
الستار.. وهذا الرجل كان له نصيب الأسد فى إحداث هذا
الانقلاب، وهو الذى أثار الأزمة الدستورية، وهو الذى كتب يوماً
بدون امضاء يدعى أن مصطفى النحاس يريد أن يفتصب حقوق
العرش ويجمع فى يده كل السلطات. وأعوان هذا الرجل هم أيضاً
الذين يقولون بأن عودة النحاس إلى الحكم مستحيلة لأن فى هذه
العودة احراجاً لجلالة الملك، وينسون أو يتناسون أن النحاس أقيـل فى

عهد الملك فؤاد ، وعاد إلى الحكم أيضاً فى عهد الملك فؤاد !

«نعم هناك احراج أيها الرجل المقنع . وهذا الاحراج لشخصك أنت ، لأنك لم تكن فى منصبك الخطير أميناً وبعيداً عن الخزية ، ولأنك أشرت على مولاك بأن الأمة قد تخلت عن النحاس ..» وتساءلت فى ختام المقال «ماذا يكون الموقف إذا ما أجريت انتخابات واختار الشعب فيها مصطفى النحاس ؟ وهل يمكنه منعه من تأليف الوزارة كزعيم للأغلبية وطبقاً لأحكام الدستور؟!» .

تلك بعض فقرات من مقال «الرجل الذى وراء الستار» ، الذى نشر فى عدد ٢ فبراير ١٩٣٨ من جريدة الجهاد ... واعتبرته النيابة العمومية يومئذ طعناً فى الذات الملكية ، وحبس تحت التحقيق بسبب ذلك المقال الأستاذ توفيق دياب بوصفه رئيس التحرير . ولم أتعرض يومئذ للحبس لأنه رفض الكشف عن اسمى الكامل . وكنت أوقع يومئذ بامضاء (ع . س) . وكان هذا موقفاً نبيلاً من الأستاذ توفيق دياب ، الذى قدر ظروفى كطالب بكالوريوس التجارة والاقتصاد ، ولم يشأ أن يهدد مستقبلى وأنا على وشك التخرج ! ولعلها كانت مجازفة خطيرة أن استمر فى الكتابة على الرغم مما حدث .. وحتى إذا لم ينكشف أمرى ، ولم أتعرض لسوء فإن الكتابة السياسية لا بد أن تشغلنى عن الدراسة ، أو تؤثر فى ترتيب النجاح ! ولكنى فى حقيقة الأمر لم أكن لأعيا بالترتيب ، لأننى كنت أفكر جدياً فى احتراف الصحافة .. وقد عرض على أمر هذا الاحتراف وأنا طالب .. والكتابة هى هوايتى ، فلماذا اهتم بالترتيب شأن طلاب الوظائف والبعثات ؟ .

هكذا واصلت الكتابة مضحياً بالكثير من وقت الاستذكار. وكان المقال الثانى تحليلاً لشخصية فضيلة الأستاذ مصطفى المراغى شيخ الأزهر، الذى بارك الانقلاب الرجعى، وعرف بصلاته القوية بالسراى! وكان عنوان ذلك المقال «رجل الدنيا والدين». وقد أغضب المقال الشيخ المراغى ورجال الأزهر، لأنى اتهمت فضيلته بتجاوز حدود وظيفته الدينية، وتدخله فى السياسة، مبرزاً التناقض بين موقفه غير الديمقراطى إلى جانب الملك والرجعية وبين المبادئ الديمقراطية للإسلام. وقد جاء فى هذا المقال المنشور بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٣٨ «ويل للأزهريين من خبز الأزهر!» كلمة مأثورة خالدة قالها عميد الأدب فى مصر فأغضب أخواننا الأزهريين وأقامتهم وأقعدتهم، وأخذوا يلقنونها لكل أزهري جديد ينتسب إلى معهدهم العتيق، ويمسسون فى أذنه ليل نهار أن كل ذى عاهة جبار، حتى يقتنع أن هذا الرجل عدو الأزهر والأزهريين، وخارج على الله والدين! وعلم الله أن الرجل وقد تخرج فى هذا المعهد العظيم، أشفق على تلاميذه مما فيه فقال «ويل للأزهريين من خبز الأزهر، فإن فيه ضرراً من القش وصنوفاً من الحشرات!» وإذا كان الدكتور طه حسين قد أشفق على إخواننا الأزهريين من هذا الخبز، فنحن والله أعلم نشفق عليهم من خبز من نوع آخر، شديد التأثير على العقول لاعلى البطون لأنه يختلف عن ذلك الخبز الذى نأكله أنا وأنت وسائر عباد الله الصالحين! هذا الخبز يطهيه رجل يجيد الطهى، هو خطيب فصيح يجيد الغمز والتلميح، وسياسى مقنع يسخر العظات الدينية للأغراض السياسية، ويبشر بزوال عهد طالح ومجىء عهد صالح! وهذا الرجل وقد جمع بين الدين والدنيا، ونبغ فى السياسة العليا، تحدث عنه أحد كتاب المرأة فى

« السياسة الأسبوعية » فقال أنه سياسى كبير، وأنه لعب دوراً هاماً فى إحداث الانقلاب الأخير لايفل عن الدور الذى لعبه الرجل الذى وراء الستار! وإذا كان فى الوقوف وراء الستار ما يعيب رجل الدنيا، فإذا يكون حكم الله وماذا يكون حكم الدين، وماذا يكون حكم الناس، وما يكون حكم التاريخ على رجل الدين الذى يقف وراء الستار ويمزج الدين بالسياسة والسياسة بالدين؟! وأما عن حكم الدين فنحن نعتقد أن هذا الرجل حاد عن مبادئ الدين، لأنه قد تعدى حدود سلطته الدينية، ولا لأنه وقف وراء الستار كما وقف رجل الدنيا، ولكن لأسباب أخرى قوية تتعلق بجوهر الإسلام ومبادئ الإسلام.. فالإسلام دين الشورى والديموقراطية، وهذا الرجل والله أعلم تحالف مع معاول الاستبداد والرجعية! وبالإسلام مسحة من الاشتراكية، وهذا الرجل والله أعلم يتحالف مع معاول الرأسمالية الذين لا ينظرون بعين الإرتياح إلى إنصاف العامل والفلاح، ويعوقون فرض الضرائب المباشرة التى تحقق فكرة الزكاة، وتقرب الفجوة بين الأغنياء والفقراء. والإسلام دين المساواة والبساطة والزهد والتواضع، وهذا الرجل والله أعلم يركب السيارات، ويحظى بالأوقاف والمرتبات، ويتحالف مع أبناء البيوتات الذين ينظرون إلى العمال والفلاحين كمخلوقات دنيا! وأما عن حكم الناس، فرجل الدين والدنيا يتصفح الجرائد كما يتصفحها عباد الله الصالحون ولا بد أن نظره وقع على الأخبار التى تنشر كل يوم عن إتهام طالب أو تاجر بالهتاف بسقوطه فى الطريق العام! « أما عن الأزهرين فلم يحل المقال من التنديد ببعض مواقفهم التاريخية المريبة قائلاً: « ان لكم يامعشر الأزهرين صفحات مجيدة فى تاريخ الحركة القومية. فقد ثرتم يوم أحتل الفرنسيين

وادی النيل، وفتح في ثورة ١٩١٩ بدور هام وخطير. وبجانب هذه الصفحات الجميدة توجد صفحات سوداء ترجع دائماً إلى خبز الأثر المسموم! فقد سخرتم يوماً للنيل من محمد عبده، وسعد زغلول وقاسم أمين وذهبت جموعكم يوماً بعد هزيمة عرابي إلى الحديوي توفيق تهتف بحياة سيد البلاد، وسعود عرابي العاصي الزنديق! فإذا كانت نتيجة أعمالكم سوى أن أشدت سخط الناس عليكم، وأصبح محمد عبده وأحمد عرابي وسعد زغلول خالدين بالرغم منكم في سجل التاريخ! وقد أثار ذلك المقال طلبة الأثر بتحريض من شيخهم فتظاهروا منددين بالحرية وبكاتب المقال. وفي مقال آخر كنت أكثر جرأة فهاجمت أسلوب إقالة الوزراء قائلاً بصريح اللفظ: «ما هكذا يقال الوزراء، لقد عادوا بنا إلى الوراء!» ونشرت مقالاً بعنوان «الفرسان الثلاثة» كشفت به حقيقة دور ماهر والنقراشي وإبراهيم عبد الهادي من الانقلاب الرجعي وقبولهم الاشتراك في الوزارة الإثلافية. وقد عاتبني الأخ شوكت التوني عتاباً رقيقاً عن هذا المقال، ظناً منه أنه يعرض جميع السعديين.. ولم أكن لأخفي إتجاهي الإشتراكي الواضح في المقالات التالية. وبدا ذلك الإتجاه واضحاً على سبيل المثال في استهلال مقال «خصوم غير شرفاء» - الجهاد عدد ٢٧ فبراير ١٩٣٧ - حيث قلت صراحة: «تحدثنا بالأمس عن تأمر الرجعيين والارستقراطيين والرأسماليين على حكومة الشعب واليوم نعود إلى عرض الأساليب التي استخدمها هؤلاء الخصوم لتحقيق أغراضهم، ثم جاء مقال «سر الحملة على مشروع كهربية خزان أسوان» فكشف عن إتجاهي الإشتراكي أكثر فأكثر وكان هذا الموضوع مثار ضجة كبرى قبر إقالة وزارة الوفد، واستغل أعظم استغلال للتشكيك في نزاهة

وأمانة المهندس الكبير عثمان محرم وزير الأشغال .

وكانت وزارة الوفد قد شرعت فعلاً فى تنفيذ مشروع كهربية خزان أسوان ، ورسا عطاء التنفيذ على شركة أجنبية لا أذكرها . وكاد العمل يبدأ فى كهربية الخزان ، لولا تلك الحملة التى قام بها العقاد وعبد القادر حمزة فى جريدة البلاغ .. لقد قيل فيما قيل أن شركة أخرى المانية كانت على استعداد لتنفيذ المشروع بعطاء أقل . وكانت الحملة من القوة والعنف بحيث ضللت الكثيرين ، ولا أنكر أنى قد تأثرت بها إلى حد كبير . ولكن أتضح لى فيما بعد أنها قامت على المبالغة بالتضليل ، وأنها أضرت أكثر مما نفعت ! ولو صحت الوقائع التى بنيت عليها هذه الحملة لما ترددت الوزارة الجديدة فى تقديم عثمان محرم إلى المحاكمة ولبادرت بإعادة طرح المشروع فى مناقصة عالية جديدة حتى لا تضيع الفرصة ، ويتأخر تنفيذ المشروع . ولكنها لم تفعل ، وتبخر الحماس للمستروع فجأة وكتب له أن يتأخر إلى ما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ !

تردد مجموعة من الأسئلة يومئذ فى ذهنى ، ولم استطع أن أجدها جواباً .. ولم أثبت أن علمت أن شركة الملية كبرى كانت هى التى وراء هذه الحملة . وإن استاذاً فى كلية الهندسة يعمل لحساب هذه الشركة هو الذى كان يغذى جريدة البلاغ بالمعلومات وأخطر من هذا بدأت أشك أن العائلات الاقطاعية فى الصعيد التى تستند إليها أحزاب الأقلية لا تترتاح إلى سرعة تنفيذ المشروع ، لأن كهربية الصعيد وتصنيعه أمر يهدد كيان الإقطاع ! وقد أبديت هذه الشكوك فى مقال بعنوان « سر الحملة على مشروع خزان أسوان » مستبعداً صحة

التلاعب المزعم فى عطاءات مشروع كهرة خزان أسوان، حيث ثبت بعد إقالة الوزارة الوفدية عدم وجود أى دليل أو حتى أية قرينة لإثبات التلاعب! وتحديث خصوم الوفد قائلاً إنه لو كانت لديهم بالفعل مستندات تثبت التلاعب لكانوا قد نشروها وقدموا وزراء الوفد المسؤولين إلى المحاكمة! واستبحت لنفسى أيضاً أن أتحدى عباس العقاد.. بل كان هجومى عليه لا يخلو من قسوة واستفزاز.. ومع هذا لم يكلف نفسه عناء الرد.. وكيف يتنازل العقاد العملاق للرد على كاتب ناشئ!.. ولا أدري ما إذا كان العقاد قد اكتشف يومئذ إنى كاتب هذه المقالات، وغالباً مايكون قد عرفنى من أسلوبى، كما فهمت منه ضمناً فيما بعد!

وما جاء فى ذلك المقال: «هذا السر تجده ياعقاد عند محرك من أبناء البيوتات وأصحاب العزب والضياع الذين يتمتعون أو كانوا يتمتعون بالنفوذ الإقليمى الذى يستغلونه فى السياسة للنجاح فى الانتخابات. فأنت تعلم أن وزارة نسيم أيقظت مشروع كهرة خزان أسوان من سباته العميق، وجاءت وزارة النحاس فشرعت فى تنفيذه وعندئذ أحس أبناء البيوتات وأصحاب العزب والضياع أن هذا المشروع سيحول مصر إلى الناحية الصناعية، وبذلك يفسح مجال العمل فى المصانع أمام الفلاحين، ويقوى مركزهم إزاء أبناء البيوتات الذين يستنفون قواهم ويعذبونهم فى مقابل درهمات معدودات. كما يرفع مستواهم المادى والفكرى، لأن الصناعة تؤدى دائماً إلى انتشار الرخاء! أدرك كل هذا أسياذك أيها العقاد الجبار الذى لا يشق له غبار! أدركوا أنهم لن يستطيعوا بعد ذلك أن يستغلوا الفلاح ويضطهدوه إذا نمت الصناعة المصرية وتقدمت، لأنه فى هذه الحالة يتحرر من

نفوذهم الإقليمي، ويشعر بأنه سيد نفسه لآخادم الغير، ويهجر المزرعة إلى المصنع إذا أرادوا أن يضطهدوه ويستغلوه.. هذا هو سر الحملة على مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان! وهذا السر يبدو خلال ثورة الوزراء الوفديين الذين خرجوا على الوفد عرقلوا المشروع، كما يبدو خلال نزوة حلفائهم أبناء البيوتات من رجال أحزاب الأقليات» وفي مقال آخر تحدثت عن «الوفد والعمال» مبرزاً معارضة أحزاب الإقليات الرجعية فى بعض مشروعات قوانين العمل التى حاولت وزارة الوفد إصدارها، مشيراً إلى إعتراض ممثلى هذه الأحزاب فى مجلس النواب على مشروع التعويض عن إصابات العمل..» .

أما الكاتب الكبير عبدالرحمن الشرقاوى فيقول عن توفيق دياب .
« كنت حريصاً منذ بداية تكوينى الثقافى على قراءة جريدة الجهاد التى كان يصدرها الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وهو حقيقة من عمالة الصحافة والخطابة .

لقد أنشأ توفيق دياب مدرسة فى الخطابة أستمرت حتى الآن وكان الرئيس جمال عبدالناصر يقلده فى خطبة كما ان السياسى الكبير أحمد حسين كان من تلمذته أيضا فى الخطابة» .

وبعد.. أنها صور تقريبية لأعماق توفيق دياب وصفاته وأحاسيسه ومشاعره ومعاركه فى عيون معاصرة .

«إن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال
إنسان جسم إنسان بالسنّة السيّاط ولو كان أحدهما ملكاً متوجّاً
وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشري قداسة الروح فهو
وعاؤها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه» .

«توفيق دياب»

الباب العاشر

فلسفة الموت فى فكر توفيق دياب !

رحيل صاحب الجهاد فى ذكرى الجهاد !

لاشك أن طبيعة الموت هي الكلية المطلقة فجميع البشر قانون
«وكل نفس ذائقة الموت» - (العنكبوت / ٥٧) - لا محالة ولهذا قيل
إن الموت يتبع مع الجميع سياسة ديمقراطية تقوم على المساواة المطلقة
- إن صح التعبير - فلا يعرف التمييز بين عباقرة وسوقة أو بين علماء
وجاهل أو بين شبان وشيوخ أو أنصار وأشرار لكنه رغم هذا الطابع
الكلّي المطلق يحمل طابع الشخصية الجزئية المطلقة لأن الموت فردى
وشخصى وخاص فكل منا لابد أن يموت وحده ولا بد أن يموت هو
نفسه فلا يمكن لأحد أن يموت نيابة عن الآخر أو بدلاً منه .

ومن الطبيعة المتناقضة للموت أيضاً أنه يجمع بين «اليقين»
و«عدم اليقين» فأنا أعرف بالضرورة أنني سأموت لكن لا أعرف
مطلقاً متى سيكون ذلك أو كما قال بسكال بحق «إن كل ما أعرفه هو
أنه لابد لى أن أموت عما قريب ولكن لأجهل شيئاً قدر ما أجهل هذا
الموت الذى ليس لى عليه يدان» فأنا على يقين من شىء واحد
فحسب هو أنه «إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» أما
متى يمضى الأجل فعلمه عند الله سبحانه وتعالى .

ومن طبيعة الموت أيضاً أنه «حد» أو نهاية غير أن هذه الطبيعة

نفسها تلقى بنا بالضرورة، إلى ما وراء هذا الحد، فقدّر كبير من دراسة الموت طوال التاريخ كان يوجه في الحقيقة لدراسة ما بعد الموت، وهذا هو السبب في أن مشكلة الموت تحولت بعد ذلك إلى دراسة موضوع «المخلود».

يرتبط الموت في كثير من التفسيرات الدينية بالحرية، في الوقت الذي لا توجد فيه الحرية إلا إذا كانت هناك حياة ووجود، أعني لا توجد الحرية إلا بعيداً عن الموت: فن أين جاء هذا الارتباط بينها؟ يقال أن الموت دخل العالم بسبب خطيئة آدم التي أدت إلى طرده من عالم الخلد فأصبح لأول مرة قابلاً للفناء والموت. ولما كانت الخطيئة الأولى تعبيراً عن ممارسة الإنسان لحرية لأول مرة فقد كان هناك ارتباط وثيق بين الموت والحرية.

ويرتبط الموت أيضاً «بالخلق من العدم»، ومن هنا كانت الحياة بسبب أنها مخلوقة، مرتبطة بالموت. وكان الوجود لأنه خلق من العدم يحوى في جوفه ذلك العدم الذي خرج منه، ومن ثم فكل وجود يميل بطبعه إلى الفناء، وكل حياة يمكن الموت في جوفها.

وترتبط مشكلة الموت، من حيث إدراكها، بالشخصية مع أن الموت هو أساساً قضاء على كل شخصية «فكلما كانت الشعوب أنضج وأقوى شخصية، كان الإنسان أقدر على إدراك الموت. ومن هنا نجد أن الإنسان البدائي والإنسان الساذج لا يمثل الموت عندهما مشكلة.

فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من صعوبة هذا الموضوع، وجدنا الإنسان بطبيعته «يخشى الموت» وينفر من دراسته لأنه موضوع كربه مزعج فقد تجدد من الناس من يشكو مر الشكوى مما في هذه الحياة

الدنيا من ألم ومعاناة وبؤس وشقاء . ولكنه رغم ذلك كله يتشبث بها بقوة حتى أنه يستعيز بالله إذا طرقت أذنه كلمة الموت بل إن المختصر نفسه ، حتى وهو على فراش الموت يكره أن يسمع كلمة الموت وكما قال أحد المفكرين المعاصرين « ان ثمة شيئين لا يمكن أن يحدق فيهما المرء : الشمس والموت » .

ولقد شغلت « فلسفة الموت » الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وقد تصدى لها طارحاً جانباً بذلك عبارة بوسوية الشهيرة : « ان اهتمام الناس بدفن أفكارهم عن الموت قد لا يقل شأناً عن اهتمامهم بدفن موتاهم فخوف الناس من الموت هو الذى حدا بهم إلى تجاهل التفكير فى الموت أو العمل على تناسيه » .

وقد تصدى دياب (لفلسفة الموت) فى مقالاته ومحاضراته وأقواله . ولقد تجلّى ذلك واضحاً فى المحاضرة التى ألقاها فى يناير سنة ١٩٣١ وكان عنوانها : « بأى ميزان نزن الحياة » حيث يقول :

« ذلك السر الغامض ، الذى يبدأ بال ميلاد وينتهى بالوفاة ، ذلك السر الغامض الذى نسميه الحياة ، ونرى أنفسنا فى غماره متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء .

ذلك البحر الخضم ، الذى تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر أو طال ، نزعتنا منه تلك القوة الخفية حين تحمل الأجل .

هذه المعركة التى نساq إليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين ، هذه الحياة ما هى ، وما غايتها ، ولماذا ولدنا ولماذا نموت ؟
ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال فى كلمة أو كلمات .

إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة فى كنه الحياة
فقديماً كان، وإلى اليوم مازال هذا السر الرهيب موضوع البحث الملح
ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين .

وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة فى مرمى الحياة وإنما العجب ألا
يفكر فى مرمى الحياة جميع الناس نولد أجنة وندرج أطفالاً وننشأ صبية
ونراهق فتياناً ونستوى رجالاً ونبلغ الكهولة ، وتدركننا الشيخوخة أن قدر
لنا أن نعلم . ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الأزاهير ويتساقط
الورق، وما هو إلا نفس أخير تلفظه فلماذا نحن رفات وذلك دون أن
نفكر يوماً لماذا ولدنا، ولماذا حيينا، ولماذا نموت ودون أن نفكر من أين
جئنا وإلى أين نعود . وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم، أم جئنا من
وجود لنعود إلى وجود ؟

ويتضح من ذلك أن الفكر الفلسفى للموت عند توفيق دياب
يقترّب كثيراً أن لم يكن يطابق قول اسينيوزا :
« إن آخر ما يفكر فيه الرجل الحر هو الموت : لأن حكمته ليست
تأملًا للموت بل تأملًا للحياة » .

وأبلغ دليل على ذلك هو قوله :
« إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقه بعدم
منتهية إلى عدم، إذا سألتهم : لماذا يعيشون ؟ قالوا : نعيش طوعاً
لغريزتين : غريزة الحرص على بقائنا وغريزة الحرص على بقاء النوع .
أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى فى الطفل يتجنب
السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة .

وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح فى الأم تسهر على ذراريا
والأب يعول أبناؤه، حتى لو كانت الأم حيواناً أعجم .

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء .
فأما هم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل
على اندفاع الغرائز فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بالحياة الفرد
اتصالاً وثيقاً بالخلود كان أولى بهم أن يدركوا أن هذه الأعوام القليلة
التي ستسلمهم عما قريب إلى فناء لا وجود لهم بعده : هذه الأعوام
لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب فى مظاهر كاذبة وزبارج
باطلة ، ولا تستحق منهم هذا العكوف على المعامل والألات والمنظار
المبكر والمنظار المصغر، والتعليل والتحليل ، والكدح بالليل والنهار
للوصول إلى حقائق مهماتكن فى نظرهم جليلة فهى تافهة ، مادامت
هذه الحقائق الإنسانية والسادة العلماء فى طليعتها ، كائنات تافهة ،
تظهر اليوم من ظلام العدم ، لتنتهى فى الغد إلى ظلام العدم ..

كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء ، وأن يقولوا للناس : فيم
الكدح وفيه العناء فى سبيل غاية مقفرة مظلمة — إلى العدم العاجل
بيدك أنت أيتها الإنسانية غتارة طائفة فذلك أكرم وأروح للبال من أن
يحل بك العدم غير طائفة ولا غتارة .

يقولون إن حياة الإنسانية شىء وحياة الفرد شىء آخر .
حياة الفرد إلى العدم . فأما حياة الإنسانية فإلى البقاء .
ولقد ربط توفيق دياب بين الموت والحرية فى «سجنه» فى قره
ميدان حين توقع أن تطبق عليه عقوبة «الجلد» بعد مشادة بينه وبين
مدير القسم الطبى بالسجن طبقاً للقواعد المطبقة فى السجون آنذاك

فأطلق عبارته الماثورة :

«إن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال إنسان جسم إنسان بالسنة السياط ولو كان أحدهما ملكاً متوجاً وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشرى قداسة الروح فهو وعاءها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه» .

وتتفق فلسفة الموت عند توفيق دياب مع فلسفة «أونامونو» فى «أن اكتشاف الموت هو الذى ينتقل بالشعوب والأفراد من مرحلة التضج العقلى أو البلوغ الروحى ويذهب إلى أن مايسمى بالموقف «الصحى» تجاه الموت (وهو تجاهله) ليس إلا حالة هروبية غير صحية ..

ويبرهن توفيق دياب على حقيقة ذلك بقوله :
إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو إليها الأم جيلاً بعد جيل .
إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد — هو أن يعيش كل فرد من الناس خسين أو ستين عاماً محدودة بمجدين : عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق إلى الأبد ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين .

إذا كان الأمر كذلك فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون أن الانتحار أولى بهم وأجدر أما أنا فلو كنت منهم لأنتحرت .

إن هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لاتساوى فى ذاتها عضه الفقر ولاذلة الحاجة عاماً واحداً .

أنها فى ذاتها لاتساوى برحاء المرض الممض نصف عام . أنها فى ذاتها لاتساوى احتمال ظلم الظالمين . ولاجبروت المتجبرين .

إن المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى مالا يحتمله إلا لشعور واحد، وهو أن الحياة سر قديم خالدها حياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل فى نفوس الناس أو هان .

ولقد كانت أكبر مواجهة لتوفيق دياب أمام الموت كحقيقة حين احتضر بين ذراعيه ابنه صلاح فى صدر صباه فى ٢٣ يوليو عام ١٩٣٤ وكان موقفاً تحتبر فيه النفس المؤمنة وقد ودعه فى عبارات وأناة حزينة هى تلقين أكثر منها رثاء وتفجعاً .

قال توفيق دياب لولده وهو بين أيدي الله سبحانه وتعالى :
أننى أنير إليك سبيلك إلى القوة العظيمة التى بعثتنا يوم المولد والذى تتوفانا يوم يحين الأجل . والإنسان قبس منها وشعاع من نورها . فرحيلك عن الدنيا رجعة إلى المعلم الأعظم . وهدأة فى رحابه الظليلة . وعود إلى صاحب «الوديعة» .

ولقد تأثر توفيق دياب برحيل ابنه صلاح كثيراً لدرجة أنه بعد وفاته بأكثر من سبع سنوات سأل من مجلة آخر ساعة فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ : ماذا يطلب فى ليلة القدر؟

ركانت إجابته :

«أن يكون ولدى «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه وأن تكون ذكراه فى قلب والدته وأخوته ماثراً حنين وادع لأمثار حزن أليم وأن يجعل أيامنا فى هذه الدنيا عامرة بالفكرة الصالحة والعواطف

الطيبة والعمل الكريم» .

وكان توفيق دياب فى سنواته الأخيرة .. يحس بنهاية الرحلة فى عالمنا وكان يهمس بذلك لأقرب المقربين إليه واصدقائه وكان يخلو إلى نفسه فى ساعة متأخرة من الليل .. يقرأ القرآن ويردد الأدعية إلى الله .

كان يستشعر الموت بلا خوف أو رهبة وكأنه كان يردد قول الشاعر الأسباني الكبير (فديريكو جارسيا لوركا) :

«أريدكم أن يدلونى أين يوجد ذلك الطريق الذى يفضى إلى هذا القائد الذى كبته أغلال الموت» .

وكان الكاتب الكبير مصطفى أمين قد عرض على استاذة الكاتب الكبير توفيق دياب أن يكون أحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار فقبل ذلك ولكن بعد ثلاثة أيام اعتذر لظروفه الصحية .. وكان توفيق دياب يكتب عموداً أسبوعياً فى أخبار اليوم تحت عنوان «لمحاتى» ولكن اعتذر عنه بعد ثلاثة أسابيع بخطاب أرسله فى ٩ ديسمبر ١٩٥٢ إلى الأخوين مصطفى أمين وعلى أمين وهذا نص الخطاب :

٩ ديسمبر ١٩٥٢ ..

عزيزى الأمينين على ومصطفى ..

تحيات وبركات .. أما بعد فقد تغافلت عن ضعف صحتى خلال الأسابيع الثلاثة الماضية حرصاً منى على موالاة «لمحاتى» فى أخبار اليوم نزولاً على رغبتيكم التى تفضلتم بإبدائها مقدرين مشكورين .

ولكن حدث أثناء ذلك أن ساءت حالتي شيئاً فأندرنى الأطباء بالخطر إذا استأنفت أى جهد أبذله عقلياً كان أو جثمانياً حتى

أستكمل من اسباب الراحة المطلقة، يرجون معه استعادة الطمأنينة
والعافية من أجل ذلك اعتذر عن استئناف هذا الجهد الأسبوعي
اليسيط شاكراً لكم حسن ترحيبكم بدعوتي إليه مقدرين مشكورين
إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً،،،

المخلص

محمد توفيق دياب

رجاء وإذا شئنا الإشارة إلى توفيق عن الكتابة لهذا السبب على
صورة لا تزعج الأهل والأقارب فيزدحون على بيتي ويتعبون أنفسهم
ويتعبونني فأني أشكركم والرأى لكم،،

محمد توفيق دياب

وكان الكاتب الكبير توفيق دياب قد عانى من المرض في
السنوات الأخيرة وتابعت الصحف حالته الصحية فقد نشرت جريدة
الأهرام في ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٣ :
(توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبرة). وكتبت تحت هذا
العنوان التالي تقول :

«على أثر نوبة صحية حادة مفاجئة دخل الصحفي الكبير توفيق
دياب (٧٥ سنة) مستشفى المبرة بمصر القديمة .. اجتمع عدد من
الأطباء : منصور فايز وأحمد ابراهيم ومحمد جعفر وعبد العزيز الشريف
وزكى الرملى ومحمد الخطاب . قضى يومين فى المستشفى وظهر أنه
يعانى من ذبحة صدرية» .

ثم نشرت جريدة الأهرام فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ خبراً يقول :

«توفيق دياب صاحب جريدة «الجهاد» التي كانت في الثلاثينيات حتى بداية الأربعينيات من هذا القرن يعاني هذه الأيام وعكة روماتيزم من أجلها يذهب أحياناً إلى حلوان ليستشفى».

ثم عادت الأهرام ونشرت في ٢٦ مايو ١٩٦٥ :
«الصحفى الكبير توفيق دياب ٧٥ سنة طلب الإذن بالعلاج فى لندن من الوعكة الصحية التى ألمت به أخيراً».

ولقد نعت جريدة الأهرام على صدر صفحتها الأولى إلى مصر والعالم العربى والإسلامى وفاة الكاتب الكبير توفيق دياب فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ . حيث كتبت تقول :

وفاة توفيق دياب

توفى أمس الصحفى الكبير والخطيب المقوه محمد توفيق دياب عن ٧٩ عاماً ولقد لمع اسم توفيق دياب فى أواخر العشرينات وطوال الثلاثينيات واقترن اسمه بالجهاد الوطنى ومكافحة الطغيان الملكى والاستعمار البريطانى ولاسيما منذ تولى رئاسة تحرير جريدة «الجهاد» التى عطلت مرات عديدة بسبب ضراوة افتتاحياته فى الحملة على الانجليز وعلى الحكومات الدكتاتورية التى كانت تحكم مصر فى تلك الفترة استناداً إلى سلطة الملك .

وقد تعلم توفيق دياب الخطابة علماً فى أوروبا ومارسها عملاً بعد عودته إلى مصر وكان فى عرف البعض أخطر خطباء مصر بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ وقد اعتزل الحياة العامة منذ فترة طويلة مكتفياً بنشاطه فى الجمع اللغوى الذى كان عضواً فيه ولعل من آخر مقالاته مقالاً نشره فى جريدة «الأهرام» بعنوان «والأمة المصرية تغلى حفيظتها» فى ١٧

ديسمبر ١٩٥٥، مدداً بإسرائيل ومساندة أمريكا لها، كان رحمه الله في قمة حيويته شعلة إذا خطب ولهاً إذا كتب، وكانت سيرته صفحة من تاريخ البلاد وصراعها الحزبية» .

ومن مفارقات الأيام أن تكون وفاة توفيق دياب يوم ١٣ نوفمبر في يوم الجهاد وهو اليوم الذى أطلق عليه المصريون اسم عيد الجهاد الوطنى . اليوم الذى ذهب فيه سعد زغلول عام ١٩١٨، بعد ٤٨ ساعة فقط من إنتصار بريطانيا على ألمانيا الراكمة على قدميها، وإعلان بريطانيا أقوى إمبراطورية فى العالم، وسيدة البحار، وصاحبة أعظم جيوش الدنيا — بعد ٤٨ ساعة فقط من هذا الانتصار المذهل العظيم دخل سعد زغلول قصر نائب الملك البريطانى فى قصر الدوبارة وقال للانجليز أخرجوا من بلادنا .

وأصبح هذا اليوم الخالد عيداً قومياً يحتفل به الشعب المصرى على مدى السنين . لقد كانت وفاة صاحب الجهاد . فى يوم الجهاد، لكنها لم تكن وفاة .. لم تكن نهاية .. لم تكن خاتمة المطاف بل كانت ميلاداً وبداية وبعثاً ..

أليس توفيق دياب .. مسيرة جهاد لا تتوقف .. وشعلة نضال لا تنطفىء ..

الباب الحادى عشر
بيلوجرافية
كتابات عن توفيق دياب

أولاً: أخبار ومعلومات فى الصحف والدوريات عن توفيق دياب :

١- اتهم بالتحريض على الثورة فى خطاب ألقاه فى اجتماع للوفد بمناسبة ١٣ يوليو ١٩٢٨ (العدد ٢١٥ - ٢٣ نوفمبر ١٩٢٨ ص ٢ من مجلة المصور).

٢- أصدر جريدة (اليوم) فى فبراير ١٩٣٠ (العدد ٧٨٣ - ١٠ فبراير سنة ١٩٣٠ ص ٣ من اللطائف المصورة).

٣- استدعته النيابة للتحقيق معه فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٠ على نشره فى جريدة «الضياء» التى يتولى رئاسة تحريرها من أن مصلحة البريد ابتكرت طريقة تفتح بواسطتها مظاريف الخطابات دون أن تترك أثراً يدل أصحاب الرسائل .. وقد عدت مصلحة البريد هذا المقال مضارباً . (العدد ٨٢٧ - ١٥ ديسمبر ١٩٣٠ ص ٧ مجلة اللطائف المصورة).

قضت محكمة النقض يوم ٢٨ فبراير ١٩٣٣ أعليه بالسجن ٣ شهور لطلعه فى مجلس النواب (العدد ٩٤٣ - ٦ مارس ١٩٣٣ ص ١ مجلة اللطائف المصورة).

٤- نشر خطابات مزورة فى جريدة الجهاد :

- أ- اتهم بالاشتراك مع عزيز ميرهم المتهم بسرقة أوراق وتزوير أخرى لنشرة خطابات مزوره فى جريدة «الجهاد» .
- ب- صدر الحكم ببراءته فى ٥ يناير ١٩٣٢ (العدد ٨٨٣ — فى ١١ يناير ١٩٣٢ ص ١ مجلة اللطائف المصورة) .
- ٥- اتهمته النيابة ١٩٣٢ بالقذف فى حق بعض الوزراء إذ نسب إليهم أنهم يملكون أسهم فى شركة تورينكروفت وأنهم يعملون بنفوذهم على مساعدتها واتهمته بالظعن فى أعضاء مجلس النواب بمناسبة مشروع جبل الأولياء (العدد ٩٠٣ — ٣٠ مايو ١٩٣٢ مجلة اللطائف المصورة) .
- ٦- حكم ببراءته فى قضية البرلمان فى يناير ١٩٣٣ . (العدد ٩٣٥ — ٩ يناير ١٩٣٣) ص ١ مجلة اللطائف المصورة) .
- ٧- معلومات عن معاملته فى السجن سنة ١٩٣٣ (العدد ٩٤٧ — ١٣ ابريل ١٩٣٣ ص ٢١ ، ٢٢ مجلة اللطائف المصورة) .
- ٨- كيف كان يعامل فى سجن قره ميدان — ١٩٣٣ ؟ (العدد ٩٤٨ — ١٠ ابريل ١٩٣٣ ص ١٠ مجلة اللطائف المصورة) .
- ٩- توفى شقيقه السيد دياب مرسى فى ١٤ مارس ١٩٣٤ العدد ٩٩٨ — ٢٦ مارس ١٩٣٤ ص ٤ مجلة اللطائف المصورة .
- ١٠- زار فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلدة بيسان ٦٠٠ فارس عند مدخل البلده (العدد ١٠١٥ — ٢٣ يوليو ١٩٣٤ — ص ١٤ مجلة اللطائف المصورة) .
- ١١- رأيه فيما يجب أن تكون عليه معاملة الصحفيين فى السجن .
- ١٢- أن ماتظن أن بلداً متحضراً يسمح بأن يعامل رجال الرأى فيه

معاملة سائر المجرمين .

١٣- قضاء أيام السجن بعيداً عن بيئتهم المنزلية وأنديتهم الاجتماعية
—والسياسية .

١٤- يتصلون بصحفهم ويتلقون بريدهم هم ويلبسون ملابسهم العادية
ويتناولون طعامهم من بيوتهم ولا ينامون على الحصر والأبراش
ولا يرتدون ملابس السجن . (العدد ٢٧ — ١٣ يناير ١٩٣٥
ص ٢٤ مجلة آخر ساعة) .

١٥- كأن أحد أعضاء البعثة الاقتصادية المصرية التي نظمتها الجمعية
الزراعية الملكية في السودان في يناير ١٩٣٥ (العدد ١٠٤٣ — ٤
فبراير ١٩٣٥ ص ٤ مجلة اللطائف المصورة) .

١٦- كان يدخن ٥ علب سجائر في اليوم سنة ١٩٣٥ (العدد ٤٧
— ٢ يونيو سنة ١٩٣٥ ص ٣٢ مجلة آخر ساعة) .

١٧- معلومات عنه

(١) عاد من إنجلترا سنة ١٩١٦ بعد أن حصل على على
شهادة عالية في فن الإلقاء .

(٢) اشتغل بعد عودته مدرساً لفن الإلقاء في مدرسة وادى
النيل الثانوية .

(٣) كان يوسف وهبى طالباً بهذه المدرسة وقد طرده الاستاذ
توفيق دياب بك في أول يوم دخل فيه فصله لأنه كان
يشاغبه .

(العدد ٢١٢ — ٢٤ يوليو ١٩٣٨ ص ٤٣ مجلة آخر
ساعة) .

١٨- ماذا يطلب في ليلة القدر سنة ١٩٤١ ؟

أن يكون ولدى «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه وأن تكون ذكراه فى قلب والدته وأخوته مثار حنين وأدع لامثار حزن أليم وأن يجعل أيامنا فى هذه الدنيا عامره بالفكر الصالحة والعواطف الطيبة والعمل الكريم. (العدد ٣٦٨ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ ص ٩ آخر ساعة).

— تعيين دياب عضواً بجمع اللغة العربية — الأهرام فى ٩ مارس ١٩٥٤.

١٩- من ذكريات السجن :

(١) اختاروا لى ورشة التزنية فى السجن .

(٢) كدت أن أجلد وأنا فى السجن .

(٣) كنت مطرب السجن .

(العدد ٤٢١ — ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢ مجلة آخر ساعة).

٢٠- درس الموسيقى ويحفظ أشهر الأوبرات العالمية .

(العدد ٦٥٨ — ٤ يونيه ١٩٤٧ ص ١٨ مجلة آخر ساعة).

٢١- استقال من تحرير «الأساس» فى ١٩٤٨ .

(العدد ٦٩٤ — ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ ص ٦ مجلة آخر

ساعة).

٢٢- توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبره .

(جريدة الأهرام فى ٢٢ فبراير ١٩٦٣).

٢٣- توفيق دياب يعانى من وعكه روماتيزم .

(جريدة الأهرام فى ٤ نوفمبر ١٩٦٤).

٢٤- توفيق دياب يطلب الإذن بالعلاج فى لندن

(الأهرام فى ٢٦ مايو ١٩٦٥).

- ٢٥- وفاة توفيق دياب .
 (الأهرام فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
 ٢٦- وفاة صاحب الجهاد .
 (الأخبار فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
 ٢٧- وفاة توفيق دياب .
 (الجمهورية فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
 ٢٨- (أخطب خطباء عصره) الأهرام فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ .
 ٢٩- فى ذكرى صاحب الجهاد (الأهرام فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٠) .
 ثانياً: مقالات عن توفيق دياب فى الصحف والمجلات :

- ١- الأستاذ/ دياب سجين قره ميدان
 ✱ مقال لمكرم عبيد باشا
 يحلل فيه شخصية دياب ويشيد بوطنيته وفصاحته وحماسة بمناسبة
 الحكم عليه بالنسجن ٣ شهور من محكمة النقض فى ٢٨ فبراير
 ١٩٣٣ لطعنه فى أعضاء مجلس النواب .
 (العدد ٩٤٤ — ١٣ مارس ١٩٣٣ ص ٢ مجلة اللطائف
 المصورة) .
 ٢- محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته مقال
 لعباس حافظ يصفه فيه بمناسبة الحكم عليه بالنسجن ٣ شهور
 لطعنه فى أعضاء مجلس النواب فى ٢٨ فبراير ١٩٣٣ .
 (العدد ٩٤٥ — ٢٠ مارس ١٩٣٣) ص ٤ مجلة اللطائف —
 المصورة .
 ٣- محمد توفيق دياب — حافظ محمود — الجمهورية — ١٥ نوفمبر
 ١٩٦٧

- ٤- (توفيق دياب ففيد العروبة .. وخطيبها) — عبد الحى أدب
الأخبار فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٧.
 - ٥- توفيق دياب .. كانت آخر كلماته دعاء — مأمون غريب آخر
ساعة فى أول ديسمبر ١٩٦٧.
 - ٦- توفيق دياب — زكى دياب المحامى — الأخبار فى ٢٥ ديسمبر
١٩٦٧.
 - ٧- العملاقة الستة أصحاب الأسلوب السياسى فى تاريخنا الصحفى
المعاصر توفيق دياب — حافظ محمود — مجلة الهلال ص ١٠٦
— سبتمبر ١٩٧٣.
 - ٨- فى ذكرى الصحفى الخطيب — صاحب الجهاد — محمد دواره
— الجمهورية فى ٣ ديسمبر ١٩٨٠.
 - ٩- هذا الرجل يجب أن تكرمه الصحافة فى عيدها — الأهرام فى
٣ مارس سنة ١٩٨١.
 - ١٠- توفيق دياب صحافة زمان — عبدالله زلطة — المساء فى أول يونيه
سنة ١٩٨٢.
 - ١١- (لم تزدنى المحنة إلا غيرة على مصر) مقالة سامى دياب
(الأهرام فى ٢ يناير ١٩٨٦).
 - ١- فكرة — مصطفى أمين — الأخبار فى ٤ مارس ١٩٨٧.
- ثالثاً: فصول فى كتب عن توفيق دياب:
- ١- اللوحات — محمد توفيق دياب — القاهرة ١٩٤٧ (المقدمة بقلم
أنطوان الجميل باشا).
 - ٢- المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ — ١٩٥٢)
كتاب الجمهورية — حافظ محمود — المعارك الخطابية).

- ٣- لكل مقال أزمة -مصطفى أمين- من صفحة ١٥ إلى ٢٤
(آداب - السلوك فى مخاطبة الأمراء والملوك).
٤- من عشرة لعشرين (مصطفى أمين من ص ٢٤٤ إلى ٢٤٥
- ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢).
٥- صاحبة الجلالة فى الزنزانة: مصطفى أمين - ١٩ ، ٣٣ ، ٢٠٦ ،
٢٠٧.

- رابعاً: رسائل جامعية غير منشورة عن توفيق دياب والجهاد:
١- صحيفة «الجهاد» رسالة ماجستير مقدمة من د. ناهد أحمد فؤاد أبو
العيون إلى كلية الإعلام - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨ .
خاصة: كلمات ألقيت عن توفيق دياب:
١- كلمة الدكتور طه حسين فى حفل استقبال توفيق دياب بمجمع
اللغة العربية (ج ١٠ مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة).
٢- كلمة الشاعر عزيز أباطة فى تأبين توفيق دياب
(كتاب الجمعيون) - د. مهدى علام).
٣- كلمة زكى المهندس فى تأبين توفيق دياب .
(ج ١٠ مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة).

المراجع التفصيلية للجزئين الأول والثانى من «توفيق
دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية»

أولاً: الجزء الأول:

الباب الأول

الفصل الأول

سيرة حياة إنسان الحماسة والإرادة والصرفية أفانيمة
الثلاثة

- ١- محمد توفيق دياب: اللوحات. سياسيات روحيات اجتماعيات خفقيات أدبيات دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة ١٩٤٧.
- ٢- كلمة الشاعر عزيز أباطة في تأبين توفيق دياب (كتاب المجمعين) مهدي علام.
- ٣- رسائل خطية بعث بها توفيق دياب من لندن لأسرته في القاهرة لأخيه حسن دياب بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩١٣ ورسالة أخرى لأخيه حسن وابن أخيه أحمد في ٢٢ سبتمبر ١٩١٣ ورسالة ثالثة لأخيه حسن في ١٧ فبراير سنة ١٩١٦.
- ٤- صحيفة الجهاد (شهر يونيو ١٩٣٥).
- ٥- اللطائف المصورة - ١٣ مارس ١٩٣٣ (العدد ٩٤٤) صفحة ٢ الاستاذ توفيق دياب سجين قرة ميدان) بقلم السياسى الكبير مكرم عبيد.
- ٦- اللطائف المصورة. محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة في محنته مقال لعباس حافظ في ٢٠ مارس ١٩٣٣ العدد ٩٤٥ صفحة ٤.
- ٧- حافظ محمود: (محمد توفيق دياب) جريدة الجمهورية ١٥ نوفمبر ١٩٦٧.

- ٨- حافظ محمود: المارك في الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ - ١٩٥٢) كتاب الجمهورية (المعارك الخطابية).
- ٩- د. ناهد أبو العيون: صحيفته «الجهاد» رسالة ماجستير. «غير منشورة». كلية الإعلام - جامعة القاهرة ١٩٧٨.
- ١٠- عبد الحى أديب: (توفيق دياب فقيد العروبة.. وخطيبها) «جريدة الأخبار في ١٧ نوفمبر ١٩٦٧».
- ١١- سامى دياب: (لم تزدنى المحنة إلا غيره على مصر) جريدة الأهرام في ٢ يناير ١٩٨٦.
- ١٢- مقابلات شخصية مع الاستاذين: د. صلاح كامل وصلاح كامل. شهر مارس ١٩٨٧.

الفصل الثانى

(توفيق دياب صحفياً وكلماً إصدار صحيفة عطلها
صدقى!)

- ١ — حافظ محمود: (محمد توفيق دياب) جريدة الجمهورية ١٥ نوفمبر ١٩٦٧.
- ٢ — حافظ محمود: المارك في الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ — ١٩٥٢) كتاب الجمهورية (المارك الخطابية).
- ٣ — اللطائف المصورة: أصدر جريدة (اليوم) في فبراير ١٩٣٠ (العدد ٧٨٣ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٠ صفحة ٣).
- ٤ — د. ناهد أبو العيون: رسالة ماجستير «الجهاد» عام ١٩٧٨ (نيذة عن صحيفتى اليوم والضياء).
- ٥ — مقابلة شخصية للكاتب الكبير مصطفى أمين فى مارس ١٩٨٧ (مسجلة).
- ٦ — اعداد من صحيفة السياسة.
- ٧ — د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية الجزء الأول مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٥٩.
- ٨ — أنور الجندى: الصحافة السياسية فى مصر. مطبعة الرسالة.

الفصل الثالث

الجهاد وفدية حتى أطراف أصابعها!

- ١- صحيفة (الجهاد): العدد الأول ١٧ سبتمبر ١٩٣١ والاعداد التالية له . مقالات توفيق دياب .
- ٢- صحيفة (الجهاد): ٣٠ مايو ١٩٣٢ . (اجتماع خطير للهيئة الوفدية أمس - ٢٢٣ من الشيوخ والنواب السابقين يعلنون أن مشروع جيل الأولياء سلاح قاتل في يد الاستعمار - نص قرار الهيئة الوفدية) .
- ٣- صحيفة (الجهاد): إعداد شهر يناير ١٩٣٢ .
- ٤- صحيفة الجهاد / : ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) :
 (أضخم اجتماع وطني في تاريخ مصر السياسي - المؤتمر الوطني العام للوفد المصري - وصف متصل للجلستين الرائعتين أمس - النص الكامل للخطبة التاريخية الخالدة التي ألقاها الرئيس الجليل في افتتاح المؤتمر - اليوم المشهود أول يومى المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى - الجلسة الأولى - وصف الاجتماع - خطبة خالدة للرئيس الجليل - خطباء جلسة الصباح - روعة النظام - عظمة الاجتماع - لندوب الجهاد الخاص ..

ملحق الجهاد الخاص بأعمال المؤتمر الوطنى العام : الجهاد
الأربعاء ٩ يناير سنة ١٩٣٥ (خطاب حضره صاحب الدولة
الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا فى الموقف السياسى
والدستورى .

٥ - صحيفة «الجهاد» : ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥)
أعظم توفيق ونجاح يتجلىان فى المؤتمر الوطنى العام - الخطبة
التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم
- باقى التقارير لجان المؤتمر كاملة - القرارات الهامة التى
اتخذها المؤتمر بالإجماع - الكلمة الفريدة - سجل كامل لأعمال
المؤتمر - الكلمة الختامية لدولة الرئيس الجليل - قرارات المؤتمر
- اليوم الثانى للمؤتمر الوطنى العام لمتدوب الجهاد الخاص .

٦ - صحيفة الجهاد : ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٣) :
(الوفود الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم
الأمين وأم المصريين - عرفات الوطنية أو المؤتمر الوفدى بقلم
الأستاذ العقاد - صفقات للوم باشا وشئون العمدة والشيخات
- مقابلات بشأن المشاكل الكبرى التى تعالجها الوزارة - تطور
جديد فى الخلاف القائم بين إيطاليا والحبشة) .

٧ - صحيفة الجهاد : (٤ يناير ١٩٣٨) العدد (٢٢٣٢) .
(نهاية الدكتور ماهر - ثورته على حقوق مجلس النواب وثورة
المجلس لحقوة - مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف
الوزارة ودستورية التأجيل - خلاف بين الوزارة هل تؤجل
الانتخابات أو تجرى فى دورها الدستورى - الوفد يفصل الدكتور
ماهر وقد طفق الكيل - يوم فذ فى تاريخ حياتنا البرلمانية

—مشاهدة خالدة في مجلس النواب — كلمات خالدة في مجلس.

الشيخ بقلم محمد توفيق دياب .

٨- صحيفة الجهاد : ٤ يناير ١٩٣٨ — العدد (٢٢٣٢) .

مقالة نهاية بقلم الاستاذ محمد توفيق دياب .

٩- صحيفة الجهاد : ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ :

(وسائل القمع دار خاص الأبرواح — المرسوم الشاغر لمصادرة

الصحف وتعطيلها إدارياً (بقلم محمد توفيق دياب) .

١٠- صحيفة الجهاد : (١٨ نوفمبر ١٩٣٥) العدد (١٥٠٣) (تشجيع

جنازة شهيد دار العلوم في مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل

مسء أس — احتجاج الوفد المصرى على تصرفات الوزارة

التسمية وبقائها في الحكم — تفاصيل المظاهرات في القاهرة

والاسكندرية والأقاليم — تعطيل الدراسة في ثلاث مدارس

للبنات بالقاهرة ومدرسة الزراعة بشبين الكوم — بناء مقبرة

للشهداء بالإسكندرية) .

١١- صحيفة الجهاد : ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٤) نص احتجاج

الوفد لدى عصبة الأمم — الرئيس الجليل وحرمة المصون يواسيان

الجرحى في مستشفى القصر العيني — صاحبة العصمة أم

المصريين تستقبل جوع الآنسات المتعلقات في بيت الأمة

— صورة لمصطفى النحاس وحرمة والدكتور على ابراهيم عميد

كلية الطب في زيارة لعبد الحكيم الجارحي الذى أصيب

برصاص البوليس) .

١٢- صحيفة الجهاد : (العدد ١٥٠٥) (أسبوع الشهداء — الأمة تشيع

شهيدها السادس في مشهد شعبى جامع رهيب — صور للجرحى

والجنازة — الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين
— اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها).

(أسبوع الشهداء بقلم محمد توفيق دياب).

١٣- صحيفة الجهاد: ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥.

(رسالة بخط يد شهيد الشباب السامى المغفور له محمد

عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب مصر).

١٤- د. ناهد أبو العيون: صحيفة (الجهاد) — رسالة ماجستير (غير

منشورة) كلية الإعلام — جامعة القاهرة ١٩٧٨.

١٥- عبدالرحمن الراقى: فى أعقاب الثورة العربية الجزء الأول

والثانى مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٥٩.

الفصل الرابع (توفيق دياب خطيباً)

- ١ — أنور أحمد: خطباء صنعوا التاريخ — دار المعارف ١٩٧٦.
- ٢ — محمد توفيق دياب: اللوحات — سياسات روحيات اجتماعيات — خفقيات أدبيات. دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧.
- ٣ — مجلة الهلال: إعداد عام ١٩٢٦. «سعد زغلول والخطبة» بقلم محمد توفيق دياب.
- ٤ — مجلة آخر ساعة (العدد ٢١٢ — ٢٤ يوليو ١٩٣٨ صفحة ٤٣) (واقعة طرد توفيق دياب ليوسف وهبى من معهد الخطابة لمشاغبته).
- ٥ — حافظ محمود: المارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ — ١٩٥٢) كتاب الجمهورية ١٩٦٩.
- ٦ — حافظ محمود: مقابلة شخصية.
- ٧ — عباس محمود العقاد: سعد زغلول «سيرة وتحية ١٩٣٦».
- ٨ — جريدة الاهرام: أخطب خطباء عصره — ١٤ نوفمبر ١٩٧٧.

الفصل الخامس

توفيق دياب برلمانياً

- ١ — السياسة الأسبوعية: إعداد عام ١٩٢٦.. مقالة «هل من مناجز؟! بقلم الأستاذ محمد توفيق دياب.
- ٢ — حافظ محمود: «محمد توفيق دياب» مقالة بقلم الاستاذ حافظ محمود جريدة الجمهورية ١٥ نوفمبر ١٩٦٧.
- ٣ — حافظ محمود: العمالقة الستة أصحاب الأسلوب السياسى فى تاريخنا الصحفى المعاصر توفيق دياب — حافظ محمود مجلة الهلال صفحة ١٠٦ — سبتمبر ١٩٧٣.
- ٤ — محمد دواره: فى ذكرى الصحفى الخطيب — صاحب الجهاد — جريدة الجمهورية ٣ ديسمبر ١٩٨٠.
- ٥ — زكى دياب المحامى: توفيق دياب جريدة الأخبار فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٧.
- ٦ — سامى دياب: «لم تزدنى المحنة إلا غيرة على مصر» جريدة الأهرام فى ٢ يناير ١٩٨٦.
- ٧ — صحيفة الجهاد: ٢٦، ٢٧ إبريل ١٩٣٢.
- ٨ — صحيفة الجهاد: إعداد شهرى يناير وفبراير ١٩٣٣.
- ٩ — د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد.. رسالة ماجستير ١٩٧٨.
- ١٠ — مصطفى أمين: من عشرة لعشرين — المكتب المصرى الحديث.
- ١١ — د. كامل دياب: مقابلة شخصية.

الفصل السادس
توفيق دياب أديباً ومجمعياً

- ١- د. مهدي علام : المجمعون في خمسين عاماً مجمع اللغة العربية
القاهرة ١٩٨٦ .
- ٢- جريدة الأهرام (٩ مارس ١٩٥٤) - تعيين دياب عضواً بمجمع
اللغة العربية .
- ٣- مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة (الجزء العاشر) كلمة الدكتور
طه حسين في حفل استقبال توفيق دياب بمجمع اللغة العربية .
- ٤- مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة (الجزء العاشر) كلمة الأستاذ
زكي المهندس في تأبين توفيق دياب .
- ٥- كلمة الشاعر عزيز أباظة في تأبين، توفيق دياب (كتاب
المجمعون) د. مهدي علام .
- ٦- (لغة المسرح) عنوان محاضرة ألقاها محمد توفيق دياب في مؤتمر
للمجمع اللغوي بدار الجمعية العربية للاقتصاد السياسي
والاحصاء والتشريع في ٦ يناير ١٩٥٦ (تم الإطلاع عليها
مكتوبة بخط توفيق دياب لدى أسرته) .
- ٧- د. ناهد أبو العيون : صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير
منشورة) كلية الإعلام - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨ .

- ٨- جريدة السياسة الأسبوعية إبريل ١٩٢٧ مقالة (الأدب الماخن ..
مفسدة للناشئين) بقلم محمد توفيق دياب .
- ٩- جريدة السياسة الأسبوعية : سبتمبر ١٩٢٧ مقالة (مساجلة علنية)
(الأدب المكشوف والأدب المستور) .
- ١٠- جريدة الجهاد : ١٥ أكتوبر ١٩٣٢ . (مصائب الشعر والأدب في
أمر الشعراء أحمد شوقي) .
- ١١- جريدة الجهاد : الإعداد ١٠٥٧ - ١٢٥٣ - ١٣٥٦ . مقالات
الأستاذ نجيب محفوظ تحت عناوين (معنى الفلسفة) (وعلم
الآداب العامة) و(الضمير والنم والعدل من وجهة النظر
الاجتماعية) .

الفصل السابع

توفيق دياب كاتباً اجتماعياً

١ - مجموعة مقالات السياسة الأسبوعية التي كتبها الأستاذ توفيق دياب .

٢ - محمد توفيق دياب : اللوحات . سياسات روحيات اجتماعيات خفقيات أدبيات دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .

الفصل الثامن

معارك الجهاد وتوفيق دياب

- ١ — صحيفة الجهاد: اعداد شهر ابريل ١٩٣٢.
- ٢ — صحيفة الجهاد: ١٠ مايو ١٩٣٢.
- ٣ — صحيفة الجهاد ٢٣ مايو ١٩٣٢: (استرهان مصر وثيقة خطيرة ثانية تقرير كبرى باشا إلى رئيس مديري شركة مزروعات السودان ليمتد).
- ٤ — صحيفة الجهاد ٢٣ مايو ١٩٣٢: (نداء إلى إخواننا المصريين عن مشروع الكارثة الكبرى) بقلم محمد توفيق دياب.
- ٥ — د. ناهد أبو العيون: صحيفة (الجهاد) رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام .. جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.
- ٦ — الأهرام: إعداد شهر مارس ١٩٣٢.
- ٧ — حافظ محمود: حديث شخصي. (مارس ١٩٨٧).
- ٨ — صحيفة الجهاد: فى الفترة من ١٩ يونيو إلى ٢٧ يونيو ١٩٣٥ وهو ما عرف (بالأسبوع الساخن).
- ٩ — صحيفة الجهاد: ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) (اكرموا ولى العهد من مثل هذا الدفاع بقلم صاحب الجهاد).
- (أهم قرارات مجلس الوزراء فى جلسة أمس — اقتراح فى كتاب

مفتوح من صاحب المجد النبيل سليمان داود إلى سعادة وزير الزراعة). «اكرموا ولي العهد عن هذا الدفاع المزرى» بقلم محمد توفيق دياب.

١٠- صحيفة الجهاد: ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٦).

(بدائها ترمينا جريدة البلاغ بقلم صاحب الجهاد - تصريح لسعادة وزير التجارة والصناعة عن تنظيم التعليم الصناعى والتجارى).

١١- صحيفة الجهاد: ٢٢ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧).

(الوفد المصرى يجتمع مساء يوم الاثنين - على الصحفيين الثالثة والخامسة اقرا لصاحب الجهاد (تستريح القراء عفوهم الكريم لمحات لا بد منها من تاريخ صاحب الجهاد - كلمات صريحة إلى صاحب البلاغ). (أول محاضرات فى مصر - أول مقابلاتى للزعيم الخالد - فى قلم المطبوعات - مراقبة الصحف - ابتداء الحركة الوطنية (استقالتي الأولى - تأليف الوفد المصرى واكتتابى على المكتبتين استقالتي الثانية مسببه - رجاء إلى وزير الداخلية - الخلاف بين سعد وعدلى واشتراكى فى تحرير السياسة).

١٢- صحيفة - الجهاد: ٢٣ يونيو ١٩٣٥.

(رداً على مفتربات صاحب البلاغ - اعتقالى بتهمة التحريض على الثورة - أيام التحقيق الثلاثة - ظروفنا فى الاستقالتين - تاريخ جريدة اليوم - استئناف الحياة النيابية - ابتداء العهد الصدى - تاريخ قريب يعرفه المصريون - حادث شخصى لاصلة به بالمبدأ ولا صلة له بالعيش - اليمين المغلظة).

- ١٣- صحيفة الجهاد: ٢٤ يونيو ١٩٣٥.
- (ختام ،ردودنا على صاحب البلاغ إلا أن يريد منا مزيداً
—مكانة الجهاد فى نفوس القراء —تهنئة خالصة لصاحب البلاغ
عتاب آخر — الأمة عدتنا — موقفنا من الوزارة النسيمية — مسلك
صاحب البلاغ حيال الأبراشى باشا —نشكر لصاحب البلاغ
إتاحة هذه الفرصة).
- ١٤- صحيفة الجهاد: ٢٥ يونيو ١٩٣٥.
- (سحقاً لمقتربات صاحب البلاغ —منتى ما يستطيعه صاحب
الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم العروبة والإسلام —قسمنا العظيم
(إيه المباهلة —اليمين المغلظة — فهل يقسم صاحب البلاغ).
- ١٥- صحيفة الجهاد: ٢٦ يونيو ١٩٣٥ . (الصفحة الخامسة) (هذا هو
الرجل الذى يتهمنا —حكم التأديب —يمحو اسم عبدالقادر
أفندى حمزه من جدول المحامين —محكمة استئناف مصر الأهلية)
—مجلس تأديب المحامين —وقائع الدعوى — أسباب الحكم
—القضية الثانية — الحكم فى القضيتين.
- ١٦- صحيفة الجهاد: اعداد شهر ديسمبر ١٩٣٧.
- ١٧- صحيفة الجهاد: ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١).
- (ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا؟
مغزى الغاء نذب النائب العام —ونقل رئيس محكمة مصر
الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير
لا يتفق واحترام العدالة —الدستور يحتم اجراء الانتخابات
العامة — يوم ٣ ابريل وعقد البرلمان الجديد يوم ١٣ منه).
- «هذا إذا حلت الوزارة البرلمان بعد شهر» بقلم محمد توفيق
دياب.

- ١٨- صحيفة الجهاد : ٤ - تر ١٩٣٨ العدد (٢٢٣٢) .
(نهاية الدكتور ماهر - ثورته على حقوق مجلس النواب وثورة
المجلس لحقوقه - مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف
الوزارة ودستورية التأجيل - خلاف بين الوراثة هل تؤجل
الانتخابات أو تجرى فى دورها الدستورى - الوفد يفصل الدكتور
ماهر وقد طفق الكيل - يوم فذ فى تاريخ حياتنا البرلمانية
- مشاهد خالدة فى مجلس النواب - كلمات خالدة فى مجلس
الشيوخ بقلم محمد توفيق دياب - مقالة فى نفس العدد بعنوان
(نهاية) بقلم توفيق دياب .
- ١٩- د. كامل دياب : مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧ وحوار حول
معركة توفيق دياب الانتخابية مع فكرى أباطة ومحمود الألفى .
- ٢٠- الكاتب الكبير مصطفى أمين .. مقابلة شخصية مسجلة مارس
١٩٨٧ وحوار حول توفيق دياب ومعاركه .
- ٢١- مصطفى أمين .. من عشرة لعشرين .. المكتب المصرى الحديث .
- ٢٢- مذكرة تحقيق للمعركة الانتخابية بين توفيق دياب ومحمود الألفى
مع نص الجرائم التى ارتكبتها محمود الألفى .

الفصل التاسع

- محمد توفيق دياب: اللوحات — سياسيات — روحيات اجتماعيات خفقيات أدييات — دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة ١٩٤٧.
- مصطفى أمين: من عشرة لعشرين المكتب المصري الحديث.
- مصطفى أمين: لكل مقالة أزمة المكتب المصري الحديث.

الباب الثاني
مسيرة «الجهاد» الصحفية
الفصل العاشر
الأهداف المتعددة للجهاد

- د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد.. رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام — جامعة القاهرة عام ١٩٧٨ .
- أعداد متنوعة من صحيفة الجهاد خلال سنوات متفاوتة .

الفصل الحادى عشر

موقف الجهاد من الحكومات المصرية

- ١- أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية سنة ١٩٢٨ .
- ٢- أحمد عبدالرحيم : تاريخ مصر السياسى من الأحتلال للمعاهدة سنة ١٩٦٧ .
- ٣- أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر عام ١٩٦٢ .
- ٤- حافظ محمود : المارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩-١٩٥٢) كتاب الجمهورية ١٩٦٩ .
- ٥- عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الثانى) مكتبة النهضة المصرية والقاهرة ١٩٦٢ .
- ٦- د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ دار الكاتب العربى القاهرة .
- ٧- د. ناهد أبو العيون : صحيفة «الجهاد» رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام - جامعة القاهرة .
- ٨- صحيفة الجهاد : أعداد شهر أكتوبر ١٩٣١ .
- ٩- صحيفة الجهاد : أعداد شهر يونيه ١٩٣٢ .
- ١٠- صحيفة الجهاد : أعداد شهر مايو ويونيه ١٩٣٣ .
- ١١- صحيفة الجهاد : أعداد شهر أبريل ١٩٣٢ .

- ١٢- صحيفة الجهاد : أعداد شهر يوليو وأغسطس ١٩٣٤ .
- ١٣- صحيفة الجهاد : أعداد شهر نوفمبر ١٩٣٤ .
- ١٤- صحيفة الجهاد : ٩ يناير ١٩٣٥ (العدد ١٢٠٤) (أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى والمؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى — وصف متصل للجلستين الراضتين أمس — النص الكامل للخطبة التاريخية الخالدة التى ألقاها الرئيس الجليل فى افتتاح المؤتمر — اليوم المشهود أول يومى المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى) .
- ١٥- صحيفة الجهاد ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) وأعظم توفيق ونجاح يتجلبان فى المؤتمر الوطنى العام الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الاستاذ مكرم — باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة — القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع — الكلمة الفريدة التى اختتم بها الرئيس المؤتمر — (جهاد) أمس واليوم — سجل كامل لأعمال المؤتمر الكلمة الختامية لدولة الرئيس الجليل) .
- ١٦- صحيفة الجهاد : ٢٣ يناير ١٩٣٦ (١٥٦٧) الصفحة الأولى والرابعة :
- (قبول استقالة الوزارة النسيمية — جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية — وودلته يعتذر ويقترح إشراك المعارضة فى المفاوضات إرضاء للرغبة الملكية — اجتماع الوفد المصرى أمس واستشافه مساء اليوم .
- قبول استقالة الوزارة النسيمية — تكليفها بتسيير الأعمال حتى تؤول الوزارة القادمة — الجبهة الوطنية فى الحضرة الملكية — أذق

التفاصيل لما دار فى المقابلتين — جلالة الملك يطلب إلى دولة الرئيس تأليف وزارة ائتلافية — ودولته يعتذر ويفترح أشراك المعارضة فى المفاوضات إرضاء للرجبة الملكية — اجتماع الوفد المصرى واستئناف الاجتماع مساء اليوم).

١٧- الجهاد : أعداد شهر مايو ١٩٣٦ .

١٨- الجهاد : أعداد شهر نوفمبر ١٩٣٦ .

١٩- الجهاد : أعداد شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٣٧ .

٢٠- صحيفة الجهاد : ٣٠ يناير ١٩٣٨ (العدد ٢٢٥٨) (طلائع

انتخاباتهم الحرة!! تليفق الدوائر الانتخابية لمصلحة المرشحين

الوزاريين — حيرة الوزارة وجنودها الماهريين والنقراشيين

— التأهب لاصطياد أصوات الناخبين — مشروع تخفيض

الضرائب هو مشروع انتخابى لامشروع اقتصادى).

٢١- صحيفة الجهاد : أعداد ابريل ١٩٣٨ .

الفصل الثانى عشر

موقف الجهاد من سياسة الانجليز

- ١- د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.
- ٢- د. عبدالعظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ دار الكاتب العربى القاهرة.
- ٣- أنور الجندى: الصحافة السياسية فى مصر عام ١٩٦٢.
- ٤- عبدالرحمن الرافعى: فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الثانى) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢.
- ٥- صحيفة الجهاد: الأحد ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٤٩٥) (الحكومة البريطانية تهدم تصريح ٢٨ فبراير - وزير خارجيتها يقول إن دستور سنة ١٩٢٣ غير صالح العمل بمقتضاة - الأحباش يأسرون ألف جندى صومالى ويقتحمون ذخائر حرية عظيمة فى معركة جورهاى - أخبار آخر ساعة - تصريح وزير خارجية بريطانيا فى حفل الجليلد هول بلندن مساء أمس يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسه ويجعل دستور مصر رهيناً بإدارة انجلترا فماذا يقول فى هذا دعاة الاتحاد؟
- ٦- صحيفة الجهاد (١٤ نوفمبر ١٩٣٥). السنة الخامسة العدد

(١٤٩٩) خطاب الرئيس التاريخي في المجموع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكر الجهاد - الرئيس يوجه الدعوة بإسم الوفد إلى (١) الأمة بعدم التعاون مع الانجليز (٢) الوزارة بالاستقالة ويعلن (٣) عدم تأييد الوزارة إلا إذا لم تستقل (٤) مقاومة كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز - أربعون ألفاً في السرداق - خطبة حماسية فياضة للمجاهد الكبير - إطلاق الرصاص على جماهير المتظاهرين بعد انتهاء الاحتفال).
نفس العدد السابق (الصفحة الخامسة).

(يوم مصر العظيم ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ - عيد الجهاد الأكبر - أضراب الطلبة - المظاهرات الشعبية في النادى السعدى - تجمع الألوف المؤلفة على ضريح سعد - فى السرداق الكبير - تدفق الجماهير من تدفق الجماهير من الساعة الثانية - الهتافات الحماسية الشديدة - خطبة الطلبة - حضور الرئيس (المجاهد الكبير).

إطلاق الأعيرة النارية فى شوارع القاهرة - تفصيلات وافية عن مظاهرات أمس الرائعة - احتفالات بعيد الجهاد الوطنى - تحطيم زجاج نوافذ القنصلية البريطانية - ثمانى حوادث بين المتظاهرين والبوليس .

٧ - صحيفة الجهاد: أعداد شهر يناير ١٩٣٦. ٥، ٦، ٧ يناير ١٩٣٦ (حادث مؤسف ضابط بريطانى يطلق مسدسة على عامل مصرى بشارع فؤاد بعد منتصف ليلة أمس - مندوب الجهاد يبلغ الأسعاف وقسم البوليس).

٨ - صحيفة الجهاد: (٢١ يناير ١٩٣٦) العدد (١٥٧٥) وثائق

استقالة الوزارة النسيمة وتأليف الوزارة الماهرة — حديث
مستفيض للدولة ماهر باشا مع الجهاد — تعيين المفاوضين
الرسميين بمرسوم يصدر اليوم — أساء المفاوضين — بدء
المفاوضات يوم ٢٥ فبراير — خطبتان للرئيس الجليل والمجاهد
الكبير في بيت الأمة مساء أمس).

الفصل الثالث عشر
توقف الجهاد عن الصدور وأو الجهاد فى عنفوان
شبابها

- ١- مجلة الاثنين: عام ١٩٣٩ (المقالة الشهيرة) وأدت جريدتى
بيدى بقلم محمد توفيق دياب.
- ٢- د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير منشورة
كلية الإعلام - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨).
- ٣- الكاتب الكبير مصطفى أمين. مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧.
- ٤- د. كامل ودياب وصلاح دياب مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧
حول أسباب توقف جريدة الجهاد عن الصدور.
- ٥- مصطفى أمين: عمود (فكرة) جريدة الأخبار فى ٤ مارس
١٩٨٧.

الجزء الثانى

من توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية

الباب الثالث

الدور الوطنى للجهاد فى مظاهرات ١٩٣٥

- ١- صحيفة الجهاد: ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ «العدد ١٤٩٥» (الحكومة البريطانية تهدم تصريح ٢٨ فبراير - وزير خارجيتها يقول (دستور سنة ١٩٢٣ غير صالح للعمل بمقتضاه).
مقالة في نفس العدد بقلم محمد توفيق دياب بعنوان «ختام التعقيب على خطبة محمد محمود باشا».
- ٢- صحيفة الجهاد: ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٤٩٩) (خطاب الرئيس التاريني في الجمع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكر الجهاد).
- ٣- صحيفة الجهاد: ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٥٠٠) (تفاصيل مصادمات أمس - وفاة المرحومين محمد عبد المجيد طالب كلية الزراعة والعامل سعيد الخالع - البوليس يسلم الجثتين لأهلها بعد تعهد كتابي).
- ٤- صحيفة الجهاد: ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ «وسائل القمع دار خاص الارواح» مقالة بقلم محمد توفيق دياب.
- ٥- صحيفة الجهاد: ١٨ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٥٠٣) (تشيع جنازة شهيد دار العلوم في مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل مساء

أمس — احتجاج الوفد المصرى على تصرفات الوزارة النسيمة
وبقائها فى الحكم — تفاصيل المظاهرات فى القاهرة
والاسكندرية والأقاليم).

٦ — صحيفة الجهاد: ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٤) (نص احتجاج
الوفد لدى عصبة الأمم — الرئيس الجليل وحرمة المصون يواسيين
الجرحى فى مستشفى القصر العينى).

٧ — صحيفة الجهاد: ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٥): (أسبوع
الشهداء — الأمة تشيع شهيدها السادى فى مشهد شعبى جامع
رهيب — الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين
— اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها).

(أسبوع الشهداء) مقالة فى نفس العدد السابق بقلم محمد توفيق
دياب.

٨ — صحيفة الجهاد: ١ يوليو ١٩٣٥ (العدد ١٣٥٤) (الشرف
السياسى البريطانى فى كفة الميزان — أو السياسة البريطانية بين
الأقوال والأفعال).

٩ — صحيفة الجهاد: ٨ يونيو العدد (١٣٥٣) (تأليف الوزارة
البريطانية الجديدة وأسماء أعضائها — ألعيب ومداورات تشين
الدبلوماسية البريطانية وتجننى على سمعة الشعب البريطانى).

الباب الرابع
توفيق دياب سجيناً من أجل رأى الحر

- ١ — عباس محمود العقاد : عالم السدود والقيود .
- ٢ — عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة ونحية سنة ١٩٣٦ .
- ٣ — دوتسوفسكى : ذكريات من بيت الموتى — ترجمة نديم مرعشلى (الكتاب اللبنانى — بيروت) .
- ٤ — مصطفى أمين : من عشرة لعشرين — المكتب المصرى الحديث .
- ٥ — مصطفى أمين : لكل مقال أزمة — المكتب المصرى الحديث .
- د. ناهد أبو العيون : « صحيفة الجهاد » (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة — كلية الإعلام — جامعة القاهرة .
- ٧ — مجلة اللطائف المصورة : مقال لمكرم عبيد باشا بعنوان دياب سجين قره ميدان (العدد ٩٤٤ — ١٣ مارس ١٩٣٣ صفحة ٢) .
- ٨ — مجلة اللطائف المصورة .
- محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته مقال لعباس حافظ (العدد ٩٤٥ — ٢٠ مارس ١٩٣٣ صفحة ٤) .
- ٩ — مجلة اللطائف المصورة : معلومات عن معاملته فى السجن سنة ١٩٣٣ (العدد ٩٤٧ — ١٣ ابريل صفحتى ٢١ ، ٢٢) .
- ١٠ — مجلة آخر ساعة : رأيه فيما يجب أن تكون عليه معاملة الصحفيين فى السجن (العدد ٢٧ / ١٣ يناير ١٩٣٥ صفحة ٢٤) .
- ١١ — مجلة آخر ساعة : كان يدخن ٥ علب سجائر فى اليوم سنة ١٩٣٥ (العدد ٤٧ — ٢ يونيو ١٩٣٥ صفحة ٣٣) .
- ١٢ — مجلة آخر ساعة : من ذكريات السجن (العدد ٤٢١ — ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢) .

الباب الخامس
العقاد والجهاد وتوفيق دياب

- ١ — صحيفة الجهاد: الأعداد من ٢٨ أكتوبر ١٩٣٢ وحتى نوفمبر ١٩٣٢.
- ٢ — د. محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية الجزء الأول.
- ٣ — د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف: العقاد بين الأدب والصحافة.
- ١ — صحيفة الجهاد: ٧ نوفمبر ١٩٣٢: ماذا وراء السير برس لورين؟! بقلم عباس محمود العقاد.
- ٥ — صحيفة الجهاد: الأعداد من ١٩ ديسمبر وحتى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٢.
- ٦ — صحيفة الجهاد: ٢٣ ديسمبر ١٩٣٢ «حادثة البدارى وألف حادثة مثلها لا تمنع المستعمرون أن يفاوضوا: بقلم عباس محمود العقاد.
- ٧ — صحيفة الجهاد: ١٤ سبتمبر ١٩٣٥: (قصة التحاق العقاد بالجهاد) مقالة بقلم محمد توفيق دياب.
- ٨ — مذكرات فاطمة اليوسف.

- ٩- روزاليوسف اليومية : ٢٥ سبتمبر ١٩٣٥ (الفضائح الدامغة
للمهرج السياسى الدجال بقلم العقاد .
- ١٠- د . راسم محمد الجمال : العقاد زعيماً — دار المعارف — القاهرة .
- ١١- صحيفة الجهاد : ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) . « قصيدة بين
عهدين » لأمير الشعراء الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد !!
- ١٢- صحيفة الجهاد : ٢٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٥٤) : « العقاد بين
يومه وأمه » بقلم صليب النهماوى .

الباب السادس
الجهاد والشئون العربية
الفصل الأول
وكانت الجهاد ملتقى العرب

- ١ - صحيفة الجهاد : أعداد شهر سبتمبر ١٩٣١ .
- ٢ - صحيفة الجهاد : ١٩ أكتوبر عام ١٩٣١ (جريدة صدقي باشا ومصرع الزعيم عمر المختار) .
- د . كامل دياب : مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧ والحصول على صور تم التقطها في دار جريدة الجهاد للوفود العربية .

الفصل الثانى
الجهاد ومشكلة فلسطين
أهتمام مبكر للجهاد بالمشكلة الفلسطينية

- ١ — أحمد بهاء الدين : « اسرئيليات وما بعد العدوان » كتاب الهلال
نوفبر ١٩٦٧ .
- ٢ — صحيفة الجهاد : ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ . (تفاقم الحالة في
فلسطين — قتيلان وعشرون جريحاً منهم ثلاثة في حالة خطرة
والشقيقة فلسطين في مآسائها) فلسطين الحائرة الدامية بين
العرب واليهود والانجليز كلمة هادئة وسط العاصفة) .
- ٣ — صحيفة الجهاد : ٢٢ مايو ١٩٣٦ : (امتداد ثورة فلسطين إلى
عمان وشرق الأردن — المظاهرات في أنحاء البلاد — تعطيل
جريدة فلسطين .
- ٤ — صحيفة الجهاد : ٢٤ مايو ١٩٣٦ (تفاقم الاضطرابات) فلسطين
— مصادمات بين الأهالي والجنود — قتل بوليس عربى — الأمير
عبدالله يسلم مذكرة جديدة إلى المندوب السامى) .
- ٥ — صحيفة الجهاد : ٢٧ مايو ١٩٣٦ (صورة فريدة عن حوادث
الاضطرابات في فلسطين) .
- ٦ — صحيفة الجهاد : أيام ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ مايو ١٩٣٦ (فلسطين في
محنتها أشد القضايا الشرقية تعقيداً — فلسطين ثائرة فاذا يكون
المصير — فلسطين في محنتها) .

- ٧- صحيفة الجهاد: ٢٩ مايو ١٩٣٦: فلسطين في محنتها مقالة بقلم الأستاذ نسيم صبيحة.
- ٨- صحيفة الجهاد: ٢٨ مايو ١٩٣٦ (أيها المصريون الكرام - المسجد الأقصى في خطر فهبوا لانقاذه).
- ٩- صحيفة الجهاد: ٢٥ مايو ١٩٣٦: (فلسطين الشهيرة الثائرة ندوة عن فلسطين).
- ١٠- صحيفة الجهاد: ٢٤ سبتمبر ١٩٣٦: (عمل منكر لا يجوز - خدماً مصريون يرافقون الجيش البريطاني إلى الشقيقة فلسطين).
- ١١- حديث إذاعي: بعنوان: «الدول الكبار والصفار» في ١٤/٧/١٩٤٨ بث في خلال الاذاعة المصرية تم الحصول عليه مكتوباً بخط الاستاذ توفيق دياب من أسرته.
- ١٢- حديث إذاعي: بعنوان «حماة الصهيونية سيندمون» بتاريخ ٤/٨/١٩٤٨ القاه من الإذاعة المصرية بصوته الاستاذ توفيق دياب.
- ١٣- جريدة الأخبار: مقالة (الأمة العربية تغلى حفيظتها) بقلم توفيق دياب في ١٧ ديسمبر ١٩٥٥.
- ١٤- مجلة اللطائف المصورة: (زيارة توفيق دياب لفلسطين) العدد (١٠١٥) - ٢٣ يوليو ١٩٣٤ (صفحة ١٤).

الباب السابع

أسلوب توفيق دياب السياسى

- ١ - صحيفة الجهاد: ٢٧ مايو ١٩٣٧ العدد (٢٠٤١): (مصر أمست عضواً في عصبة الأمم بإجماع الأصوات - مثلاً ٤٩ أمة يستقلون مصر بالترحاب العميق والتصفيق الطويل - أمس توج استقلال مصر التام في عصبة الأمم - وفي الغد يتوج ملكها في البرلمان).
- ٢ - صحيفة الجهاد: ٢٨ مايو ١٩٣٧ (العدد ٢٠٤٢): (دخول مصر في عصبة الأمم حادى دوى جليل وتتويج عالمى مجيد لاستقلال مصر التام يعود عليها بأعظم المنافع الأدبية والمادية).
- ٣ - صحيفة الجهاد: أول يونية ١٩٣٥ العدد (١٣٥٤) (الشرق السياسى البريطانى فى كفة الميزان - أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال - إجماع زعماء الأحزاب البريطانية فى مجلس النواب فى سنة ٢٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصرى).
- ٤ - صحيفة الجهاد: ٨ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٥٣) (الأعياب ومداورات تشين الدبلوماسية تجنى على سمعة الشعب البريطانى).
- ٥ - صحيفة الجهاد: ٣ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٤٧): «لو احترم

البريطانيون مشروع هندرش — النحاس» بقلم محمد توفيق دياب .

٦ — صحيفة الجهاد : ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) : (أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى : المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى — وصف مستقل للجلستين الرائعتين أمس) .

٧ — صحيفة الجهاد : ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) (أعظم توفيق ونجاح يجليان فى المؤتمر الوطنى العام — الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم — باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة — القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع) .

٨ — صحيفة الجهاد : ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٦) : (الوفد الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم الأمين وأم المصريين — عرفات الوطنية المصرية أو المؤتمر الوفدى بقلم الاستاذ العقاد) .

٩ — صحيفة الجهاد : ٣١ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٧٥) (استقالة الوزارة النسبسية وتأليف الوزارة الماهرية — حديث مستفيض لدولة ماهر باشا مع الجهاد) .

١٠ — صحيفة الجهاد : ٢٣ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٦٧) : (قبول استقالة الوزارة — جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية — دولته يعتذر ويقترح أشراك المعارضة فى المفاوضات) .

١١ — صحيفة الجهاد : ١٠ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٥٤) : (الجمعية العمومية للمحاميين اليوم — التزامهم إعادة انتخاب الاستاذ مكرم نقيباً) .

١٢- صحيفة الجهاد: ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١): (ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا؟! مغزى الغاء نذب النائب العام — ونقل رئيس محكمة مصر الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير لا يتفق واحترام العدالة).

١٣- صحيفة الجهاد: ٤ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣٢): مقالة بقلم الاستاذ توفيق دياب بعنوان «نهاية».

١٤- صحيفة الجهاد: ١٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٤٤) (سفر الرئيس الجليل إلى بورسعيد — وداع رائع بالمحطة — استقبال حماس في بنها).

١٥- صحيفة الجهاد: ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٥٥٨) (طلائع انتخاباتهم الحرة!! — تلقى الدوائر الانتخابية لمصلحة المرشحين الوزاريين — حيرة الوزارة وجنودها الماهرين والنقاشيين).

١٦- صحيفة الجهاد: ٢٠ فبراير ١٩٣٨ العدد (٢٢٧٧) (اضطهاد الوفديين في أنحاء القطر المختلفة يعيد إلى مصر العهد البغيض — مظالم يرتكها البوليس ورجال الإدارة).

١٧- صحيفة الجهاد: ٢٠ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) (اكرموا ولي العهد عن هذا الدفاع المزرى) بقلم توفيق دياب.

١٨- صحيفة الجهاد: ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٦) (بدائها ترمينا جريدة البلاغ) بقلم توفيق دياب.

١٩- صحيفة الجهاد: ٢٢ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧) (الوفد المصرى يتجمع مساء يوم الاثنين — على الصفحتين الثالثة والخامسة اقرا لصاحب الجهاد (نستريح القرار عفوه الكريم — لمحات لابد

- منها من تاريخ صاحب الجهاد).
- ٢٠- صحيفة الجهاد: ٢٤ يونيو ١٩٣٥: (ختم ردودنا على صاحب الجهاد إلا أن يريد منا مزيداً — وكان الجهاد فى نفوس القراء — تهنة خالصة لصاحب البلاغ).
- ٢١- صحيفة الجهاد: ٢٥ يونيو ١٩٣٥: (سحقاً لمفتريات صاحب البلاغ — منتهى ما يستطيعه صاحب الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم المروبة والإسلام — قسمنا العظيم).
- ٢٢- صحيفة الجهاد: ٢٦ يونيو ١٩٣٥: (حكم التأديب — يحواسم عبد القادر أفندى حمزة من جدول المحامين — محكمة استئناف مصر الأهلية).
- مجلس تأديب المحامين — وقائع الدعوى — أسباب الحكم — القضية الثانية — الحكم فى القضيتين).

الباب الثامن
توفيق دياب منصوفاً

- ١- الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين .
- ٢- الإمام الغزالي: مقاصد الفلاسفة .
- ٣- الإمام الغزالي: تهافت الفلاسفة .
- ٤- الإمام الغزالي: المنقذ من الضلال .
- ٥- مأمون غريب: الإمام الغزالي والتصوف .
- ٦- محمد توفيق دياب: اللوحات - سياسيات - روحيات - اجتماعيات خَلَقِيَّات أدبيات - دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .
- ٧- مأمون غريب: توفيق دياب .. كانت آخر كلماته دعاء . مجلة آخر ساعة في أول ديسمبر ١٩٦٧ .
- ٨- توفيق دياب: أدعية من مفكرته الخاصة .
- ٩- الشاعر عزيز أباطة: كلمته في تأبين توفيق دياب (كتاب المجمعين - مهدى علام) .
- ١٠- جيل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية - دار الكتاب اللبناني بيروت .

الباب التاسع
توفيق دياب في عيون معاصريه

مقابلات شخصية مع :

- ١- الكاتب الكبير مصطفى أمين «مسجلة» .
- ٢- شيخ الصحفيين حافظ عمود .
- ٣- الكاتب الكبير عبدالرحمن الشرقاوى «مسجلة» .
- ٤- عبدالمغنى سعيد ربع قرن مع السياسة المصرية .

الباب العاشر
فلسفة الموت في فكر توفيق دياب

- جاك شورن: الموت فى الفكر الغربى ترجمة كامل يوسف (عالم المعرفة - الكويت).
- محمد توفيق دياب: اللوحات. سياسيات روحيات اجتماعيات خلقيات أدبيات - دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧.
- مجلة آخر ساعة: العدد ٣٦٨ - ١٩ أكتوبر ١٩٤١ صفحة ٩ حديث مع توفيق دياب: ماذا يطلب فى ليلة القدر؟ أن يكون ولده «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه.
- جريدة الأهرام: ٢٢ فبراير ١٩٦٣ (توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبرة).
- جريدة الأهرام: ٤ نوفمبر ١٩٦٤ (توفيق دياب يعانى من وعكة روماتيزم).
- جريدة الأهرام: ٢٦ مايو ١٩٦٥ (توفيق دياب يطلب الأذن بالعلاج فى لندن).
- جريدة الأهرام: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة توفيق دياب).
- جريدة الأخبار: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة صاحب الجهاد).
- جريدة الجمهورية: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة توفيق دياب).

مراجع عامة

أولاً: المرجع الأصيل: أعداد جريدة الجهاد منذ صدورها في ١٧ سبتمبر ١٩٣١ وحتى توقفت في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٩.

مراجع عربية:

- ١- إبراهيم إمام: فن الأخراج الصحفي. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة سنة ١٩٦٥.
- ٢- إبراهيم عبدة: تطور الصحافة المصرية. مكتبة الأداب. الطبعة الثالثة - القاهرة سنة ١٩٥١.
- ٣- أحمد بهاء الدين: إسرائيليات وما بعد العدوان كتاب الهلال. نوفمبر ١٩٦٧.
- ٤- أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية. الحولية الثانية. مطبعة حوليات مصر السياسية. سنة ١٩٢٨.
- ٥- أحمد شفيق: حوليات مصر. الحولية الخامسة.
- ٦- أحمد عبد الرحيم: تاريخ مصر السياسي من الاحتلال للمعاهدة. دار المعارف. القاهرة. سنة ١٩٦٧.
- ٧- أنور أحمد: خطباء صنعوا التاريخ - دار المعارف ١٩٧٦.
- ٨- أنور الجندى: الصحافة السياسية في مصر. مطبعة الرسالة. القاهرة سنة ١٩٦٢.
- ٩- الإمام الغزالي: أحياء علوم الدين.
- ١٠- الإمام الغزالي: مقاعد الفلاسفة.
- ١١- الإمام الغزالي: تهافت الفلاسفة.
- ١٢- الإمام الغزالي: المنفذ من الضلال.

- ١٣- حافظ محمود: المارك في الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩-١٩٥٢) كتاب الجمهورية- (١٩٦٩).
- ١٤- جاك شورون: الموت في الفكر الغربى ترجمة كامل يوسف (عالم المعرفة- الكويت).
- ١٥- جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية- دار الكتاب اللبنانى بيروت.
- ١٦- خليل صابات: الصحافة مهنة ورسالة- دار المعارف.
- ١٧- دوتسوفسكى: ذكريات من بيت الموتى- ترجمة نديم مرعشلى (الكتاب اللبنانى- بيروت).
- ١٨- راسم محمد الجمال: العقاد زعيما- دار المعارف- القاهرة ١٩٥٨.
- ١٩- زكى نجيب محمود: القصيدة الثانية، للإمام الغزالى.
- ٢٠- سامى عزيز: ثورة في الصحافة- القاهرة مطبعة مصر ١٩٥٦.
- ٢١- عباس محمود العقاد: سعد زغلول- سيرة ونجدة. سنة ١٩٣٦.
- ٢٢- عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود.
- ٢٣- عبد الرحمن الرافعى: ثورة سنة ١٩١٩. تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ إلى ١٩٢١. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. سنة ١٩٥٩.
- ٢٤- عبد الرحمن الرافعى: فى أعقاب الثورة المصرية. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. سنة ١٩٥٩.
- ٢٥- عبد الرحمن الرافعى: فى أعقاب الثورة المصرية. الجزء الثانى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٢.
- ٢٦- عبد الرحمن الرافعى: مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.

- مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. سنة ١٩٤٩.
- ٢٧- عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفي - دار المعارف.
- ٢٨- عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦. دار الكاتب العربي. القاهرة. سنة ١٩٥٨.
- ٢٩- عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية. الجزء السابع - دار الفكر العربي. القاهرة. سنة ١٩٥٥.
- ٣٠- عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي - دار الفكر العربي.
- ٣- فاروق أبو زيد: أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية.
- ٣- محمد توفيق دياب: اللوحات. سياسيات روحيات إجتماعيات خفقات أدبيات. دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة. سنة ١٩٤٧.
- ٣٣- محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة سنة ١٩٥٩.
- ٣٤- مصطفى أمين: من عشرة لعشرين - المكتب المصري الحديث.
- ٣٥- مصطفى أمين: لكل مقال أزمة. المكتب المصري الحديث.
- ٣٦- مهدي علام: (المجمعون في ٥٠ عاما) مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٦.
- ٣٧- ناهد أبو العيون: «صحيفة الجهاد» (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة - كلية الأعلام - جامعة القاهرة.

ثالثاً: دوريات مصرية:

١- الصحف:

١- من أعداد صحيفة الأهرام. المعاصرة لصدور «الجهاد».

- ٢- من أعداد صحيفة البلاغ . المعاصرة لصدور «الجهاد» .
- ٣- من أعداد صحيفة السياسة . من سنة ١٩٢٢ - ١٩٣٨ .
- ٤- من أعداد صحيفة الضياء . سنة ١٩٣٠ .
- ٥- من أعداد صحيفة المقطم . المعاصرة لصدور «الجهاد» .
- ٦- من أعداد صحيفة اليوم . سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ .
- ٧- من أعداد صحيفة كوكب الشرق . المعاصرة لصدور «الجهاد» .

ب- المجلات :

- ١- مجلة الأثنين . شهر نوفمبر سنة ١٩٣٩ .
- ٢- مجلة كلية الحقوق . السنة الثانية . العدد الثالث سنة ١٩٤٥ .
- ٣- مجلة مجمع اللغة العربية . سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٨ .
- ٤- مجلة الهلال .
- ٥- اللطائف المصورة .
- ٦- آخر ساعة .
- ٧- المصور .

رابعاً : ملف صحيفة الجهاد :

بقسم المطبوعات - تراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة للاستعلامات .

خامساً : مقابلات شخصية مع الأساتذة/

- ١- مصطفى أمين (مسجلة) .
- ٢- حافظ محمود .
- ٣- عبد الرحمن الشرقاوي (مسجلة) .
- ٤- أحمد السيد حمد .

٥ — د . كامل دياب (مسجلة) .

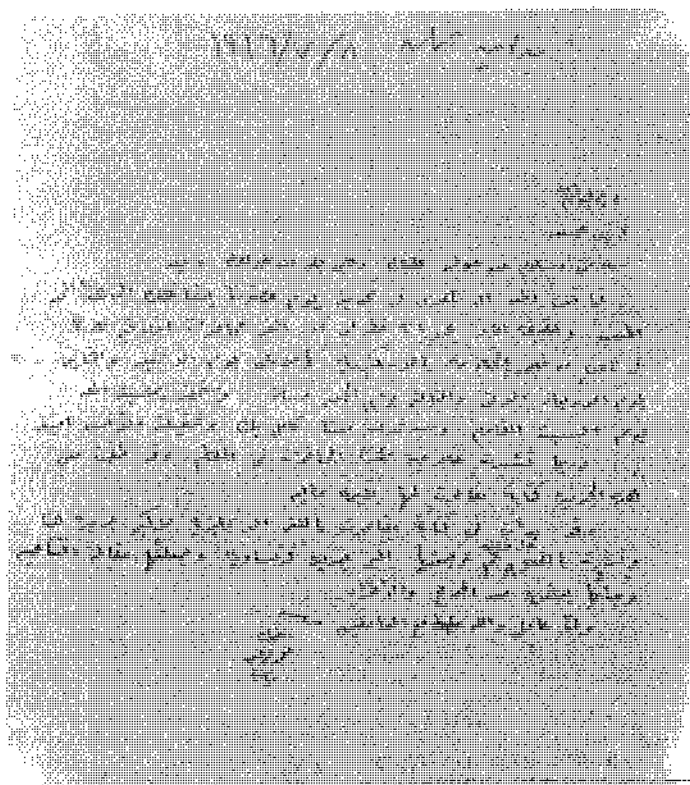
٦ — صلاح دياب (مسجلة) .

سادساً: رسائل خاصة لتوفيق دياب

مجموعة من الرسائل الخطية الخاصة بتوفيق دياب والتي أرسلها من لندن إلى أسرته .

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)



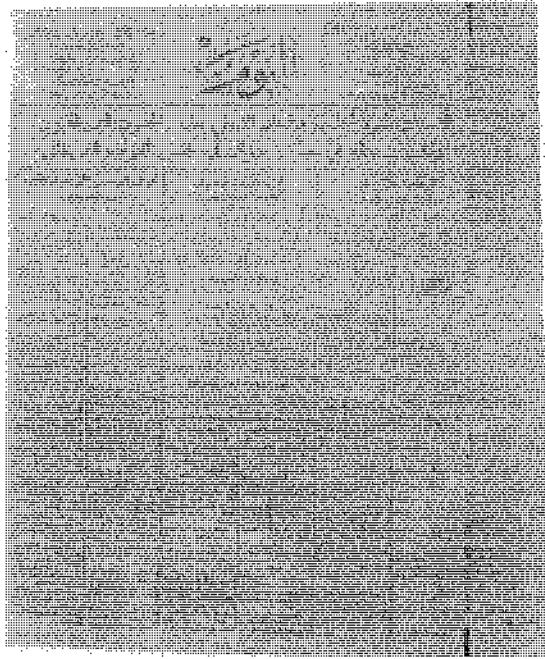
نص خطاب توفيق دياب في بداية حياته العملية إلى أسرته « بتاريخ ٨ يوليو عام ١٩١٦ » من ملحق « الجزء الأول » من الكتاب .

ملحق رقم (٢)

١٠
 أمة لهم بيتا أشرفه بصره
 الملك التي أرسله من قنصله
 نصي دكتور في علم النفس
 أكرم يا سيدي ويا أستاذي
 وأحمد الله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله رب العالمين
 في يوم الاثنين ١٠ من شهر
 ربيع الأول سنة ١٣٨٠
 من مدينة القاهرة
 إلى
 السيد الأستاذ
 في
 وزارة المعارف
 في
 مدينة القاهرة
 من
 السيد
 دكتور
 في علم النفس
 في
 مدينة القاهرة

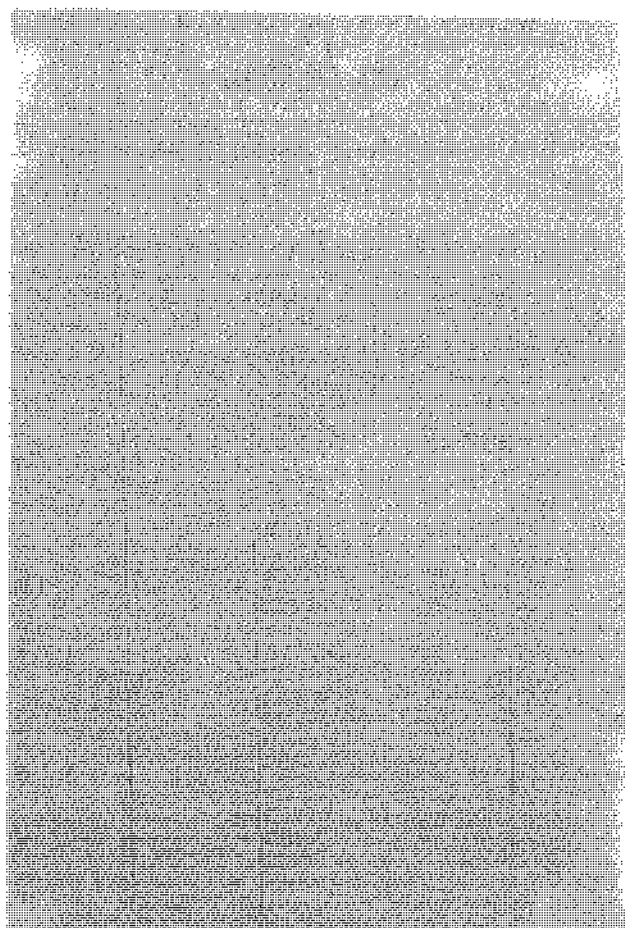
«جزء من نص خطاب توفيق دياب الذي أرسله من لندن إلى أسرته بالقاهرة» من ملاحق الجزء الأول من الكتاب.

ملحق رقم (٣)



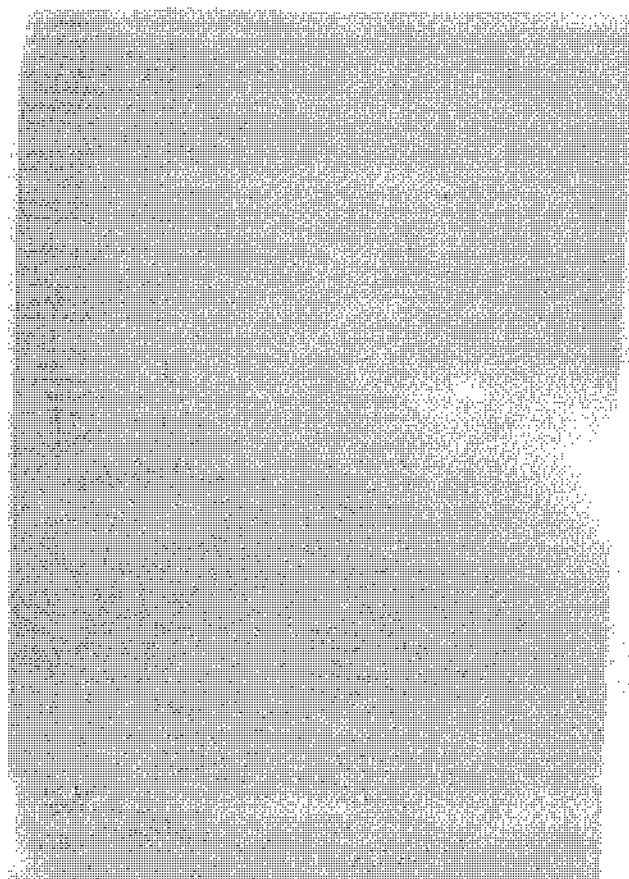
صحيفة اليوم صحيفة وفدية أصدرها توفيق دياب في يناير ١٩٣٠ - من
ملاحق الجزء الأول .

ملحق رقم (٤)



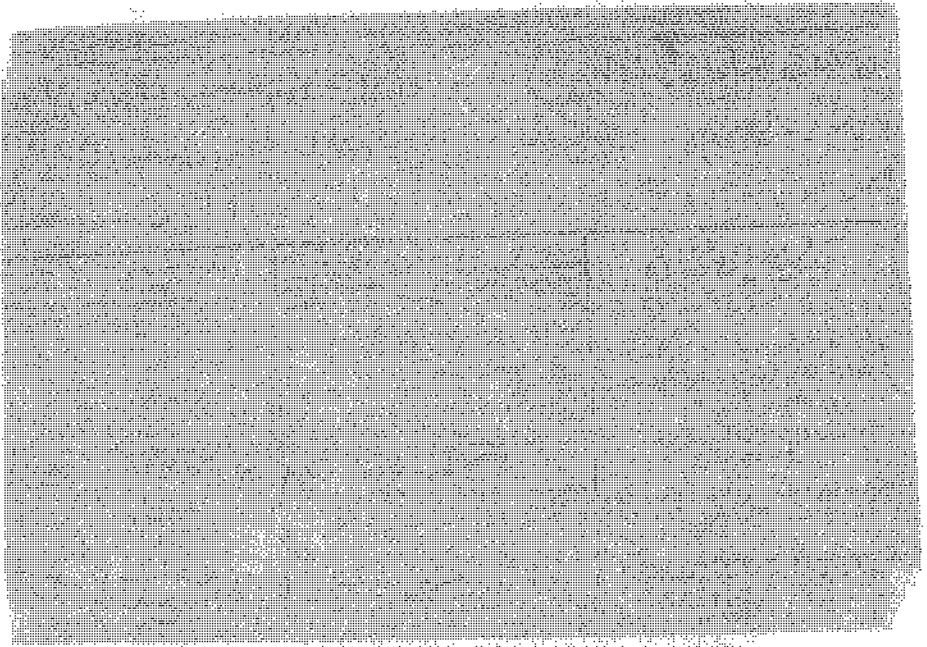
صحيفة الجهاد صورة للصفحة الأولى ويظهر فيها مقال توفيق دياب
رئيس التحرير تحت عنوان «حديث الصباح».

ملحق رقم (٥)



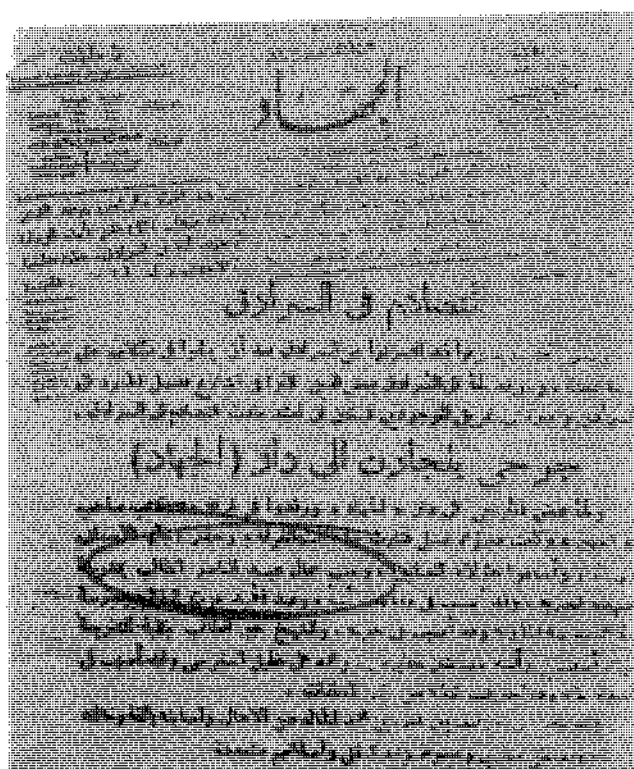
مقالة توفيق دياب في الجهاد «صنقى باشا لن يفاوض اليوم» من ملاحق
الجزء الأول.

ملحق رقم (٦)



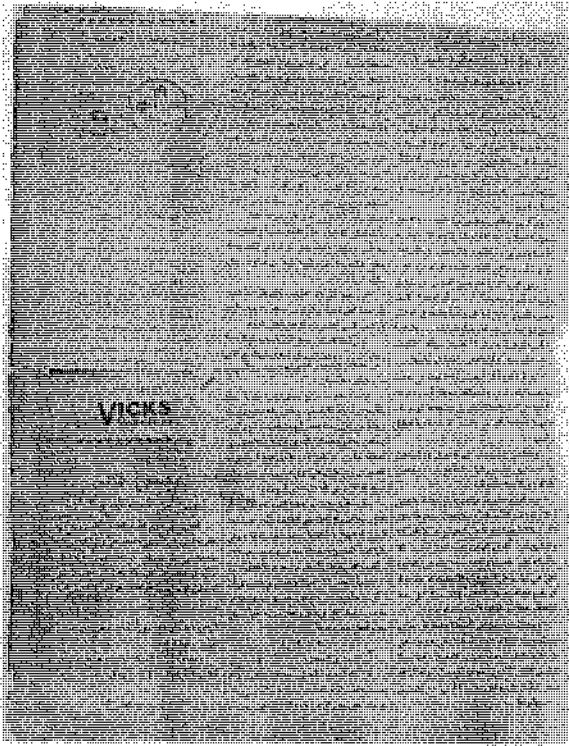
الصراع بين صدقي باشا وجريدة الجهاد من ملاحق الجزء الأول .

ملحق رقم (٧)



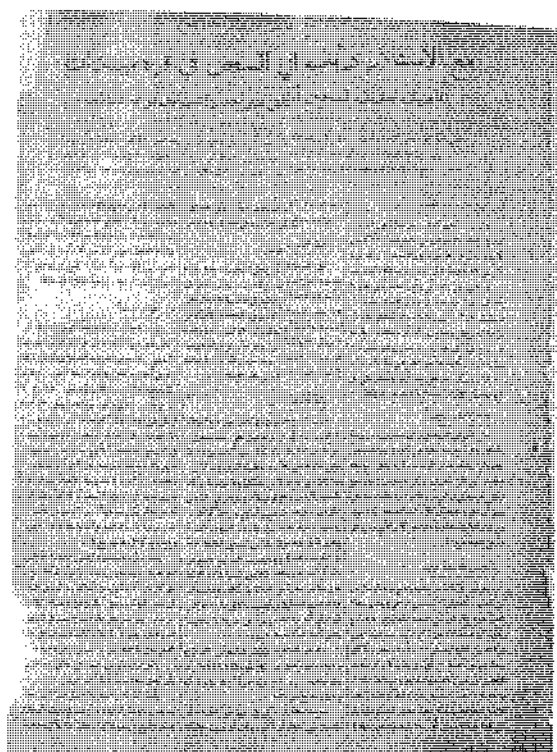
الصفحة الأولى من جريدة «الجهد» الصادرة في ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ وبها اسم الطالب جمال عبد الناصر ضمن قائمة الجرحى الذين أصيبوا في مظاهرات ١٩٣٥». من ملحق الجزء الأول من الكتاب.

ملحق رقم (٨)



مقالة «توفيق دياب سجين قره ميدان» بقلم / مكرم عبيد . من ملاحق
الجزء الثاني من الكتات .

ملحق رقم (٩)



مع الاستاذ دياب في السجن في قره ميدان اللطائف المصورة ٢٠ ابريل
١٩٣٣ من ملاحق الجزء الثاني من الكتاب.

تم الكتاب مجزئيه الأول والثاني
بحمد الله

رقم الأبداع : ١٩٨٩/٨٢٣٦ .

هذا الكتاب

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة... ثرية بالتجارب السياسية الفريدة... متوجة بالمعارك النضالية الرائعة.

كان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقعاً وان يشد الواقع ليصبح ممكناً وقد كان... فتعددت صفاته والقابه... فهو بحق شخصية متفردة بكل المقاييس... سواء مقاييس عصره أو عصرنا... فهو يحمل هبة الخلود وسمة المعاصرة بل هو دون أية مبالغة من الشخصيات التي من الصعب أن تتكرر لأنه ضرب بسهم وافر في جميع الاتجاهات فهو الأديب المتصوف والكاتب الاجتماعي اللاذع والسياسي المحنك وأول صحفي برلماني في تاريخ الصحافة المصرية وأول صحفي يدخل مجمع اللغة العربية... والمناضل السجين... وصاحب الجهاد... وخطيب ثورة ١٩١٩ وقائمة طويلة من الصفات والألقاب التي لا تنتهى.

وهذا هو الجزء الثانى من كتاب «توفيق دياب.. ملحمة الصحافة الحزبية». للأديب والكاتب المعروف محمود فوزى الذى سبق وان قدم للمكتبة العربية العديد من الكتب والدراسات السياسية والتاريخية والصحفية الهامة.

وهذا هو أول كتاب عن شخصية الكاتب الكبير توفيق دياب... بلا شك إضافة جديدة للمكتبة العربية.

Biblioteca Alexandria



0283478